

أَسْأَلُكَ يَا رَبِّ السَّامِعِ

فِي

الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ



الدكتور

فاضل صالح السامرائي

مكتبة الصحابة
الإمارات - الشارقة

أسئلة بيانية في
القرآن الكريم

أسئلة بيانية

في القرآن الكريم

تأليف

الدكتور / فاضل صالح السامرائي

مكتبة الصحابة

مكتبة الصحابة

الإمارات - الشارقة

القاهرة - عين شمس

ت، ٢٤٩٢٨١٤٤ - فاكس، ٢٤٩٢٤٣٢٥

ت، ٥٦٢٣٥٧٥ - فاكس، ٥٦٢٣٧٥٤٤

مكتبة التابعين، ٢٠٠٨م.

فهرسة الهيئة العامة لدار الكتب والوثائق القومية

السامرائي، غاضل صالح

اسم الكتاب: الأسئلة البَيانية في القرآن الكريم

الطبعة رقم: ١ - القاهرة، ٢٠٠٨م.

عدد الصفحات: ٢١٦، ٢٤×١٧.

رقم الإيداع: ٢٠٠٧/١٥١٦٧.

الترقيم الدولي تدمك: ٠٠-١٠-٦٢٣٧-٩٧٧-٩٧٨.

١- القرآن - أسئلة وأجوبة . ٢ - القرآن - تفسير

١- العنوان

جميع حقوق الطبع محفوظة

للمؤلف

الطبعة الأولى

١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م

مكتبة

الصحابية

مكتبة الصحابة، الإمارات - الشارقة، ٥٦٣٢٥٧٥ - فاكس ٥٦٣٧٥٤٤

مكتبة التابعين، القاهرة - عين شمس، ٢٤٩٢٨١٤٤ - فاكس ٢٤٩٢٤٣٢٥



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

■ المقدمة ■

الحمد لله الذي علّم بالقلم علّم الإنسان ما لم يعلم،
والصلاة والسلام على السراج المنير سيدنا محمد وعلى آله
وأصحابه أجمعين، مصابيح الهدى وأئمة التقى، ومن
تبعهم بإحسان إلى يوم الدين وبعد:

فهذه أسئلة وردَ إليّ كثيرٌ منها على طريق التلفاز بينما
كنتُ أتحدث في برنامج (لمسات بيانية في نصوص من
التنزيل) في قناة الشارقة الفضائية في دولة الإمارات العربية
المتحدة، وورد القسم الآخر عن طريق المراسلة.

وقد أجبتُ عن قسم غير قليل منها عبر البرنامج، وبقي
قسم آخر لم يتسنَّ لي الإجابةُ عنه.

وفي هذا الكتاب حاولتُ الإجابةُ عن مائة سؤال مما سبق
أن أجبتُ عنه، أو لم يتسنَّ لي ذلك.

وقد رتبتُ موضوعات الأسئلة على حسب تسلسلها في
المصحف الشريف في الغالب، ولم يختلف هذا المنهج إلا

نادراً، وذلك فيما أراه أنه هو الأنسب، كأن يكون بين الموضوعين ارتباطاً ما وإن كانا متباعدين في المصحف، وذلك كالسؤال في آية النور من سورة النور عن سبب إخبار ربنا عن نفسه بأنه نور السموات والأرض ولم يخبر عن نفسه أنه ضياء مع أن الضياء أقوى من النور، والسؤال في آية من سورة الأنبياء عن سبب الإخبار عن التوراة أنها ضياء وفي مواضع أخرى أنها نور، فرأيت من المناسب أن أضعها بجانب بعض.

أما ما لم تكن بينهما علاقة من نوع ما فرتبته بحسب ما ورد في المصحف وهو الأعم الأغلب.

وأرجو من القارئ العزيز أن يعذرني إذا كنت عنده غير مصيب، وألا يخل عليّ بدعوة يسأل الله فيها أن يعطيني أجر أحد المجتهدين، وأن يبصرني بالصواب.

أسأل الله سبحانه أن يُلهمنا الرشد ويمُنَّ علينا بالسداد في القول والعمل إنه أكرم مسؤول وأعظم مسؤول.

فاضل السامرائي

أسئلة بيانية

١ - قال تعالى في سورة البقرة: ﴿ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾
(٢) وقال في سورة لقمان: ﴿تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْحَكِيمِ﴾ (٣) هُدًى وَرَحْمَةً
لِّلْمُحْسِنِينَ (٤) (٢، ٣).

سؤال: لماذا زاد الرحمة على الهدى في آية لقمان؟

الجواب: إن آية البقرة في المتقين، والمتقي هو الذي يحفظ نفسه.

وأما آية لقمان ففي المحسنين، والمحسن هو الذي يُحسِن إلى نفسه وإلى غيره، قال تعالى: ﴿وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ﴾ (القصص: ٧٧).

وقال: ﴿وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾ (النساء: ٣٦).

وقال: ﴿إِنْ أَحْسَنْتُمْ أَحْسَنْتُمْ لَأَنْفُسِكُمْ﴾ (الإسراء: ٧).

جاء في (المفردات) للراغب: «الإحسان على وجهين:

أحدهما: الإتيان على الغير.

يقال: أحسن إلى فلان.

والثاني: إحسان في فعله، وذلك إذا علم علماً حسناً أو عمل عملاً حسناً» (١).

فلما ذكر في آية لقمان أنهم محسنون زاد لهم الرحمة على الهدى،

(١) المفردات (حسن).

وذلك أنهم زادوا في الوصف على المتقين بأن أحسنوا إلى غيرهم وإلى أنفسهم فزاد الله لهم في الجزاء.

ثم إن الإحسان إلى الآخرين إنما هو من الرحمة فزاد الله لهم الرحمة لما رحموا الآخرين.

ولم تقتصر هذه الزيادة لهم في الدنيا بل زاد الله لهم الجزاء في الآخرة أيضاً، قال تعالى: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ (يونس: ٢٦).

فكما زادوا في الدنيا من الخير زاد الله لهم فيه في الدنيا والآخرة، والجزاء من جنس العمل.



٢ - قال في سورة البقرة: ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ (٢٢) فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا فَأْزَنُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ﴾ (٢٣، ٢٤).

وقال في سورة يونس: ﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّثْلِهِ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ (٢٨) بَلْ كَذَّبُوا بِمَا لَمْ يُحِيطُوا بِعِلْمِهِ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُ كَذَلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ﴾ (٣٨، ٣٩).

وقال في سورة هود: ﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِثْلِهِ مُفْتَرِيَاتٍ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ (١٣) فَإِنْ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَكُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّمَا أُنْزِلَ بِعِلْمِ اللَّهِ وَأَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَهَلْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ (١٤، ١٥).

سؤال:

أ - لماذا قال في البقرة: ﴿فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ﴾ بذكر ﴿مِنْ﴾ مع المثَل ولم يذكرها في يونس ولا في هود؟

ب - لماذا قال في البقرة: ﴿وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾، وقال في يونس وهود: ﴿وَادْعُوا مَنْ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾؟

ج - لماذا شدد التحذير في البقرة فقال: ﴿فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ﴾. ولم يقل مثل ذلك في يونس ولا في هود؟

د - ولماذا قطع بعدم الفعل بعد الشرط في البقرة، فقال: ﴿وَلَنْ تَفْعَلُوا﴾؟
الجواب:

أ - إن معنى: (اتني بشيء من مثله) يختلف عن قولك: (اتني بشيء مثله)، فإن قولك: (اتني بشيء من مثله) يعني افترض أن له مثلاً فتقول: اتني بشيء من هذا المثل.
يقال: إن لهذا الشيء أمثالا.

فتقول: اتني بشيء من مثله أي من هذه الامثال.

أما قولك: (اتني بشيء مثله) فإنك لا تفترض أن له مثلاً فقد يكون أن له مثلاً أو لا يكون فاستحدث أنت مثله كأن تقول لصاحبك: اتني بشعر مثل هذا أي بشعر مماثل له سواء كان مستحدثاً أم موجوداً.

وبعد هذه المقدمة في التفريق بين معني (من مثله) و (مثله) نقول:

ب - قوله: ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا﴾ اعم من قوله: ﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ﴾ في يونس وهود لأن مظنة الافتراء واحد من أمور الريبة فالريبة قد تكون من مظنة الافتراء أو غيره، فإنهم قالوا: ساحر أو مجنون أو يعلمه بشر وما إلى ذلك.

ج - قوله في البقرة: ﴿مَنْ مِثْلِهِ﴾ يحتمل أن يكون من مثل القرآن أو من مثل الرسول أي من شخص أسمى لم يتعلم.

وهو أعم مما في الآيتين في يونس وهود فإيهما نص في أن المطلوب أن يأتوا بمثل لقرآن .

فناسب العموم لعموم ، وإن كان المعنى الأول هو الأظهر .

د - حذف مفعولي ﴿تَفْعَلُوا﴾ و ﴿لَنْ تَفْعَلُوا﴾ مجنسة للإطلاق وإن كان المقصود معموماً .

هـ - قال في يونس وهود : ﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ﴾ فقال : ﴿فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ﴾ أو : ﴿بِعَشْرِ سُورٍ مِثْلِهِ مَفْتَريات﴾ أي افتروا أنتم كما افترى .
و - لا يحسن بعد قوله : ﴿وَأَنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا لَرَأَيْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا﴾ أن يذل : (فأتوا بسورة من مثله مفتراً) من جهتين :

الأولى . أنهم لم يقولوا : (افتراه) كم في آيتي يونس وهود .
والجهة الأخرى ، أنه لا يحسن بعد قوله : ﴿مَنْ مِثْلِهِ﴾ أن يقول (مفتراً) لأنه افترض أن له مثلاً فهو إذن ليس مقترى .

ز - وعلى هذا لا يحسن أن يقال : (أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ فأتوا بسورة من مثله) لأنه افترض أن له مثلاً فهو إذن ليس بمقترى .

ح - لا يحسن بعد قوله : ﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ﴾ في يونس وهود أن يقال : ﴿فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ﴾ .

فإيهما قالوا . (افتراه) وإذن ليس له مثل . وقوله (من مثله) يقضي أن له مثلاً ، وإما ينبغي أن يقال : (فأتوا بسورة مثله) ، أي . افتروا أنتم أيضاً .

ط - لم يقل في البقرة (وَادْعُوا مَنْ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ) لأنه افترض أن له مثلاً ، ومعنى ذلك أن هناك من استطاع أن يفعل ، إذن فليأتوا شيء مما فعله استطاع فإن الغرض من دعوة من استطاعوا أن يفعلوا مثله وهو قد افترض أن له مثلاً فدعاهم إلى أن يأتوا بشيء مما فعله هؤلاء

ي - قل: ﴿وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِّن دُونِ اللَّهِ﴾ أي ادعوا مَن يشهد لكم أن هذا الكلام مثل هذا.

وعلى هذا فالآية تقتضي دعاء مَن استطاعوا ودعاء الشهود، فلا أولون دعاهم بقوله: ﴿مَنْ مِّنْهُمْ﴾ لأنه افترض أن هناك مَن استطاع أن يأتي بمثله. والشهداء دعاهم للشهادة.

وهذا أوسع وأعم فناسب العموم العموم

ك ذكر بعد آية البقرة أن يتقوا النار التي وقودها الناس والحجارة لأن الذي لا يؤمن بعد إقامه الحجج عليه ولم يستعمل عقبه إنما هو بمنزلة الحجارة فعرف بينهما.

ل - لما قال في أول سورة البقرة ﴿ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ﴾ ناسب أن يقول: ﴿وَإِنْ كُنتُمْ فِي رَيْبٍ﴾

كما ناسب أن يقطع بعدم الاستطاعة على الفعل بقوله: ﴿وَلَنْ تَقْعُلُوا﴾ لأنه ذكر ابتداء أنه لا ريب فيه.



٣- قال تعالى في سورة البقرة (٤٩): ﴿وَإِذْ جَعَلْنَاكَ مِّن آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكَ سُوءَ الْعَذَابِ يُدَبِّحُونَ أَبْنَاءَكَ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكَ وَفِي ذَلِكُمْ بَلَاءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ﴾

وقال في سورة الأعراف (١٤١): ﴿وَإِذْ أَخَذْنَاكَ مِّن آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكَ سُوءَ الْعَذَابِ يُقْتُلُونَ أَبْنَاءَكَ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكَ وَفِي ذَلِكُمْ بَلَاءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ﴾.

سؤال: لماذا قال في آية البقرة: ﴿يُدَبِّحُونَ﴾ وقال في الأعراف: ﴿يُقْتُلُونَ﴾؟

الجواب:

إبه فال في الأعراف في قصة موسى قبل هذه الآية: ﴿وَقَالَ لَمَّا مِّن قَوْمٍ
فِرْعَوْنُ أَتَدْرُسُونِي وَقَوْمَهُ لِيُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَيَذْكُرُوا وَلِهَئِكَ قَالَ سَقَتُلُ أَبْنَاءَهُمْ
وَيَسْحَبِي نِسَاءَهُمْ وَأَنَا فَرَقَهُمْ قَاهِرُونَ﴾ (١٢٧). فناسب قول فرعون فعله فقد
قال ﴿سَقَتُلُ أَبْنَاءَهُمْ﴾ نقل ﴿يَقْتُلُونَ أَبْنَاءَكُمْ﴾ وهو المناسب فقد فعل ما
قاله وهدد به.

هذا من جهة. ومن جهة أخرى أن القتل أعم من الذبح. وأن القصة في
الأعراف مبينة على العموم والتفصيل في موقف فرعون من بني إسرائيل فإنه
لم يرد في سورة البقرة ذكر لفرعون مع بني إسرائيل ولا فتته لهم إلا هذه
الآية

في حين أن القصة في الأعراف فصلت في ذكر الحادث قبل موسى
وبعده. وذكرت فتنة فرعون لبني إسرائيل وذكرت مجيء موسى إلى فرعون
وتبليعه بالدعوة وذكرت موقف فرعون من السحرة وتهديد فرعون لبني
إسرائيل بالقتل والإدلال والإيذاء حتى قالوا لموسى: ﴿أُودِيَا مِن قَبْلِ أَن نَّاتِيَا
وَمِن بَعْدِ مَا جِئْنَا﴾ (١٢٩).

وذكر الآيات التي حلت بمرعون وقومه: ﴿وَلَقَدْ أَخَذْنَا آلَ فِرْعَوْنَ بِالسِّنِينَ
وَنَقَصَ مِنَ الثَّمَرَاتِ﴾ (١٣٠).

وتستمر القصة في ذكر التفاصيل:

فناسب للعموم في الأعراف العموم في اللفظ وهو التثنية.

ثم إنه لم يرد في البقرة ذكر لهارون في هذه القصة. وأما في الأعراف
فقد ورد ذكره في أكثر من موقف منها قول السحرة ﴿قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ
إِسْرَائِيلَ (٢) رَبِّ مُوسَى وَهَارُونَ﴾ (١٢١، ١٢٢).

وورد استخلافه في قومه فقال: ﴿وَقَالَ مُوسَى لِأَخِيهِ هَارُونَ اخْلُفْنِي فِي قَوْمِي وَأَصْلَحْ﴾ (١٤٢).

فناسب ذلك أيضاً ذكر انتقيل، فإن ذكر موسى وهارون أعم من ذكر موسى وحده، فتناسب العموم العموم



٤ لماذا قال في البقرة ﴿وَإِذْ وَاعَدْنَا مُوسَى أَرْبَعِينَ لَيْلَةً﴾ (٢٥)، وقال في الأعراف: ﴿وَوَاعَدْنَا مُوسَى ثَلَاثِينَ لَيْلَةً وَأَتَمَّمْنَاهَا بِعَشْرِ فِتْنٍ مِيقَاتٍ رَبِّهِ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً﴾ (١٤١)؟

الجواب: إن لسياق في الأعراف في تفصيل ما حصل في هذه المواعدة، فقد قال ﴿وَوَاعَدْنَا مُوسَى ثَلَاثِينَ لَيْلَةً وَأَتَمَّمْنَاهَا بِعَشْرِ فِتْنٍ مِيقَاتٍ رَبِّهِ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً﴾ وقال موسى لأخيه هارون اخْلُفْنِي فِي قَوْمِي وَأَصْلَحْ وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ الْمُفْسِدِينَ (١٤٢) ولما جاء موسى بِحَقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَنْ تَرَانِي وَلَكِنْ أَنْظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وَحَرَّ مُوسَى صَعْقًا فَلَمَّا أَدْبَقَ قَالَ سُبْحَانَكَ بُنْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ (١٤٣) قَالَ يَا مُوسَى إِنِّي اصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ بِرِسَالَتِي وَبِكَلَامِي فَخُذْ مَا آتَيْتُكَ وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ (١٤٤) وَكَسَبْنَا لَهُ فِي الْأَنْوَاحِ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْعِظَةً وَتَفْصِيلًا لِكُلِّ شَيْءٍ فَخُذْهَا بِقُوَّةٍ وَمِنْ قَوْمِكَ يَا خُذُوا بِأَحْسَنِهَا سَأُرِيكُمْ دَارَ الْفَاسِقِينَ﴾ (١٤٢-١٤٥).

في حين أن السياق في البقرة كان مجملًا فإنه لم يتعد آية واحدة أو جزءاً من أنه وهي قوله. ﴿وَإِذْ وَاعَدْنَا مُوسَى أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ الْعَجَلُ مِنْ بَعْدِهِ وَأَنْتُمْ ظَالِمُونَ﴾ (٥١)

وبعدها قوله: ﴿ثُمَّ عَصَوْنَا عَنْكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ (٥٢) وَإِذْ آتَيْنَا

مُوسَى الْكِتَابَ وَالْفُرْقَانَ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿٥٦﴾ وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنْفُسَكُمْ بِاتِّخَادِكُمْ عُجُلًا . . ﴿٥٧﴾ بَلْ لَنْ يَخْصُرَ الْمَوَاعِدَةَ هُوَ قَوْلُهُ: ﴿وَإِذْ وَاَعَدْنَا مُوسَىٰ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً﴾ وعده يتعلق باتخاذ العجل كما هو ظاهر. فناسب التفصيل التفصيل والإجمال الإجمال.



٥ - قال تعالى في سورة البقرة: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرُوا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ فَلَا يَخَفُ عَنْهُمْ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُصْرُونَ﴾ (٨٦). وقال فيها أيضاً: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارًا أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ نِعْمَةُ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةُ وَلِبَاسٌ أَجْمَعِينَ﴾ (٨٧) حالدين فيها لا يَخَفُ عَنْهُمْ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ يَنْظُرُونَ ﴿٨٨﴾ (١٦١، ١٦٢).

وقد في آل عمران: ﴿أُولَئِكَ حَرَّأُوهُمْ أَنْ عَلَيْهِمْ نِعْمَةُ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةُ وَالنَّاسُ أَجْمَعِينَ﴾ (٨٧) حالدين فيها لا يَخَفُ عَنْهُمْ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ يَنْظُرُونَ ﴿٨٨﴾ (٨٧، ٨٨) سؤال: لماذا قال في الآية السادسة والثمانين: ﴿وَلَا هُمْ يُصْرُونَ﴾، وقال في الآيتين الأخريين: ﴿وَلَا هُمْ يَنْظُرُونَ﴾؟

المجواب: إن الآية الأولى إنما هي في سياق انقتل والحرب والأسر، ولأسرى إما هم من أوزار الحرب، ومن في هذه الحال إنما ينبغي النصر متى ذلك عنهم. قال تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ لَا تَسْفِكُونَ دِمَاءَكُمْ وَلَا تُخْرَجُونَ أَنْفُسُكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ ثُمَّ أَقْرَرْتُمْ وَأَنْتُمْ تُنْهَدُونَ﴾ (٨٤) ثُمَّ أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ تَقْتُلُونَ أَنْفُسَكُمْ وَتُخْرَجُونَ مِنْ دِيَارِكُمْ فَتُظَاهَرُونَ عَلَيْهِم بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَإِنْ يَأْتِوكُمْ مِنْ سَائِلٍ فَمَا لَهُمْ وَهُمْ فِيكُمْ مُحَرَّمٌ عَلَيْكُمْ إِخْرَاجُهُمْ أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ فَمَا جَزَاءُ مَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ مِنْكُمْ إِلَّا حَرْبٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰ أَشَدِّ الْعَذَابِ وَمَا اللَّهُ بِعَاقِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ (٨٥) أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرُوا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا

بِالْآخِرَةِ فَلَا يَخَفُ عَنْهُمْ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنْصَرُونَ ﴿٨٤-٨٦﴾ فناسب ذلك ذكر النصر .

وأما الآستان الأحرى أن قد ذكرنا أن عليهم لعنة الله والملائكة والناس أجمعين ، وذكر بعد ذلك أنهم حالدون فيها لا يخفف عنهم العذاب ولا هم ينظرون .

واللعنة هي الطرد والإبعاد من رحمة الله ، والمطرود لا ينظر إليه لأنه يبعد .

والنظر قد يكون معناه التأخير والإمهال ، وقد يكون معناه نظر الرحمة . وكلاهما منفي .

أما الأول فلأنه مطرود فكيف يؤخر ؟ وكذلك بالنسبة إلى المعنى الآخر . فناسب كل تعبير مكانه .



٦- قال تعالى في سورة البقرة ﴿لَهُمْ فِي الدُّنْيَا حِزْبٌ وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ (١١٤) .

وقال في سورة المائدة : ﴿ذَلِكَ لَهُمْ حِزْبٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ (٣٣) .

وقال في سورة الحج : ﴿لَهُ فِي الدُّنْيَا حِزْبٌ وَنُذِيقُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَذَابَ الْحَرِيقِ﴾ (٩) .

سؤال : لماذا قدم الحزبي على الدنيا في آية المائدة ، فقال : ﴿لَهُمْ حِزْبٌ فِي الدُّنْيَا﴾ وأخره عنها في آية البقرة والحج ، فقال : ﴿لَهُ فِي الدُّنْيَا حِزْبٌ﴾ ؟

الجواب : إن الحزبي المذكور في آية المائدة أظهر للعيان مما في آية البقرة والحج ، وهو ثابت لا يروى بخلاف ما في آية الحج والبقرة فإنه غير ظاهر ذلك الظهور ولا ثابت ذلك الثبات ، فقد قال تعالى في آية المائدة : ﴿إِنَّمَا حِزَابُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ

تَقَطَّعَ يَدَيْهِمْ وَأَرْجُلَهُمْ مِّنْ خِلَافٍ أَوْ يُنْمَوْنَ مِنَ الْأَرْضِ ذَلِكَ لَهُمْ حَزْيٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٠﴾ ، فِي حِينٍ قَالَ فِي الْبُحْرَةِ : ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ مَنَعَ مَسَاجِدَ اللَّهِ أَنْ يُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ وَسَعَىٰ فِي خَرَابِهَا أُولَٰئِكَ مَا كَانَ لَهُمْ أَنْ يَدْخُلُوهَا إِلَّا خَائِفِينَ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا حَزْيٌ وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ .

مقد ذكر عن هؤلاء أنهم لا يدخلونها إلا حائضن أي لا يدخلون المساجد إلا خائضين ، فالخوف مقارن لدخول فإذا انتهى الدخول انتهى الخوف ، ثم إن الحرف أمر قلبي غير طاهر للعيان ، فالخزي المذكور في آية المائدة أظهر وأشد وقال في الحج : ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُّسِيرٍ﴾ (٨) ثاني عطفه ليصل عن سبيل لله في الدنيا حزي ونديقه يوم القيامة عذاب لحريق ﴿٨ ، ٩﴾ ولم يذكر الخزي الذي سيلحقهم في الدنيا .

فالمقتيل والصليب وقطع الأيدي والأرجل من خلاف والمهي من لأرض أظهر حزياً وأشد عقوبة في الدنيا عما ذكره في الآيتين الأخريين . فناسب تقديمه في آية المائدة .



٧ قار تعالى ﴿وَلَنْ تَرْضَىٰ عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَىٰ حَتَّىٰ تَسْبَغَ مِنِّيهِمْ﴾

(البقرة : ١٢٠)

سؤال : لماذا قال ﴿حَتَّىٰ تَسْبَغَ مِنِّيهِمْ﴾ بإفراد الملة ولم يقل : حتى تسبغ

مليتهما ؟

ولماذا جاء بـ (لا) في قوله ﴿وَلَا النَّصَارَىٰ﴾ ولم يقل : (لَنْ تَرْضَىٰ عَنْكَ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَىٰ) ؟

الجواب :

١ الجواب عن السؤال الأول أنه لو قال . (حتى تتبع ملتبيهما) لكان المعنى أن اليهود لا يرصون حتى تتبع الملتين . وأن النصراني لا يرصون حتى تتبع الملتين - وهذا غير مراد ولا يصح .

٢ - أما الجواب عن السؤال الثاني فإنه لو قال ذلك من دون (لا) أي (ولن ترضى عنك اليهود والنصارى حتى تتبع ملتبيهما) كان المعنى أنه لن يرضى عنك الجميع حتى تتبع الملتين .
وبو قال (ولن ترضى عنك اليهود والنصارى حتى تتبع ملتهم) احتمال ذلك معنيين .

الأول: أن الجميع لا يرصون حتى تتبع ملتهم .
بمعنى أنك إذا اتبعت ملة اليهود رضيت عنك اليهود والنصارى . وإذا اتبعت ملة النصراني رضيت عنك اليهود والنصارى . وهذا المعنى لا يصح وهو غير مراد .

والآخر: هو احتمال ما نصت عليه الآية أي . لن ترضى عنك اليهود حتى تتبع ملتهم ، ولن ترضى عنك لنصارى حتى تتبع ملتهم .
وما جاء في التعبير القرآني نص على المعنى المراد من دون احتمال آخر .



٨ قال تعالى في سورة البقرة : ﴿وَلَنْ تَرْضَىٰ عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مَتَابَهُمْ ۚ قُلْ إِنْ هَدَىٰ اللَّهُ فَمَا لِي بِالْهُدَىٰ وَلَنْ أَتَّبِعَ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ ۚ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾ (١٢٠)

وقال في سورة ابرعد : ﴿وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَاهُ حُكْمًا وَعَرَبِيًّا وَلَنْ أَتَّبِعَ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ ۚ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا رَقٍ﴾ (٣٧) .

سؤال:

١ لقد قال تعالى في آية البقرة . ﴿بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ﴾ ، وقال في آية الرعد : ﴿بَعْدَ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ﴾ .

٢ قال في آية البقرة . ﴿مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾ .

وقال في آية الرعد ﴿مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا وَاقٍ﴾

فما سبب هذا الاختلاف؟

الجواب:

١ نقول أولاً إن الفرق بين (الذي) و(ما) مع أن كليهما اسم موصول أن (الذي) اسم موصوب مختص فهو مختص بالمفرد المذكور .

وأن (ما) اسم موصول مشترك مشترك فيه للمذكر والمؤنث المفرد والمثنى والجمع .

رأه حدد الأهواء في البقرة وعينها بقوله : ﴿وَلَنْ تَرْضَى عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَى حَتَّى تَسْخَ مَلَّتَهُمْ﴾ .

ولم يحددها في الرعد بل أطلقها غير أنه قل قبل هذه الآية ﴿وَمِنَ الْأَحْرَابِ مَنْ يُكَرِّبُ بَعْضَهُ﴾ ولم يذكر هذا البعض .

فجاء مع ذكر الأهواء المخصصة بالاسم الموصول المحتص وهو (الذي) .

وجاء مع ذكر لأهواء العامة بالاسم الموصول المشترك وهو (ما) .

ثم إن لعلم المذكور في كل من الآيتين مرتبط بالسياق اندي ورد فيه ، فالمقصود بالعدم في قوله : ﴿وَلَنْ يَبْعَثَ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ﴾ هي آية البقرة لعدم بدين الإسلام وهو هدى لله وهو ما يقابل ملة اليهود والنصارى وهو معلوم .

وأما العلم المذكور في آية الرعد فلم يعين ولم يحدد وهو ما يقابل ﴿وَمِنَ الْأَحْزَابِ مَن يَبْكَرُ بَعْثُهُ﴾ فلم يذكر الأحزاب ولم يذكر البعض الذي تذكره. فحاء في العلم المحدد المعلوم بالاسم الموصول المختص وهو (الذي). وجاء في غير العين بالاسم الموصول المشترك وهو (ما) فنسب كل تعبير موضعه.

٢ - وأما من ناحية الفاصلة في كس من الأيتين فإنه قال في البقرة: ﴿مَا لَكَ مِنْ آلِهَةٍ مِن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾.

وقال في الرعد ﴿مَنْ لَكَ مِنَ اللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا وَاقٍ﴾. والواقى أعم من النصير، فلواقى هو الحافظ، و(وقى) معناه: (حفظ).

والرقي يكون عقلاً أو غيره، فقد يكون من الجمادات أو غيرها، فالسقف واق، والملابس واقية، قال تعالى: ﴿سَرَابِيلٌ تَقِيكُمُ الْحَرَّ وَسَرَابِيلٌ تَقِيكُمُ الْأَسْخَمَ﴾ (سج ٨١).

وأما النصير فلا يكون إلا عقلاً قادراً، فجعل العم وهو (الواقى) مع العام وهو عموم الأهواء، والاسم الموصول المشترك (ما)، وجعل الخاص مع الأهواء المحددة، والاسم الموصول المختص وهو (الذي).

٣ إن النصير يصير صاحبه على الخصم والعدو ويمكّنه منه، وأما الواقى فإنه يحفظه منه وقد لا يتمكن من نصره.

فوجود النصير أعم في النعمة من وجود الواقى؛ لأنه ينصره، وإذا نصره فقد وقاه، وإذا عدم النصير فإنه لا يرال مطلوباً لخصمه أو مهصوماً حقه حتى مع وجود ما يحفظه أو من يحفظه، فإن الحافظ قد يخفي من يحمضه في مكان لا يعلمه خصمه أو لا يصل إليه.

فجعل نفي النصير وهو لنعمة الأتم مع الورد الأعظم وهو ترك مله

الإسلام إلى ملة اليهود أو النصارى، وجعل نفي الواقي اندي هو دون ذلك مع ما هو أقل وهو إنكار بعض الأحزاب بعض ما أنزل إليه.

وقد تقول: لقد قلت في النقطة السابقة إن الواقي أعم من النصير، وإن مدلول الكلام ههنا أن النصير أعم لأنه ينصر صاحبه، وإذا نصره فقد وقاه، فهو وافي ونصير؟

واضح أنه لا ناقص بين المربين، فإن النصير لا بد أن يكون عاقلاً قادراً والمصور عليه لا بد أن يكون عاقلاً قادراً فهو مختص بذوي العلم والقدرة نصراً ومنصوراً ومصوراً عليه، فلا تقول: هو نصيره من العقرب، أو من الحمار أو من البرد ونحو ذلك.

وأما الواقي فهو عام بمقدار يكون عاقلاً أو غيره، وكذلك ما تقيه منه فقد يكون عاقلاً أو غيره.

وما تقيه قد يكون عاقلاً أو غيره، فإنك قد تقي بضاعة من التلف، وملابس من الوسخ، وماء من القذر ونحو ذلك، فلا الواقي ولا ما تقيه ولا ما تقيه به يشترط أن يكون عاقلاً بخلاف النصير، فإن النصرة مختصة بالعقلاء وليست كذلك لوقاية، فاتضح ما قلناه.

٤ - ثم إن سياق كل آية يقتضي فاصلتها التي وردت فيها من جهة أخرى، فقد قال في آية البقرة: ﴿وَلَنْ تَرْضَى عَنْكَ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى حَتَّى تَبِيعَ مِلَّتَهُمْ﴾ فإد تبيع ملتهم كان منهم، وأهل الملة ينصرون أتباعهم على غيرهم من أصحاب الملل الأخرى، فنفي النصير عنه.

وأما آية الرعد فلم يذكر فيها ذلك وإنما قال: ﴿وَمِنَ الْأَخْرَابِ مَنْ يُنْكِرُ بَعْضَهُ﴾ فإد تبيع أهواءهم في ذلك أبعض فإنه قد لا يقتضي النصرة ومحاربة أعدائه من أجل ذلك البعض الذي قد يكون هيناً، ولكن ربما يحفظونه إذا

وقع في شدة أو أمر عما هو دونه الدخول في مجابهة عدوه فتى الراقى.
فناسب كل تعبير موضعه كما هو ظاهر.

٥ - هذا ومن الطرف أن يذكر أن كلمة (نصير) وردت في البقرة مرة في هذه الآية ومرة في الآية السابعة بعد المائة. ولم ترد في سورة الرعد. وأن كلمة (واق) وردت في سورة الرعد مرتين، مرة في هذه الآية، ومرة في الآية الرابعة والثلاثين، ولم ترد في البقرة، فناسب ذلك من جهة أخرى

٦ - هد علاوة على تناسب فواصل الايات في كل سورة، فاية البقرة تنسب فصلتها فواصل الآيات التي وردت في سياقها من مثل ﴿الْجَحِيمُ﴾، و﴿الْخَاسِرُونَ﴾، و﴿لَعَالَمِينَ﴾. وفاصلة آية الرعد تناسب فواصل الآيات التي وردت في سياقها من مثل: ﴿مُنَافٍ﴾ و﴿الْكِتَابُ﴾ و﴿الْحِسَابُ﴾، فناسب كل تعبير موضعه الذي ورد فيه من كل جهة، والله أعلم.



٩ - هل تعالى في سورة البقرة: ﴿وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنْتَ عَلَيْهَا إِلَّا لِنَعْلَمَ مِنْ يَتَّبِعُ الرَّسُولَ مِمَّنْ يَنْقَلِبُ عَلَيَّ عَاقِبَتُهُ وَإِنْ كَانَتْ لَكِيسَةٌ إِلَّا عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ﴾ (١٤٣).

وقال في سورة الأنعام: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ فَإِنْ يَكْفُرْ بِهَا هَؤُلَاءِ فَقَدْ وَكَلْنَا بِهَا قَوْمًا لَيْسُوا بِهَا بِكَافِرِينَ﴾ (٨٩) أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهِدَاهُمْ أَقْبَدَهُمْ (٨٩، ٩٠)

وقال في سورة الزمر: ﴿وَالَّذِينَ اجْتَنَسُوا الطَّاغُوتَ أَنْ يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوا إِلَى اللَّهِ لَهُمُ الْبَشَرَىٰ فِي شَرِّ عِبَادِ﴾ (١٧) الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُولَئِكَ هُمْ أُولُوا الْأَلْبَابِ﴾ (١٧، ١٨)

سؤال: لماذا قال في آية البقرة ﴿إِلَّا عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ﴾، فحذف العائد

على (الذين) من الفعل (هدى).

وكذلك في آية الأنعام فقد قال: ﴿أَوَلَيْكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ﴾، ولم يقل: (هداهم الله).

في حين قال في آية الزمر: ﴿أَوَلَيْكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ﴾ فذكر العائد وهو الضمير (هم) المتصل بالفعل (هدى)؟

الجواب: إن هـ السووع من الحذف إنما هو من الحذف الكثير في اللغة، والفرق بين الذكر والحذف أن الذكر يفيد التوكيد كما هو معلوم، ومعنى ذلك أن قوله: ﴿أَوَلَيْكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ﴾ أكد من قوله: ﴿الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ﴾ لأنه صرح بذكر الضمير

أما الفرق بين آية البقرة وآية الزمر فإن آية الزمر تقتضي التوكيد أكثر من آية البقرة وذلك أن آية البقرة إنما هي في تحويل القبلة

وأما آية الزمر فيها فيمن يستمعون القول فيتبعون أحسنه، وهؤلاء على درجة كبيرة من الهدى فإنهم لا يكتفون باتباع الحسن وإنما يتبعون الأحسن، ثم إنه جاء معهم بالفاء فقال: ﴿فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ﴾ ولم يأت (ثم)، والفاء تدعى الترتيب والتعقيب فإنهم بمجرد سماع القول يتبعون الأحسن

وقال: (يتبعون) مصارع (اتبع) بتضعيف التاء وهو على وزن (افتعل) لدال على المبالغه في الاتباع ولم يقل (يتبعون) بالتحفيف، وهذه مرتبة عظيمة أعلى من مجرد اتباع القبلة لأن اتباع القبلة إنما هو من استماع القول واتباعه فهو واحد من الأمور المطلوبة.

فهذا المذكورين في زمر أعلى وأكد لأنها تشمل ما ذكره في آية البقرة وغيره مما يريد الله.

ولذا كان التوكيد في زمر هو المناسب.

وأما آية الأنعام فهي في جمع من رسل الله وأنبيائه وفيهم أولو العزم .
ولا شك أن هؤلاء أعلى من المذكورين في آية الرمر .

قد تقول . ولماذا إذن لم يذكر الضمير مع فعل الهداية مع أنهم أولى
بالتوكيد من غيرهم ؟

والجواب : بربنا ذكر كل أحول لهداية مع هؤلاء الدين ذكرهم في
سياق آية الأنعام ، واستعمل كر أتروع التعدية لفعل الهداية .

فقد عدى الفعل إلى المفعول مبشرة بأسمائهم الطاهرة ، فقال . ﴿وَنُوحًا
هَدَيْنَا مِن قَبْلُ وَمِن ذُرِّيَّتِهِ دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ .﴾ إلخ .

فعطف هؤلاء لآسياء والرسل على نوح الذي هو مفعول (هدينا) أي
ومن ذريته هدينا سليمان ويوب ويوسف . . . إلخ

ثم عدى الفاعل إلى ضميرهم أيضاً فقال : ﴿وَأَحْسَيْنَاهُمْ وَهَدَيْنَاهُمْ إِلَى
صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ (٨٧) . فقال : ﴿هَدَيْنَاهُمْ﴾ فعدى الفعل إلى ضميرهم كما
قال ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ﴾ وراى على ذلك الاجتهاء

وهم يكتب بذك يل قل أيضاً : ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ﴾ وحذف مفعول
(هدى) وهو الضمير العائد على الرسل فجعل الكلام على صورة لطلق
فأطلق المعنى ، إذ يحتمل هذا التعبير معنيين

لأول : أولئك الذين هداهم الله وهو الأظهر .
والثانى : أولئك الذين هدى الله بهم .

فصار المعنى أولئك الذين هداهم الله وهدى بهم ، ولو ذكر الضمير بدل
على معنى و حد ، فتسمع المعنى بالحذف .

ولا شك أن هذا المعنى أوسع من ذكر الضمير وأمدح لهم .

فزاد على ما ذكره في الزمر بالتعدية إلى المفعول المباشر وهو الاسم الظاهر ، وبالحذف للدلالة على الإطلاق واتساع المعنى .

ثم إنه ذكر من الهداية ما لم يذكره في الآيتين .

فقد ذكر الهداية العامة . وهو قوله : ﴿وَنُوحًا هَدَيْنَا مِنْ قَبْلُ وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِ دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ﴾ . إلخ ، ولم يخص الهداية بأمر معين .

ثم ذكر أنه هداهم إلى صراط مستقيم فقل : ﴿وَأَجْنِسَاهُمْ هَدْيًا هُتَمُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ وهذه هداية أخرى .

ثم أفاد بالحذف أنه هداهم وهدي بهم .

هد من ناحية ، ومن ناحية أخرى أنه أسند فعل الهداية مع رسل الله مرة إلى ضمير التعظيم ، فقال : ﴿وَنُوحًا هَدَيْنَا مِنْ قَبْلُ وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِ دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ﴾ . إلخ . وقال ﴿وَهَدَيْنَاهُمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ .

وأسنده مرة أخرى إلى اسمه الجليل وهو اسمه العلم فقال : ﴿أَوَلَيْكَ هَدَى اللَّهُ﴾

في حين أسنده في الآيتين الآخرين إلى اسمه العلم ، فزاد الإسناد مع الرسل على ما في الآيتين الآخرين

هذا علاوة على ما ذكره من التعظيم لأنبيائه ما لم يذكره مع الآخرين من نحو قوله : ﴿وَكَلَّا فَصَلَّائًا عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ (٨٦) .

وقوله ﴿وَأَجْنِسْنَاهُمْ هَدْيًا هُتَمُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ فزاد الاجتباء على الهداية .

وقوله : ﴿أَوَلَيْكَ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ﴾ (٨٩)

وقوله: ﴿فَيَهْدَاهُمْ أَقْتَدَهُ...﴾ (٩).

فما سب كل تعبير موضعه

وقد تقول: ألا يحسن الحذف في آية البقرة وهي قوله: ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ لَكِبْرَةً إِلَّا عَلَىٰ آلِهِ الَّذِينَ هَدَىٰ اللَّهُ﴾ ما ذكرته في قوله: ﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ هَدَىٰ اللَّهُ﴾ فيكون المعنى: لا على الذين هداهم الله وهدى بهم، فيتسع المعنى، فيكون مَنْ ذَكَرَهُمْ فِي السُّقْرَةِ أَعْلَىٰ مَنْ ذَكَرَهُمْ فِي الزُّمَرِ نظير ما ذكرته في آية الأنعام؟

والجواب: إن لسياق يأبى ذلك، فإن هذه الآية في تحويل القبلة إلى الكعبة بعد أن كانت إلى بيت المقدس، ويكفي في ذلك أن يتجه المسلم إلى الكعبة في صلاته، وأن يهديه الله للرصد بذلك سواء كان يهدي الآخرين أم لا، وسواء كان عالماً أم لا

فمن رصي بذلك واتجه إلى القبله، شملته الآية أياً كان فلا يصح تفسير ما ذكره.

وقد تقول: وَبِمَ لَمْ يَحذف الصمير في آية الرمر فيقول ﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ هَدَىٰ اللَّهُ﴾ لشمل الذين هداهم الله وهدى بهم، فيكون أصح لهؤلاء كما فعل في آية الأنعام؟

والجواب: إن ذكر الصمير ههنا من رحمة الله بنا، ولو حذفه لكانت البشرية لا تنال إلا مَنْ هداه الله وهدى به، فيكون ممن جمع بين الأمرين، ولا تنال مَنْ هداه الله ولم يهد به، تذكر لضمير فإد بصاً أن الشرى تال مَنْ هداه الله، وأن ذلك كافٍ لأن تناله بشرى ربنا.

وهذا من رحمته سبحانه بعباده، والحمد لله رب العالمين.

١٠- قال تعالى في سورة البقرة ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا آتَانَا مِنْ آيَاتِ
وَالْهُدَى مِنْ غَدٍ مَا يَنْتَهِ لِنَاسٍ فِي الْكِتَابِ أُولَئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ ﴿٥٩﴾
إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَبَيَّوْا فَأُولَئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَأَنَا التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴿٦٠﴾

(١٥٩ ، ١٦٠)

وقال فيهم أيضاً: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَرَاءُ أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ اللَّهِ
وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿٦١﴾﴾ حالدين فيها لا يخفف عنهم العذاب ولا هم
يُسْأَلُونَ ﴿٦٢﴾﴾ (٦١ ، ٦٢) .

نقال في الآية الأولى ﴿أُولَئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ﴾ بصيغة
الفعل

وقال في الآية الثانية. ﴿وَأُولَئِكَ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾
بالصيغة الاسمية قَلِمَ ذلك؟

والجواب: إن الآءة الأولى قِلت فيمن كان لا يزال في حياة الدنيا فحاء
بافعل (يكتُمون) مضارعاً، وجاء بفعل اللعنة مضارعاً أيضاً، فما داموا
يكتُمون ما أُرل لله نصيبهم اللعنة إلا الذين تابوا وُصلحوا وبيَّووا، فأُولئِكَ
يتوب الله عليهم

وهذه هو المناسب لفعدهم فاللعنة تستمر ما دام الكتمان مستمراً.

وأما الآءة الثانية فنزبت في الذين ماتوا على الكفر، وقد انقطعت
أعمالهم وشتوا على حالة واحدة لا يرجى لهم تدبيل ولا بغير فحاء باللعنة
بالصيغة الاسمية للدلالة على لثوت، فتاسب كل تعبير مكانه الذي ورد فيه.



١١- وقل تعالى في سورة ليله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا
رَزَقْنَاكُمْ وَاشْكُرُوا لِلَّهِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ﴾ (١٧٢).

وقال في سورة النحل: ﴿فَكُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ حَلالًا طَيِّبًا وَاشْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ إِذْ كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْدُونَ﴾ (١١٤)

سؤال: لماذا قال في آية البقرة: ﴿وَاشْكُرُوا لِلَّهِ﴾ فأمر بالشكر لله . وقال في آية النحل: ﴿وَاشْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ﴾ فأمر بشكر النعمة؟

الجواب: إن السياق الذي وردت فيه آية لبصرة إنما هو في الكلام على الله ، والسياق الذي جاءت فيه آية النحل في الكلام على النعم .

فقد قال تعالى في سياق آية البقرة: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّوهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ وَلِیَ الَّذِینَ ظَلَمُوا إِذْ یُرَوْنَ الْعَذَابَ أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ حَمِیْعًا وَأَنَّ اللَّهَ شَدِیدُ الْعَذَابِ﴾ (١١٥).

وقال قبل الآية: ﴿وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا كَمَثَلِ الَّذِي يَتَّقُ بِمَا لَا یَسْمَعُ إِلَّا دَعْوًا وَبِدَاءَ صَمٍّ لَّکُمْ عَمِیٌّ فَهُمْ لَا یَعْقِلُونَ﴾ (١٧١).

فللكلام كما ترى على الله وعلى ما يدعوه الكفار من الآلهة ، فناسب الأمر شكر الله

وأما آية النحل فهي في سياق النعم . فقد قال قبل الآية: ﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ أَمَةً مَّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِنْ كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعَمِ اللَّهِ فَأَذْهَبَ اللَّهُ لَهَا لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْهَرَفِ بِمَا كَانُوا یَصْنَعُونَ﴾ (١١٢)

فذكر القرية التي كفرت بأنعم الله فأذهبها الله لباس الجوع والحراف فناسب الأمر يشكر النعمة لئلا يصيبهم ما أصاب من قبهم .

هذه إضافة إلى أن كلمة (النعمة) وردت في سورة النحل أكثر مما وردت في سورة البقرة ، فقد وردت في سورة البقرة ست مرات ، ووردت في النحل تسع مرات ، فتناسب كل تعبير مكانه من جهة أخرى .

١٦ - قال تعالى في سورة البقرة: ﴿وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ حَوْلَيْ كَامِلِينَ أَوْ أَرَادَ آبُ بَنِي الرِّضَاعَةِ وَعَلَى الْمَوْلُودِ لَهُ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾ (٢٣٣).

سؤال:

- ١ - لماذا قال ﴿وَعَلَى الْمَوْلُودِ لَهُ﴾ ولم يقل: (وعلى الوالد)؟
 - ٢ - ولماذا قال: ﴿وَالْوَالِدَاتُ﴾ بالجمع وقال: ﴿وَعَلَى الْمَوْلُودِ لَهُ﴾ بالإنفراد؟
 - ٣ - ولماذا قال: ﴿وَعَلَى الْمَوْلُودِ لَهُ رِزْقُهُنَّ﴾ ولم يقل: (وعلى الوالدات أن يرضعن) كما قال في الوالد؟
- الجواب:**

- ١ - بالنسبة إلى السؤال الأول فإنه قال: ﴿وَعَلَى الْمَوْلُودِ لَهُ﴾ دون الوالد للدلالة على أن الأولاد لأبَاء لا للأمهات ولهذا يُنسبون إليهم دونهن كأنهن إماء ولدن لهم فقط^(١).
 - ٢ - وأم بالنسبة إلى السؤال الثاني فإنه عبر بـ (والوالدات) على صيغة الجمع دون المولد له للكثرة النسبية، فإن المولودات أكثر من الآباء لأن الأب قد تكون له أكثر من زوجة وكلهن يلدن والولد واحد.
 - ٣ - وأما بالنسبة إلى السؤال الثالث، فإنه قال: ﴿وَعَلَى الْمَوْلُودِ لَهُ رِزْقُهُنَّ﴾ ولم يقل: (وعلى الوالدات أن يرضعن) لأن الزوج مكلف بالزوجة والكسوة للزوجات، أما الزوجة فلا يجب عليها أن ترضع أولادها وهي غير مكلفة بذلك، بل لها أن تمتنع عن إرضاع ولدها فيبحث له والده عن مربية كما قال تعالى ﴿وَإِنْ تَعَايَرْتُمْ فَتَرْضِعْهُ أَوْ أُخْرَى﴾ (الطلاق ٦).
- ولهذا لم يقل: (وعلى الوالدات أن يرضعن) كما لم يقل: (والوالدات ليرضعن) بلام الأمر وإنما قال: ﴿وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ﴾.

(١) فتح المقيس (١/٢٤٥).

١٣ - قال تعالى ﴿حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَى وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ﴾ (٢٣٨) فَإِنْ خِفْتُمْ فَرِجَالًا أَوْ رُكْبَانًا فَإِذَا أَمِيتُمْ فَأَذْكُرُوا اللَّهَ كَمَا عَلَّمَكُمْ مَا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ ﴿٢٣٩﴾ (سورة البقرة ٢٣٩، ٢٣٨)

سؤال: لماذا وسط ربنا هذه الآية بين أحداث الطلاق والوفاة، فإن قبلها: ﴿لَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِنْ طَلَقْتُمْ نِسَاءَ مَا لَمْ تَمْسُوهُنَّ أَوْ تَقْرُبُوا لَهُنَّ فَرِيضَةٌ وَمِمَّا عَلَّمَكُمُ اللَّهُ عَلَى أَنْفُسِكُمْ فَادْرَءُوا إِلَيْهَا قُدْرَتَكُمْ عَلَى الْأُمُورِ﴾ (٢٣٧) وَإِنْ طَلَقْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَمْسُوهُنَّ ﴿٢٣٨﴾ (٢٣٧، ٢٣٨).

وبعدها: ﴿وَالَّذِينَ يَتَّبِعُونَكُمْ يَحْلِلْهُمْ وَإِذَا طَلَقْتُمْ نِسَاءَكُمْ فَادْرَءُوا إِلَيْهَا قُدْرَتَكُمْ عَلَى الْأُمُورِ﴾ (٢٤٠)؟

الجواب:

١ - إن المشكلات بين الزوجين قد تزدى إلى أن يحيف أحدهما على الآخر، وينتصر لنفسه فيظلم الآخر.

وإن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر كما قال ربنا^(١) فأمرهم بذلك ليرتدعوا ولئلا يبغي بعضهم على بعض.

٢ - ثم إنه أمرهم بالمحافظة على الصلاة لئلا تشغلهم المشكلات لعائلية عنها فيتركوها أو يتهاونوا في أدائها.

وقد أمرهم بالمحافظة عليها في الوقت الذي هو أشد من ذلك، وذلك عند الخوف فقال ﴿فَإِنْ خِفْتُمْ فَرِجَالًا أَوْ رُكْبَانًا﴾ فكيف فيما هو دون ذلك؟

وهذا يدل على عظم هذه الفريضة وأنه ينبغي ألا يشغولهم عنها شغل مهم عظيم.

(١) البقرة الآية (٤٥)

١٤ - قال تعالى في سورة البقرة ﴿فَمَا فَصَلَ طَالُوتُ بِالْجُنُودِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ مُبْتَلِيكُمْ بِنَهَرٍ فَمَنْ شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي وَمَنْ لَمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُ مِنِّي إِلَّا مَنْ اغْتَرَفَ غُرْفَةً بِيَدِهِ﴾ (٢٤٩).

سؤال: لماذا قال: ﴿وَمَنْ لَمْ يَطْعَمْهُ﴾ ولم يقل: (ومن لم يشربه) مع أن الكلام على الماء؟

الجواب: يقال . (طعم) إذا أكل أو ذاق ، وانطعم الذوق وهو يكون في لصعاب والشراب .

يقال طعمه مر أو حلو أو غير ذلك ، ويكون ذئث في كل شيء مما يؤكل أو يشرب^(١)

ثم إن الماء قد يطعم إذا كان مع شيء ممضغ .

ولو قال (ومن لم يشربه) لكان يمتضي أن يجوز تناوله إذا كان في طعام

فلما قال ﴿وَمَنْ لَمْ يَطْعَمْهُ﴾ تبيّن أنه لا يجوز تناوله على كل حال إلا قدر استثنى وهو الغرقة باليد^(٢) .



١٥ قال تعالى في آل عمران على لسان ركبنا عليه السلام حين بشرته الملائكة بيهيم: ﴿قَالَ رَبِّ أُنْثَىٰ يَكُونُ لِي عِلَافٌ وَقَدْ بَلَغَنِي الْكِبَرُ وَامْرَأَتِي عَاقِرٌ قَالَ كَذَلِكَ اللَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ﴾ (٤٠).

وقال على لسان مريم حين بشرتها الملائكة بالمسيح: ﴿قَالَتْ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ

(١) نظر لسان العرب (طعم)

(٢) للمعدنات (طعم)

لِي وَنَدَّ وَلَمْ يُمَسِّسِي سُرًّا قَالَ كَذَلِكَ اللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴿٤٧﴾ (آل عمران: ٤٧).

سؤال:

١ - لماذا قال زكريا: ﴿أَتَنِي يَكُونُ لِي عِلَاقٌ﴾.

وقالت مريم: ﴿أَتَنِي نَكُونُ لِي وَلَدٌ﴾.

فذكر زكريا الغلام، وذكر مريم الولد؟

٢ لماذا قال الله مخاطباً زكريا: ﴿كَذَلِكَ اللَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ﴾.

وقال مخاطباً مريم: ﴿كَذَلِكَ اللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ﴾.

فاستعمل (الفعل) مع زكريا، و(الخلق) مع مريم؟

الجواب:

١ أما بالنسبة إلى استعمال العلام مع زكريا فهو المناسب، لأن الله شره يحيى، فإن تعالى: ﴿فَنَادَتْهُ الْمَلَائِكَةُ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْمِحْرَابِ أَنَّ اللَّهَ يُنْزِلُ رُوحَهُ بِحُجَّتٍ مِّنْ مَّوَدِّعِهِ مِّنْ أَمْرِهُ﴾ (٣٩) ويحيى علام.

أما بالنسبة إلى استعمال الولد مع مريم فهو المناسب أيضاً ذلك أن الله شرها بكلمة منه اسمه المسيح، قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ﴾ (٤٥)، والكلمة أعم من العلام فهي تصح لكن ما أراد الله أن يكون، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ (يس ٨٢)، والولد أعم من العلام، فالولد يُقال للذكر والأنثى، والمفرد والجمع، قال تعالى: ﴿إِنْ تَرَوْا قُلُوبًا أَمَّا أَقْلُ مَكْ مَالًا وَلَوْلَا (٣٩) فَعَسَىٰ رَبِّي أَنْ يُؤْتِيَنِي خَيْرًا مِّنْ حَبْتِكَ﴾ (الكهف: ٣٩).

ولما شره بالكلمة وهي عامة سألت بما هو أعم من العلام وهو الولد، فناسب العموم العموم والخصوص الخصوص.

ألا ترى في سورة مريم حين بشرها رسول ربها بالعلام قائلًا ﴿إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ عَلَامًا زَكِيًّا﴾ (مريم ١٩)
 قالت ﴿أَنَّى يَكُونُ لِي عَلَامٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ﴾ (مريم ٢٠). فناسب كل
 تعبير مكانه.

٢ وأما قوله مخاطبًا زكريا ﴿كَذَلِكَ اللَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ﴾، وقوله مخاطبًا
 مريم ﴿كَذَلِكَ اللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ﴾ فهو المناسب أيضًا.
 ذلك أن الفعل أيسر من الخلق. فالفعل عام، ألا ترى أنه قد يقول لك
 قائل: لِمَ فعلت كذا؟ وبم فعلت كذا؟ فتقول أنا أفعل ما أشاء.
 ولا يصح أن تقول: (أنا أخلق ما أشاء) فإنك لا تستطيع ذلك.
 هذا وإن بعاد الذرة من أبوين مهما كان شأبهما أيسر من إيجادها من
 أم بلا أب.

فناسب ذكر الفعل الذي هو أيسر من الخلق مع زكريا.
 وناسب ذكر الخلق مع مريم التي لم يمسهما بشر.



١٦. قل تعالى في آل عمران ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَأَعْدِبْهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا
 فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمَا بِهِمْ مِنْ نَاصِرِينَ﴾ (٥٦) وَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ
 فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ وَاللَّهُ لَا يَحِبُّ الظَّالِمِينَ﴾ (٥٧، ٥٦)

سؤال: لماذا قال في الآية الأولى ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَأَعْدِبْهُمْ﴾ بإسناد
 التعذيب إلى ضمير المتكلم. وقال في الآية الثانية ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا
 الصَّالِحَاتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ﴾ بإسناد توفية الأجور إلى الغائب ولم يقل:
 (فأوفيهم أجورهم) فيكون الكلام على نسق واحد

الجواب: إن الآية الأولى في سياق كلام الله سبحانه عن نفسه قل تعالى: ﴿إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنِي مَرْيَمَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَجَاعِلِ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى يَوْمِ لِقَايَةِ تَمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأَحْكُمْ بَيْنَكُمْ فِيمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ (٥٥)﴾ فَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا ﴿٥٦﴾ (٥٦، ٥٥).

فإنَّ استناد التعذيب إلى نفسه جرياً مع سياق الحديث عن النفس. وأما الآية الثانية فهي في مقام الالتفات إلى الغائب وذلك ليكون مدحاً إلى قوله تعالى ﴿وَلِلَّهِ لَا يَحِبُّ الظَّالِمِينَ﴾ فإنه لو لم يلتفت لقال: (وأما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فأوفى بهم أجورهم وأنا لا أحب الظالمين). ولم يرد فعل الحب من الله في القرآن إثباتاً أو نفيًا مسدداً إلى ضمير المتكلم أي إن الله سبحانه وتعالى لم يقل في جميع القرآن مخبراً عن نفسه بنحو (وأنا لا أحب الظالمين أو المعتدين) أو: (وأنا أحب الصابرين أو المحسنين) بل يسد ذلك إلى لفظ اجمالة في الأغلب أو إلى ضميره كأن يقول: (إنه لا يحب المسرفين) أو: (إنه لا يحب المعتدين). فالمناسب هو الالتفات وليس الاستمرار بالحديث عن النفس.



١٧ - قال تعالى في آل عمران: ﴿فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَا مُسْلِمُونَ﴾

(١١)

وقل في سورة هود: ﴿قَالَ إِنِّي أَشْهَدُ اللَّهَ وَاشْهَدُوا إِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ (٥٤) مِنْ دُونِهِ﴾ (٥٤، ٥٥).

سؤال: لماذا قال في آية آل عمران: ﴿اشْهَدُوا بِأَنَا مُسْلِمُونَ﴾ فجاء بالباء

مع (أنا) ولم يذكرها في قوله: ﴿وَاشْهَدُوا أَنِّي بَرِيءٌ﴾ فلم يقل: (بأنّي بريء) مع أن الفعل فيهما واحد وهو قوله: (اشهدوا)؟

الجواب: إن الباء مقسرة في قوله تعالى: ﴿وَاشْهَدُوا أَنِّي بَرِيءٌ﴾ والمصدر المؤول منصوب على نزع الخافض لأن (شهد) بهذا المعنى يتعدى بالباء وذلك نحو قوله تعالى: ﴿إِلَّا مَنْ شَهِدَ بِالْحَقِّ﴾ (الزمر: ٨٦). وقوله: ﴿وَمَا شَهِدْنَا إِلَّا بِمَا عَلَّمْنَا﴾ (يوسف: ٨١).

ومعلوم أن الذكر أقوى وأكد من حذف فقوله: ﴿اشْهَدُوا بَأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ أقوى وأكد من قوله: ﴿وَاشْهَدُوا أَنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ﴾. وسياق كل من الآيتين يوضح ذلك.

قال تعالى في آل عمران: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ (٦٤).

وقال في سورة هود: ﴿إِنْ نَقُولُ إِلَّا اعْتَرَاكَ بَعْضُ آلِهَتِنَا بِسُوءٍ قَالَ إِنِّي أُشْهِدُ اللَّهَ وَاشْهَدُوا أَنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ (٥٤) مِنْ دُونِهِ فَكِيدُونِي جَمِيعًا ثُمَّ لَا تُنْظَرُونَ﴾ (٥٤، ٥٥).

ومن النظر في كل من الموضعين يتضح أن ما ذكره رسول الله في آل عمران أكثر مما قاله نبي الله هود في سورة هود.

فقد قال في آل عمران:

١ - ﴿أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ﴾

٢ - ﴿وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا﴾.

٣ - ﴿وَلَا يَتَّخِذُ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾.

وأما هي هود فقد ذكر البراءة من الشرك فقط فقال: ﴿أَبِي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ (٥٤) مِنْ دُونِهِ﴾، وهو واحد مما جاء في آل عمران.

ثم لو نظرنا فيما جاء عن الشرك في كل الموضعين لوجدنا أن ما في آل عمران أقوى وأعم فقد قال فيها ﴿وَلَا تُشْرِكْ بِهِ شَيْئًا﴾ أي: أي شيء كان، وهذا التعبير يحتمل معنيين لا شرك به شيئاً من الشرك ولا تشرك به شيئاً من الأشياء.

في حين قال في هود: ﴿أَبِي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ (٥٤) مِنْ دُونِهِ﴾ فإنه ذكر لبراءة مما يشرك قومه. فكان ما في آل عمران أعم وأشمل لأنه نفى كل أنواع الشرك ويدخل فيه ما ذكره في هود.

فكان ما في آل عمران أقوى وأكد وأعم فناسب ذكر الباء فيه، ولما كان ما في هود جزءاً مما ذكر في آل عمران ناسب الحذف، والحذف في نحو هذا قياس كما هو معلوم.



١٨ قال تعالى في آل عمران: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مِنْ اسْتِطَاعٍ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ عَنِّي وَعَنْ عَالَمِينَ﴾ (٩٧).

سؤال: من المعلوم أن الحج عبادة مأمور بها المسلمون وهي ركن من أركان الإسلام، فلماذا قال: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ﴾ فقال: (على الناس)، والناس فيهم الكافر والمسلم، ولم يقل: (على المسلمين) أو (على المؤمنين) كما قال تعالى في الصيام: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ﴾ (البقرة: ١٨٣)، وكما قال في الصلاة: ﴿إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَوْقُوتًا﴾ (النساء: ١٠٣) فذكر المؤمنين؟

الجواب:

١ قال تعالى قبل هذه الآية : ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِلْعَالَمِينَ﴾ (آل عمران: ٩٦) ، فذكر أن هذا البيت إنما وضع للناس فناسب أن يدعو الناس إلى حجه .

وقال : ﴿مُبَارَكًا وَهُدًى لِلْعَالَمِينَ﴾ فذكر العالمين فناسب ذلك أيضًا أن يدعو العالمين إلى حجه .

وقال ﴿وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ عَنِّيَ عَنِ الْعَالَمِينَ﴾ فذكر العالمين أيضًا فناسب ذلك من جهة أخرى أن يدعو العالمين إلى حجه .

٢ إن هذه الفريضة تختلف عن بقية الفروض من صلاة وصيام وركعة ، فإن هذه المرائض مأمور بها الأنساء السابقون وأتباعهم فقد قال في الصيام : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ﴾

فذكر أن الصيام كتب علينا كما كتب على الذين من قبلنا ، ولو قال : (لله على لباس أن يصوموا) لقال أصحاب الديانات الأخرى أو كثير منهم : نحن نصوم فنحن قائمون بما أمر الله به .

ولو قال : (وش على الناس إقامة الصلاة) لقال كثير من أهل الملل من أهل الكتاب وغيرهم : نحن نقيم الصلاة ، فإن الصلاة عبادة مأمور بها الأنبياء وأتباعهم .

قال تعالى في سيدنا موسى : ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ وَأَخِيهِ أَن تَبَوَّءَا لِقَوْمِكُمَا بِمِصْرَ بُيُوتَ وَاجْعِلُوا بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً وَقِيمُوا الصَّلَاةَ﴾ (يوس: ٨٧) .

وقال على لسان سيدنا إبراهيم : ﴿رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ دَرِيتِي بَرَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِدَّةَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لَتَجْعَلْنَا لِقَوْمِ الصَّلَاةِ﴾ (إبراهيم: ٣٧) .

١٩- قل تعالى في سورة آل عمران ﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكْفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ فَسَوْفَ الْعَذَابُ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ (١٠٦) وَأَمَّا الَّذِينَ أَبْيَضَتْ وُجُوهُهُمْ فَمِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ (١٧-١٠٦).

سؤال: لماذا تقدم أولاً من تبيض وجوههم على من تسود فقال: ﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ﴾، ثم تقدم بعده من تسود وجوههم على من تبيض، فقال: ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ﴾ وقال بعده: ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ أَبْيَضَتْ وُجُوهُهُمْ﴾.

وكان المظنون أن يكون التفصيل على نسق ما بدأ، فيقول أولاً ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ أَبْيَضَتْ وُجُوهُهُمْ﴾ ويقول بعده ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ﴾ نظير قوله تعالى في سورة هود: ﴿فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وَسَعِيدٌ (١٠٥) فَأَمَّا الَّذِينَ شَقُوا فَفِي النَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ . . . وَأَمَّا الَّذِينَ سَعَدُوا فَفِي الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا﴾ (١٠٥-١٠٨).

فإيه لما قال ﴿فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وَسَعِيدٌ﴾ فقدم الشقي كان التفصيل على نسق ذلك، فقال: ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ شَقُوا﴾ فقدم الذين شقوا على الذين سعدوا فما الفرق؟

الجواب: إن التقديم وتأخير في كل عمران جرى بحسب القرب والعد، فمن كان قريباً قدم القول فيه، ومن كان بعيداً أخر القول فيه.

وبضاح ذلك أن الكلام كان على صنفين من الناس أحدهما مخاطب والآخر عائب، ولا شك أن المخاطب أقرب من العائب فقدم ما يتعلق بالمخاطب وأخر ما يتعلق بالعائب.

وبيان ذلك أن السياق في كل عمران إنما هو في خطاب المؤمنين فقد خاطبهم بقوله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَطِيعُوا فَرِيقًا مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ يَرُدُّوكُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ كَافِرِينَ﴾ (١٠٠). ويستمر الكلام في خطابهم فيقول: ﴿وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنْتُمْ تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ يَاتُ اللَّهُ وَفِيكُمْ رَسُولُهُ ...﴾ (١٠١) ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ (١٠٢) وَاغْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا ...﴾ (١٠٣) وَلَنْ تَكُن مِّنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ ...﴾ (١٠٤) وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُوثِّتَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ (١٠٥) يَوْمَ تَبْيَضُ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُ وُجُوهٌ ...﴾ (١٠٦-١٠٧)، فالمؤمنون هم المخاطبون وهم الذين تبيض وجوههم.

والذين تفرقوا واختلموا هم الذين تسود وجوههم وهم في السياق غائبون، ألا ترى إلى قوله: ﴿وَأُوثِّتَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ فأخبر عنهم بضمير الغيبة؟

فتقدم القوم في المخاطبين كما ذكرنا فقل: ﴿يَوْمَ تَبْيَضُ وُجُوهٌ﴾.

وأما الكلام بعد ذلك فإن الذين اسودت وجوههم هم المخاطبون فيه، وأما الذين ابيضت وجوههم فهم غائبون.

فقد قال ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكْفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ فَدُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ﴾.

فقد خاطبهم بقوله ﴿أَكْفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ﴾، ﴿فَدُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ﴾.

وأما لذين يبيض وجوههم فهم هنا غائبون فقد قال فيهم: ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ

ابْيَضَتْ وَجُوهُهُمْ فِي رَحْمَةِ اللَّهِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿١٠٠﴾.

فأخبر عنهم بضمير الغيبة.

فقدّم لقول في المخاطبين كما فعل أولاً، فجرى الكلام على نسق واحد في التقديم والتأخير.

وأما التقديم والتأخير في سورة هود فقد جرى على نهج واضح أيضاً، فإن السياق فيها في ذكر الأمم الكافرة الذين عصوا رسلهم وأنزل بهم عقوبات، ثم عقب بعد ذلك بقوله ﴿ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْقُرَى نَقُصُّهُ عَلَيْكَ مِنْهَا قَانَهُ وَحَصِيدٌ (١٠٠)﴾ وما ظلمأهم ولكن ظلموا أنفسهم فما أغنت عنهم آلتهم التي يدعون من دون الله من شيء لما جاء أمر ربك وما زادوهم غير تنبيء ﴿ (١٠١، ١٠٢) ﴾. فالسياق في الأشقياء من الناس فقدّم الأشقياء فقال: ﴿فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وَسَعِيدٌ﴾

وأما التفصيل فيما بعد فقد جرى على نسق م ذكر لأنهم كلهم غائبون فهم بمنزلة وحدة، فقد قال: ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ تَتَّقُوا فَمَا لَكُمْ فِيهَا مِنْ زَفِيرٍ وَتَهْلِكُ﴾.

وقد بعدها: ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ سَعَدُوا فَمَا لَكُمْ فِي الْحِجَةِ خَالِدِينَ فِيهَا﴾ بخلاف ما عليه السياق في آل عسمران فإن منهم مخاطباً ومنهم غائب، فجرى التفصيل في هود على م أحمل، فلما قال: ﴿فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وَسَعِيدٌ﴾ فقدّم الأشقياء فصل الكلام على نسق ذلك، فقال: ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ تَتَّقُوا . . . وَأَمَّا الَّذِينَ سَعَدُوا﴾. فكان كل تعبير مناسباً في سياقه الذي ورد فيه.



٤٠ - قال تعالى في آل عمران: ﴿يَقُولُونَ نَأْفُواهِمْ مَا لِيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ﴾ (١٦٧)، وقال في سورة الفتح: ﴿يَقُولُونَ نَأْلَسْتَهُمْ مَا لِيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ﴾ (١١).

سؤال: لماذا قال في آية آل عمران: ﴿يَقُولُونَ نَأْفُواهِمْ﴾، وقال في الفتح: ﴿يَقُولُونَ نَأْلَسْتَهُمْ﴾؟

الجواب:

إن الأفواه أعم وأشمل من اللسان، فإن اللسان جزء من الفم، والمناسب أنه إذا كان القول كبيراً عظيماً ذُكرت الأفواه وإذا كان أقل ذُكرت اللسان مناسبة لكل حالة.

وعلى هذا فقولهُ: ﴿يَقُولُونَ نَأْفُواهِمْ﴾ يدل على أن يقول أعظم وأكبر، والأمر كذلك

فإن لسياق في آل عمران إنما هو في المتخلفين عن القتال في أحد فقد دُعوا إلى لقتال أو الدفع عن المدينة فامتنعوا قائلين: ﴿لَوْ نَعْلَمُ قِتَالًا لَاتَّبَعْنَاكُمْ﴾، قال تعالى ﴿وَلْيَعْلَمِ الَّذِينَ نَافَقُوا وَقِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْ فَاقتُلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ دَفَعُوا قَالُوا لَوْ نَعْلَمُ قِتَالًا لَاتَّبَعْنَاكُمْ هُمْ لِلْكَفَرِ يَوْمَئِذٍ أَقْرَبُ مِنْهُمْ لِلْإِيمَانِ يَقُولُونَ نَأْفُواهِمْ مَا لِيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يَكْتُمُونَ (٦٧) الَّذِينَ قَالُوا لِإِخْرَاجِهِمْ وَقَعَدُوا لَوْ أَطَاعُوا مَا قَتَلُوا قُلُودَهُمْ عَنْ أَنْفُسِكُمْ انْصَرَفَ إِذْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ (١٦٧، ١٦٨).

وما قيل في معنى قوله ﴿لَوْ نَعْلَمُ قِتَالًا لَاتَّبَعْنَاكُمْ﴾ إنما لا نحسن القتال ولو كنا نحسن القتال لاتبعناكم.

وأما المذكورون في سورة الفتح فهم المتخلفون عن عمرة الخديبية فهم لم يذهبوا إلى العمرة مع الرسول معتلين بلشغل قال تعالى: ﴿سَيَقُولُ لَكَ

الْمُخْتَفُونَ مِنَ الْأَعْرَابِ شَعَلْنَا أَمْوَالَنَا وَأَهْلُونَا فَاسْتَغْفِرْ لَنَا يَقُولُونَ بِأَلْسِنَتِهِمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ فُلْ فَمَنْ يَبْلُغُ لَكُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا إِنْ أَرَادَ بِكُمْ ضَرًّا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ نَفْعًا بَلْ كَانَ اللَّهُ بِمَا نَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿١١﴾.

ومن النظر في السياقين يبين ما يأتي :

١ أن الموقف في آية آل عمران إنما هو في قتال المشركين الذين جاؤوا إلى المدينة .

وما انوقف في آية الفتح فهو في الذهاب إلى العمره ، وليس إلى قتل ، فالموقف في أحد أشد والخطر أظهر .

٢ أن القول في آيات آل عمران أعظم وأكبر مما في الفتح فإنهم قالوا : ﴿لَوْ عَلِمُ قِتَالًا لَّابْعَاكُمْ﴾ فهم كانوا مُصْرِينَ على عدم المشاركة في القتال ، راضين بتعودهم ، ولم يكتفوا بذلك بل كانوا يخذلون غيرهم ويؤيئون لهم القعود . فقد قل عنهم سبحانه إيهم قالوا لإخوانهم : ﴿لَوْ أَطَاعُونَا مَا قُتِلُوا﴾ ، فهم لم يندموا بل كانوا يرون ذلك من بُعد النظر .

وأما المحلفون الذين ذكروا في سورة الفتح فإنهم قالوا : ﴿شَعَلْنَا أَمْوَالَنَا وَأَهْلُونَا فَاسْتَغْفِرْ لَنَا﴾ .

فاعتسروا عن عدم الذهاب إلى العُمره بالشغل ، وأنهم طلبوا الاستغفار من الرسول ، فهم أظهروا للرسول أنهم مُصْرُونَ وأنهم مُذنبون فطلبوا الاستغفار وأنه كان لهم عذر .

ويم يظهر الأولون ذلك بل كانوا راضين بما فعلوا مُخْذِلِينَ لغيرهم غير نادمين ولا طالين لمغفرة .

فقول أصحاب أحد أكبر وأعظم وموقفهم أحضر وأكبر فاسب أن يُذكر فيهم ما هو أكبر وهو الأفواه ، وباسب ذكر الألسنة في آية الفتح .

٢١ - قال تعالى في سورة النساء: ﴿يُرِيدُ اللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ (٢٤) وَاللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ أَنْ يَبْعَثَ الشُّهُوتَ أَنْ تَمِيلُوا مِيلًا عَظِيمًا (٢٥) يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُخَفِّفَ عَنْكُمْ وَخُلِقَ الْإِنْسَانُ ضَعِيفًا (٢٦) (٢٨).

سؤال:

١ - لماذا رتب الآية السادسة والعشرين على هذا النحو - أي قَدَّمَ البيان ثم الهداية ثم التوبة؟

٢ - لماذا قَدَّمَ لفظ الجلالة على الفعل (يريد) في الآية السابعة والعشرين؟

٣ - لماذا عدَّى فعل الإرادة باللام في الآية السادسة والعشرين، وعدَّاه بنفسه في الآية التي بعدها؟

الاجابات:

١ - بالنسبة إلى التقديم ولتأخير في الآية الأولى فإن هذا هو الترتيب الطبيعي، فإنه قَدَّمَ البيان على هداية السنن؛ لأنَّ البيان مقدَّم على الهداية، فالهداية تكون بعد البيان، وإلا فإلى أي شيء يهديه؟

وأما التوبة فهي بعد البيان والهداية، فإنها تكون بعد التقصير في الاتباع، وارتكاب الذنوب والمعاصي.

٢ - قَدَّمَ لفظ الجلالة على الفعل (يريد) في الآية السابعة والعشرين لأكثر من سبب.

منها: أنها محالٌّ ما يُريدُه الذين يتبعون الشهوات.

ومها أن هذا لتقديم يُفيد الاهتمام والتوكيد والمبالغة في إرادة التوبة من الله (١).

ومن جهة أخرى أن هذا التقديم يُفيد إحصار إضافة إلى ما تقدم، فإن التوبة مُختصة بالله حصراً، فلا يتوب غيره على العبد ولا يمكنه ذلك.

قد تقول ولم كان هذا الموضع موضع تأكيد ومبالغة؟

فقول: إن ذلك لأكثر من سبب:

سبب أن التوبة من الله أهم شيء بالنسبة إلى العبد ولا يقوم شيء مقامها، فإنه إذا لم يتب الله على العبد هلك.

ثم إن السياق يدل على ذلك، فقد كرر إرادة التوبة، فقل: ﴿وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ﴾ ثم قال ﴿وَاللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْكُمْ﴾.

وقال إضافة إلى ذلك: ﴿يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُخَفِّفَ عَنْكُمْ﴾ والتوبة من الله تخفيف عن العبد.

ومما يدل على ذلك أيضاً أنه قال: ﴿وَاللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْكُمْ﴾ بمقابل ما ذكره من إرادة الفجار، فقد قال ﴿وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ أَنْ تَمِيلُوا مَيْلًا عَظِيمًا﴾.

وكان المظنون بمقابل ذلك أن يقول (والله يريد أن تستقيموا) مثلاً أو أن تطعوه، فإن الاستقامة تُقابل اميل، ولكنه لم يمل ذلك، وإنما قال: ﴿وَاللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْكُمْ﴾ فنذكر ما هو خف، ولا شك أن ذكر هذه الإرادة بمقابل ما يريده الذين يتبعون الشهوات رحمة وتخفيف.

ثم ذكر أن الإنسان خلق ضعيفاً، والصعيف به حاجة إلى التخفيف ولتوبة من التخفيف.

(١) انظر تفسير البصوي (١٠٩)، روح المعاني (١٢/٥).

ثم إن السياق قبل هذه الآيات في ذكر التوبة، فقد قال ﴿وَالَّذِينَ بَاتِيَاهَا مِنْكُمْ قَادِرُهُمَا فَإِن تَابَا وَأَصْلَحَا فَأَعْرَضْنَا عَنْهُمَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ تَوَّابًا رَّحِيمًا﴾ (٦) **وَأَمَّا التَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِنْ قَرِيبٍ فَأُولَئِكَ يَتُوبُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا** (٧) **وَلَيْسَ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّى إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إِنِّي تُتْتُ الْآنَ وَلَا الَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ** (٨) (١٨)

فاتضح أن سياق الآيات وما قبلها إنما هو في التوبة، فاقنصى ذلك،
لاهتمام والمبالغة في إرادة التوبة

واقنصى تقديم لفظ الخلافة من كل وجه.

قد تقول: لقد اتضح سبب تقديم لفظ الخلافة في قوله ﴿وَاللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْكُمْ﴾ فلم لم يقدم الذين يتبعون الشهوات فيقول. (والذين يبيعون الشهوات يريدون أن تميلوا ميلاً عظيماً) حتى يكون التعبيران على نسق واحد؟ فنقول: إن الذين يتبعون الشهوات ليسوا وحدهم الذين يريدون للمسلمين أن يميدوا ميلاً عظيماً، بل هناك غيرهم ممن يريد ذلك من المنافقين وأهل الكتاب والمشركين وغيرهم ممن يأكل قلبه الحسد والحقد أو لغير ذلك، كما قال تعالى ﴿وَدُ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُمْ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ مَّنْ بَعْدَ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ﴾ (سورة ١٩) رقل: ﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا﴾ (البقرة ٨٢) وقال: ﴿وَلَا يَرِيدَنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ مَا أَتَزَلُ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ طَعِيَامًا وَكُفْرًا﴾ (البقرة ٦٨).

وبال في المنافقين: ﴿فَمَنْ لَكُمْ فِي الْمُنَافِقِينَ فِتْنَةٌ وَاللَّهُ أَرَكُنُهُمْ بِمَا كَسَبُوا أُرِيدُونَ أَنْ تَهْذَبُوا مِنْ أَصْلِ اللَّهِ وَمَنْ يُضِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ سَبِيلًا﴾ (٨٨) **وَلَوْ أَنْتُمْ كُفَرْتُمْ كَمَا كَفَرُوا فَتَكُونُونَ سَوَاءً** (البقرة ١٨٨، ١٨٩).

فذكر أن الدين يتبعون الشهوات يريدون أن يحملوا ميلاً عظيماً ولم يقصر ذلك عليهم فلا يناسب التقديم

٣- وأما تعدية فعن الإرادة باللام مرة وبفسه مرة أخرى فإن لتعدية باللام تحتمل أمرين.

الأول: أن تكون اللام مزيدة للتوكيد وهذا كثير في أفعال الإرادة وذلك نحو قوله تعالى: ﴿يُمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ﴾ (الأحزاب ٣٣)، وقوله: ﴿يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ (البقرة ١٢٨)، والآخر أن تكون اللام للتعليل^(١) أي إرادته لهذا الغرض.

وكلاهما يدل على المبالغة والقوة وهو كد وأقوى من التعدية بنفسه^(٢) فالتمثيل (يريد الله يتوب عليكم) أكد من: (يريد الله أن يتوب عليكم).

وقد ذكر الله الأمرين فإن قوله ﴿وَيُتُوبَ عَلَيْكُمْ﴾ في الآية الأولى أي في قوله: ﴿يُرِيدُ اللَّهُ لِيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ . . . ويتوب عليكم معطوف على إرادة اللام.

وفي الثانية مفعول به للفعل (يريد).

فنكون إرادة الله للتوبة مطلوبة مؤكدة على كل حال وهذا يدل على عظيم رحمة الله بخلقه.

ولما كانت الآية الأولى ذكرت أموراً في غاية الأهمية منها اليان لما يريد الله وهداية لخلق لما يريد ومنها التوبة جاء بفعل الإرادة معدى باللام.

ولما كانت الآية التي تليها مندرجة في مطلوب الآية السابقة وهي إرادة التوبة وليس فيها ما في الآية التي قبلها لم تحتج إلى اللام.

(١) انظر تفسير البضاوي (١٠٩)

(٢) انظر كتاب (معاني، سحر) (٦٧/٣) وما بعدها

وقد تقول. ولمَّ لمَّ يقدم لفظ الجلالة في الآية الأولى فيقول: (الله يريد ليبن لكم)؟

فتقول: إن هذا الموطن لا يقتضي لتدعيم لأنه لم يذكر أن جهة أخرى تُريد غير ذلك، ولا هو موطن تعريض بجهة أخرى تريد غير هذا الأمر وإنما هو إخبار عن إرادة الله لذلك، بخلاف الآية التي تليها فإنه ذكر جهة أخرى تريد غير ما يريده الله للمؤمنين.

فلا ياسب التقديم في الآية الأولى، والله أعلم.



٢٦- قال تعالى في سورة النساء: ﴿فَمَنْ لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامَ شَهْرَيْنِ مُتَابِعَيْنِ تَوْبَةً مِّنَ اللَّهِ﴾ (٩٢).

وقد في سورة التوبة: ﴿أَمْ يَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ هُوَ يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَأْخُذُ الصَّدَقَاتِ﴾ (٤).

وقد في سورة الشورى: ﴿وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَعْفُو عَنِ السَّيِّئَاتِ﴾ (٢٥).

سؤال: لماذا جاء مع التوبة ب (من) في آية النساء، وجاء معها ب (عن) في آيتي التوبة والشورى؟

الاجواب: لقد ذكر (من) مع التوبة ليبين الجهة التي تقبل التوبة، وهو (الله).

وذكر معها (عن) ليبين طالب التوبة وهم العباد.

ف قوله ﴿تَوْبَةً مِّنَ اللَّهِ﴾ يعني أن التوبة فعلها الله وهو يتوب على من يفعل

ذلك

وقوله: ﴿يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ﴾ يعني أنه يقبل التوبة التي تصدر عن عباده طالين لها.

وقيل إن معناه أنه يتجاوز عنهم ويعفو عن ذنوبهم التي تابوا منها، جاء في «روح المعاني». «وتعددية القبول به» (عن) لتضمنه معنى التجاوز والعمر أي. يقبل ذلك متجاوزاً عن ذنوبهم التي تابوا عنها»^(١).



٢٣- قال تعالى في سورة النساء (١٦٢): ﴿لَكِنَّ الرَّاْسُخُونَ فِي الْعِلْمِ لَهُمْ وَلِ الْمُؤْمِنُونَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَالْمُقِيمِينَ الصَّلَاةَ وَلِ الْمُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالْمُؤْتُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ أُولَئِكَ سَنُؤْتِيهِمْ أَجْرًا عَظِيمًا﴾.

سؤال: لماذا قال: ﴿وَالْمُقِيمِينَ الصَّلَاةَ﴾ بنصب «المُقِيمِينَ» مع أنه معطوف على «الرَّاْسُخُونَ» وهو مرفوع؟

الجواب: إن هذا مما يسمى في علم النحو بالقطع وهو يكثر في المدح والذم والترحم، ويكون ذلك لأهمية المعطوف^(٢).

والقطع هنا للمدح وهو مفعول به لفعل محذوف تقديره (أمدح) أو (أخص).

وحسن القطع أنه ذكر عبادتين ظاهرتين وهما: إقامة الصلاة وإيتاء الزكاة. والصلاة أهم من إيتاء الزكاة لأنها فرض عين على كل مكلف سواء كان عبداً أم فقيراً، صحيحاً أم سقيماً، وهي أهم ركن في الإسلام، ولا تسقط في حال من الأحوال، ولذا قطعها للدلالة على فضلها على الزكاة، أما الصفات لأخرى فهي أمور باطنة وقبئية.

(١) روح المعاني (١١/١٥).

(٢) نهر المعاني (النحو) (٣/١٨٧) وما بعدها.

ونظير ذلك قوله تعالى : ﴿لَيْسَ الْبِرُّ أَنْ تُولُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ
وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى
الْمَالَ عَلَى حَدِّ ذَوِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَأَسْ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ
وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُرْفُوقَ بَعَثَهُمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبُؤْسَاءِ
وَالصَّرَاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾ (البقرة ١٧٧)

فقطع الصابرين لفضلهم ، وذلك أنهم صابرون في الفقر وفي المرض وفي
القتال ، والبأساء هي البؤس والفقر ، والبأساء السقم والوجع ، وحين البأس
أي وقت القتال وجهاد العدو (١) .

جاء في «البحر المحيط» : «انتصب (والصابرين) على المدح .

وبما كان الصبر مبدأ الفضائل ومن وحه - جامعاً للفضائل إذ لا فضيلة
إلا وللصبر فيها أثر بليغ غير إعرابه تسبهاً على هذا المقصد (٢) .

وجاء في «روح المعاني» : ﴿وَالصَّابِرِينَ فِي الْبُؤْسَاءِ وَالصَّرَاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ﴾
نصب على المدح بتقدير أحضر أو أمدح .

وعبر سكه عما قبله تنبيهاً على فضيلة الصبر ومزيته على سائر لأعمال
حتى كأنه ليس من جنس الأول (٣) .



٢٤ - قال تعالى في سورة النساء : ﴿إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ
وَالْيُسُوفِ مِنْ بَعْدِهِ وَأَوْحَيْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ

(١) انظر روح المعاني (٤٨/٢) ، البحر المحيط (٦/٢)

(٢) البحر المحيط (٧/٢)

(٣) روح المعاني (٤٧/٢) .

وَعِيسَى وَيُوبَ وَيُوسَى وَهَارُونَ وَسُلَيْمَانَ وَآتَيْنَا دَاوُدَ زُبُورًا (١٦٣) وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِنْ قَبْلُ وَرُسُلًا لَمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا ﴿١٦٤-١٦٣﴾

سؤال: لماذا خصّ داود بقوله: ﴿وَآتَيْنَا دَاوُدَ زُبُورًا﴾؟

والجواب: إن أهل الكتب سألوا سيدنا محمداً أن يُنزل عليهم كتاباً من السماء ، قال تعالى : ﴿يَسْأَلُكَ أَهْلُ الْكِتَابِ أَنْ تَنزِلَ عَلَيْهِمْ كِتَابًا مِنَ السَّمَاءِ فَقَدْ سَأَلَهُ مُوسَى أَكْبَرَ مِنْ ذَلِكَ فَقَالُوا أَرِنَا اللَّهَ جَهْرَةً﴾ (الباء ١٥٣) .

فأجابهم رب العزة أن محمداً أوتي مثلاً أوتي رسل الله الذين يؤمنون بهم وتقرّون بسبوتهم ، فقال : ﴿إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى وَالنَّبِيِّينَ مِنْ قَبْلِهِ وَأَوْحَيْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَمَنْ ذَكَرَهُمْ مِنَ الْآلِیَاءِ الْآخِرِينَ .

وَآتَيْنَاهُ كَمَا آتَيْنَا دَاوُدَ زُبُورًا . وَقد نزل الكتاب على داود مجملاً^(١) وكذلك نزل على محمد .

فإن من ذكرهم من الأنبياء الذين سبق ذكرهم ذكر داود اشتركوا في الوحي ، ولم يؤت لهم كتاباً فإن قسماً منهم لم ينزل عليهم كتاباً فاشترك معهم محمد في الوحي . وأوتي كتاباً كما أوتي داود الذي يؤمنون به ، وأرسله كما أرسل رسلاً آخرين قصصهم عليه وآخرين لم يقصصهم عليه .

وقد تقول . ولم قال : ﴿وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِنْ قَبْلُ وَرُسُلًا لَمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ﴾؟

والجواب : إن قسماً من ذكرهم في صدر الأنبياء أنبياء وليسوا رسلاً مثل إسحاق ويعقوب ، فقد أوتي محمد ﷺ مثلاً أوتي أنبياء الله ورسله جميعاً

- ١ - فقد أوحى إليه كالنبيين .
 - ٢ - وأوتي كما أوتي داود .
 - ٣ - وأُرسل كما أُرسل رسل الله من قصهم عليه ، ومن لم يقصصهم عليه
 - ٤ - ذكر سبحانه أن الله كلّم موسى تكليمًا ، وهذه خصوصية لموسى عليه السلام .
- وأوتي محمد ما هو أعظم من ذلك فإن موسى كلّمه الله على الطور ، وأما محمد فقد عرج به إلى السموات العلا إلى صدره المنتهى عندها جنة المأوى .
- ثم إن موسى خرّ صعبقًا
- وأما محمد فقد قل ربه فيه ﴿ مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَى ﴾ (الحج . ١٧) ، فأحرى بكم أن تؤمنوا به ، وقد أوتي مثلما أوتي رسل الله .
- جاء في «روح المعاني» في تحقيق المماثلة بين شأنه ﷺ «وبين شؤون من يعترفون بشوته من الأنساء عليه السلام في مطلق الإيحاء ثم في إتياء الكتاب ، ثم في الإرسال ، فإن قوله سبحانه . ﴿ إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ ﴾ منتظم لمعنى (أتيناك) و(أرسلناك) فكانه قيل إنا أوحى إليك كما أوحينا إلى فلان وفلان ، وآتينا مثلما آتينا فلانًا ، وأرسلناك مثلما أرسلنا الرسل الذين قصصناهم وغيرهم ، ولا تفاوت بينك وبينهم في حقيقة الإيحاء والإرسال ، فما للكفرة يسألونك شيئًا لم يعطه أحد من هؤلاء الرسل عليهم الصلاة والسلام»^(١) .



٢٥ - قل تعالى في سورة المائدة ﴿وَلَا يَجْرِمُكُمْ شَتَانُ قَوْمٍ أَنْ صَدُّوكُمْ عَنْ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ أَنْ تَعْتَدُوا﴾ (٢).

وقال في السورة نفسها أيضاً: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمُكُمْ شَتَانُ قَوْمٍ عَلَى الْأَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى﴾ (٨).

فبقار في الآية الأولى ﴿وَلَا يَجْرِمُكُمْ شَتَانُ قَوْمٍ... أَنْ تَعْتَدُوا﴾، والتقدير: (على أَنْ تَعْتَدُوا) فحذف (على)، وقال في الآية الثانية: ﴿وَلَا يَجْرِمُكُمْ شَتَانُ قَوْمٍ عَلَى الْأَلَّا تَعْدِلُوا﴾ فذكر (على) فما السبب؟

الجواب:

إن الذكر يفيد التوكيد فذكر (على) في الآية الثانية لأنها أكد، ذلك أن الآية الأولى في حالة وقعت ومضت وهي حالة عارضة، وذلك في قوم صدوهم عن المسجد الحرام وهي في أهل مكة وذلك عام الحديبية.

أما الآية الثانية فهي نهي عن حاة مستديمة إلى يوم القيامة وهي النهي عن عدم العدل.

ثم إن الاعتداء يدخل في عدم العدل لأنه اعتداء فدخلت الآية الأولى في الثانية

فالثانية أكد وأعم وأشمل فجاء فيها - (على) وحذفها من الأخرى.



٢٦ - قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ﴾ (الدنء: ٦)

سؤال: هل يصح في اللغة عطف الأرجل على الوجوه في الغسل مع أنه قد فصل بين المعطوف والمعطوف عليه بأجنبي عن الغسل وهو المسح بالرووس؟ ثم لماذا فعل ذلك؟

الجواب:

لا شك في صحة هذا العطف في اللغة، وهو كثير في القرآن وغيره، قال تعالى: ﴿فَسَبِّحْ لِلَّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ﴾ (٧) وَلَهُ الْحَمْدُ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَعَشِيًّا وَحِينَ تُظْهِرُونَ﴾ (الروم: ١٧، ١٨).

فقد عطف ﴿حِينَ تُظْهِرُونَ﴾ على: ﴿حِينَ تُمْسُونَ﴾ وبينهما متعطفات، فقله ﴿وَلَهُ الْحَمْدُ﴾ معطوف على قوله ﴿فَسَبِّحْ لِلَّهِ﴾، و﴿الْأَرْضِ﴾ معطوفة على ﴿السَّمَوَاتِ﴾.

ونحو ذلك آية الكرسي، فإن قوله ﴿وَلَا يُؤَدُّهُ حِفْظُهُمَا﴾ معطوف على قوله في أول الآية: ﴿لَا تَأْخُذُ سَاعَةً وَلَا نَوْمًا﴾ وبينهما متعطفات مختلفة وهي ﴿لَهُ فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾، وقوله: ﴿بِعِلْمِ مَا سَنَ أَنْدَهُمْ وَمَا خَلَقَهُمْ﴾، وقوله: ﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾، ونحو ذلك قوله تعالى: ﴿يَسَّ الْبِرَّ أَنْ تُولُوا وَحُوهَكُمْ فِي الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مِنْ أَمِنْ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلِمَلائِكَةٍ وَلِكُتَابٍ وَالنَّبِيِّينَ وَتَى الْمَالِ عَلَى حَبِّ ذَوِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ﴾ (البقرة: ١٧٧)، فعطف ﴿أَقَامَ الصَّلَاةَ﴾ على ﴿أَمِنْ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ أي (وَمَنْ أَقَامَ الصَّلَاةَ) على ما بينهما من متعطفات.

وقال تعالى في سورة الحن: ﴿وَأَنْ لَوْ اسْتَقَامُوا عَلَى تَصْرِيهِه لَأَسْقِيَهُمْ مَاءً عَذْقًا﴾ (١٦) فعطف هذه الآية على قوله ﴿قُلْ أَوْحِي إِلَيَّ أَنَّهُ سَتَمَعُ بِقُرْمٍ الْحَنِّ﴾ وهي الآية الأولى

فقطف الآية السادسة عشرة على الآية الأولى

وفي سورة الأعراف عطف قوله: ﴿وَالْيَٰ مَذِينِ أَحَاهُمْ شُعَيْبًا﴾ (٨٥) على قوله: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ﴾ (٥٩)

على ما بينهما من بُعد وذكر قصصاً متعددة ومتعاطفات كثيرة، فإن بينهما ستاً وعشرين آية، فلا خلاف في صحة نحو هذا.

نقرون في الكلام. (دهت إلى السوق فاشترت من البقال مأكلة وخصر او اب وبيضاً. ومن البرار قماشاً وقميصاً. ومن المكتبة كتابين ودفترًا ثم عدت). فتعطف الفعل (عدت) على (ذهبت) في أول العبارة على ما بينهما من متعاطفات متعددة مختلفة.

أما لماذا فعل ذلك في آية الوضوء. فإن العرض رادة الترتيب في الوضوء. فإنه يجب أن تكون أعمال الوضوء مرتبة بحسب ما ذكره القرآن الكريم



٢٧ - لماذا قال تعالى في المائدة (٢٦): ﴿فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ﴾. وقال في السورة نفسها في الآية ٦٨: ﴿فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾؟

الجواب:

إن الآية الأولى قالها ربا في قوم موسى الذين نكلو عن قتال الجبارين ، وقالوا: ﴿يَا مُوسَىٰ إِنْ لَّنْ نَدْخُلَهَا أَبَدًا مَّا دَامُوا فِيهَا فَاذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ﴾ (٢٤) قال رب إني لا أملك لأ نفسي رحي فافرق بينا وبين القوم الفاسقين (٢٥) قال فإنها محرمة عليهم أربعين سنة يتيهون في الأرض فلا تأس على لقوم الفاسقين (٢٦ ٢٤).

وقوم موسى ليسوا كافرين، وإنما هم فاسقون لمخالفة أمر الله في القتال، ثم إن هذا الوصف محاسن لما وصفهم به موسى عليه السلام بقوله: ﴿فَأَفْرَقَ بَيْنَا وَبَيْنَ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ﴾ فقال له ربه: ﴿فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ﴾.

وأما الآية الثانية فهي خطاب لرسوله محمد بخصوص أهل لكتاب الذين لم يؤمنوا به، قال تعالى: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَسْتُمْ عَلَى شَيْءٍ حَتَّى تُقِيمُوا التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلَيُزِيدَنَ كَثِيرًا مِّنْهُمْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ صُعْبًا وَكُفْرًا فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾.

وهؤلاء كافرون فاتهم لم يؤمنوا برسول الله، وقد قال الله في هذه الآية: ﴿وَلَيُزِيدَنَ كَثِيرًا مِّنْهُمْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ طُغْيَانًا وَكُفْرًا﴾ فذكر أنه يزيدهم ما أنزل إليه طغياناً وكفراً، فقال فيهم: ﴿فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾.



٢٨ - قال تعالى في سورة المائدة: ﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنِ آدَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتَقَبَّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الْآخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾ (٢٧).

وقال في سورة الاحقاف: ﴿أَوَلَيْكَ الَّذِينَ تَتَّقِلُ عَنْهُمْ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَتَتَجَاوَزُ عَنْ سَيِّئَاتِهِمْ فِي أَصْحَابِ الْجَنَّةِ﴾ (١٦).

سؤال: عدى الفعل (تقبل) في آية المائدة (من) فقال: ﴿فَتَقَبَّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الْآخَرِ... إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾، وعدى الفعل في آية الاحقاف (من) فقال: ﴿تَتَقَلَّ عَنْهُمْ﴾ فما السبب؟

الجواب: إن تعدي الفعل (تقبل) (من) تدل على الاهتمام أو العناية بالذات أو الجهة التي يتقبل منها

وتعديته بـ (عن) تدل على الاهتمام والعناية بتقبل العمل الصادر عنها، فإذا كانت العناية والاهتمام بالذات أو الجهة التي يتقبل منها عداًه بـ(من) وذلك نحو قوله: ﴿فَتَقَبَّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الْآخَرِ﴾، وقوله ﴿رَبُّمَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ (الفرع: ١٢٧)، وقوله ﴿إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّي﴾ (آل عمران: ٣٥).

أما إذا كان محطّ العناية والاهتمام على العمل وقبوله فإنه يعدي به (عن) وذلك نحو قوله: ﴿أَوَلَيْكَ الَّذِينَ تَقَبَّلُ عَنْهُمْ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَتَتَجَاوَرُ عَنْ سَيِّئَاتِهِمْ فِي أَصْحَابِ الْحَنَةِ﴾ أي: تتقبل العمل الصادر عنهم.

وحيث عدّي الفعل (تقبل) بـ(من) لم يذكر له مفعولاً أو هو ينييه للمجهول مما يدل على الاهتمام بالذات أو الجهة التي يتقبل منها.

فإذا عداًه بـ(عن) ذكر العمل كما في الآية المذكورة وهي الآية الوحيدة في القرآن الكريم.

فدلّ على أن مناط الاهتمام بالعمل مع تعديّة الفعل بـ(عن)، ومناط الاهتمام بالمات أو الجهة مع تعديته بـ(من)، والله أعلم.



٢٩- قال تعالى في سورة الأنعام ﴿وَإِنْ يَمْسَسْكَ اللَّهُ بَصْرًا فَلَا تَكْشِفْ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِنْ يَمْسَسْكَ بَحِيرٌ فَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ (١٧).

وقال في سورة يونس : ﴿وَإِنْ يَمْسَسْكَ اللَّهُ بَصْرًا فَلَا تَكْشِفْ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِنْ يُدْرِكَ بَحِيرٌ فَلَا رَادَّ لِفَضْلِهِ﴾ (١٠٧).

سؤال : لماذا اختلف التفسير في الآيتين فقال في آية الأنعام : ﴿فَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ ، وقال في آية يونس : ﴿فَلَا رَادَّ لِفَضْلِهِ﴾ ؟

الجواب : آية الأنعام في افتراض مس الخير ، فقد قال : ﴿وَإِنْ يَمْسَسْكَ بَحِيرٌ﴾ ، أما آية يونس فهي في افتراض إرادة الخير ويس المس ، فقد قال : ﴿وَإِنْ يُدْرِكَ بَحِيرٌ﴾ ، والإرادة من غير الله قد لا تحقق لأنه قد يحول بينها وبين وقوعها حائل ، وأما إرادته سبحانه فلا راد لها فاحتلف التفسير بحسب ما يقتضيه المقام .

ألا ترى أنه لما اتفق الافتراضان في مس الضر اتفق الجوابان ، فقد قال في كل منهما ﴿فَلَا تَكْشِفْ لَهُ إِلَّا هُوَ﴾ ؟ ولما اختلف الافتراضان كان الجواب بحسب ما يقتضيه كل افتراض .



٣٠- قال تعالى في سورة الأنعام ﴿وَأَنْذِرْ بِهِ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْ يُحْشَرُوا﴾
إِى رَيْبٍ لَّهُمْ لَيْسَ لَهُمْ مَوْءِدٌ وَلِيٍّ وَلَا شَيْعٌ لَّهُمْ يَقُولُونَ﴾ (٥١).

وقال في سورة الأنعام أيضاً : ﴿وَذُرْ الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَمَآ وَلَهُمْ وَغَرَّتْهُمْ الْبَغْيَةُ لَهُمْ وَإِنْ تَسْلُبْ عَنْهُمْ لَمَنَّا نَسْلُبْ عَنْكَ لَمَنَّا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَّا كَسَتْ لَيْسَ لَهَا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيٌّ وَلَا شَيْعٌ﴾ (٧).

وقال في سورة السجدة : ﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ بَلْ هُوَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ تُسَبِّحُونَ مَا أَنَا مِنْ نَذِيرٍ مِّنْ قِبَلِكُمْ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ﴾ (٣) الله الذي خلق السموات والأرض وما

بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ مَا لَكُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا شَفِيعٍ إِلَّا تَتَذَكَّرُونَ ﴿٣٢﴾ (٤).

سؤال: لماذا قال تعالى في آيتي الأنعام ﴿لَيْسَ لَهُمْ مِنْ دُونِهِ وَلِيٌّ وَلَا شَفِيعٌ﴾ و ﴿لَيْسَ لَهَا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيٌّ وَلَا شَفِيعٌ﴾ فتعني بـ (ليس) فتعني في آية السجدة ﴿مَا لَكُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا شَفِيعٍ﴾ فتعني بـ (ما)، وجاء معها بـ (من)؟

الجواب: إن النفي في آية السجدة أقوى منه في آيتي لأنعام ذلك أن آيتي الأنعام من اجمل العلية، فهي مدوئة بـ (ليس)، و (ليس) فعل. وأما آية السجدة فهي جملة اسمية منفية بـ (ما)، ومعلوم أن الجمل الاسمية أقوى من الفعلية، و (ما) أقوى من (ليس) (١).

هذا علاوة على المجيء مع ذلك بـ (من) الاستغرافية التي تُفيد نفي الجنس وتُفيد لتوكيد مع ذلك، فهي تُفيد نفي لولي والشفع على سبيل الاستغراق

وأما سبب ذلك والله أعلم فإن الكلام في آيتي الأنعام على أصناف خاصة من الناس.

فإن الإنذار في الآية الأولى للذين يخافون أن يحشروا إلى ربهم على هذه الحالة، وهناك غيرهم كثير من غير هذا الصنف، فإن هناك من لا يؤمن أصلاً باليوم الآخر، ولا يخاف لحشر، وهناك أصناف آخرون غير هؤلاء.

وأما الآية الثانية فإن التذكير فيها لنفي مخافة أن تؤخذ بجريرتها وتُسَلَّمَ لديها وتفضح به، وذكر من حالة هذا الصنف بقوله: ﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ أُبْسِلُوا

(١) انظر معاني السجدة (١/٢٧٢) وما بعدها

بِمَا كَسَبُوا لَهُمْ شَرَابٌ مِّنْ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ ﴿٧﴾

وأما آية السجدة فالخطاب لعموم من يصح خطابه من الثقلين لا يخص صفًا دون صف ولا واحدًا دون آخر، وإنما هو خطاب عام يعم الجميع فقد قال ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ مَا لَكُمْ مِّنْ دُونِهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا شَفِيعٍ﴾ فلم يذكر صفة معينة ولا صفًا خاصًا.

فلم عم ذلك الجميع احتاج إلى التوكيد ولا شك، فإيه جارٍ في العادة أن يكون لشخص ولي واحد، أو أن يكون لمجموعة من الناس ولي واحد. أما ألا يكون للخلق جميعًا إلا ولي واحد وليس لأحد منهم ولي غيره فهذا محتاج إلى التوكيد فأكدته بالجملة الاسمية (من) لاستعراقية.

هذا أمر

والأمر الآخر أنه لم يذكر في آتي الأنعام شيئًا من صفات الله وإنما ذكر سمه العلم في آية فقال: ﴿لَيْسَ لَهَا مِن دُونِ اللَّهِ وَلِيٌّ وَلَا شَفِيعٌ﴾، وأعاد الضمير على لرب في الآية الأخرى، فقال: ﴿لَيْسَ لَهُمْ مِّنْ دُونِهِ وَلِيٌّ وَلَا شَفِيعٌ﴾

وأما في آية السجدة فذكر له صفات عظيمة، فقال ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ﴾ (٤). وقال: ﴿يَدْبُرُ الْأُمُورَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ﴾ (٥).

وقال ﴿ذَلِكَ عَالَمُ الْغَيْبِ وَاشْهَادَةُ الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ﴾ (٦) الذي أحسن كل شيء خلقه وبدأ خلق الإنسان من طين (٦، ٧).

ويستمر في ذكر صفاته العظيمة وقدرته التي لا تُحَد.

فما سب ذلك أن يؤكد أنه ليس للخلق من دونه ولي ولا من دون رضاه شفيع، وإنما هو الولي الأواحد للخلق أجمعين.

قد تقول: ولكنه ذكر من صفات المعصية والصلال في آيتي الأنعام ما لم يذكره في آية السجدة، أفلا يقتضي ذلك تأكيد نهي الولي والشفيع فيهما؟

والجواب: أن ليس الأمر كما توهمت بل لقد ذكر في سياق آية السجدة من المعصية والكفر ما لم يذكر في آيتي الأنعام.

فقد قال في آية الأنعام (٥١): ﴿وَأَنْذِرْ بِهِ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْ يُحْشَرُوا إِلَىٰ رَبِّهِمْ لَيْسَ لَهُمْ مِنْ دُونِهِ وَلِيٌّ وَلَا شَفِيعٌ﴾.

فلم يذكر لهم معصية وإنما قال عنهم إنهم يخافون أن يحشروا إلى ربهم في هذه الحال، ومعنى ذلك أنهم مقررون بالحشر معترفون به يخافون ربهم ويخافون أن يحشروا، وليس لهم من دون الله ولي ولا شفيع، وهذا ليس معصية ولا ذنباً.

وأما آية الأنعام الأخرى فإنه قال فيها ﴿وَذَرِ الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَعِبًا وَلَهْوًَا﴾ أي: اتركهم، وذكر به أي بالقرآن محافة أن تؤخذ نفس بحريرتها وتجزي بكسها، ولم يذكر لها ذنباً، وأما الذين اتخذوا دينهم لعباً ولهواً فأمر بتركهم.

وأما آية السجدة فإنها في سياق من ينسب إلى رسول الله الكذب واقتراء انقراؤه ويمن ينكر لحشر وانعاده، فقال: ﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ بَلْ هُوَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ﴾ فسوا إليه ﷺ افتراء القرآن أي كذبه على الله، وقال عنهم ﴿وَقَالُوا أَإِذَا ضَلَلْنَا فِي الْأَرْضِ أَإِنَّا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ بَلْ هُمْ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ كَافِرُونَ﴾

فهم كذبوا الرسول وأنكروا الحشر وأعاد ، ولا شك أن هذا أكبر مما ذكر في آيتي الانعام ، فاقترضى السياق تأكيد نفي الولي والشفيع من دون الله وطعته ورصده من هذه الجهة أيضاً ، فاقترضى تأكيد ذلك في آية السجدة من كل وجه ، والله أعلم



٣٨- قال تعالى في سورة الانعام : ﴿وَلَوْلَا إِيمَانُ بَآيَاتِنَا لَافْتَرَيْنَاهَا إِنَّا بَعَثْنَا فِي هَذِهِ رُسُلًا مِنْ أَنْفُسِنَا أَنْذِرْنَاهُمْ نَارَ الْجَهَنَّمَ الَّتِي يُوقَدُ مِنْهَا شجرٌ عَظِيمٌ (٨٢) وَهَذَا لَهُ إِسْحَاقُ وَيَعْقُوبُ كَلَامًا حَدِيثًا وَنُوحًا هَدَيْنَا مِنْ قَبْلُ وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِ دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَى وَهَارُونَ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ (٨٤) وَذَكَرْنَا يُوحْيِيًا وَنُوحًا وَعِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ وَنُوحًا وَآلَهُ الْقَوْمَانِ (٨٥) وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيُوسُفَ وَلُوطًا وَكَذَلِكَ فَضَّلْنَا عَلَى الْعَالَمِينَ (٨٦)﴾

(٨٦)

سؤال : فما سر ترتيب الأنبياء في هذه الآيات ؟

الجواب : ربما أعلم سر ترتيب كلامه ولكن هناك أكثر من ظاهرة في ترتيب هؤلاء الأنبياء سلام الله عليهم ، فنحن نلاحظ نسقاً منتظماً في هذا الترتيب وهو أنه سدر ثلاثة أنبياء ثم يعود إلى من هو أقدم من المذكورين ، ثم يذكر ثلاثة أنبياء آخرين ويعود بعدهم إلى من هو أقدم ، وهذا هو لأمر الظاهر في هذا الترتيب .

١ - فقد ذكر إبراهيم وإسحاق ويعقوب ، ثم ذكر بعدهم من هو أقدم منهم جميعاً ، وهو نوح عليه السلام

٢ - ثم ذكر بعد ذلك : داود وسليمان وأيوب ، ثم ذكر بعدهم من هم أقدم منهم وهم : يوسف وموسى وهارون .

٣ - ثم ذكر بعد ذلك : زكريا ويحيى وعيسى . ثم ذكر بعدهم : إلياس وهو أقدم منهم .

٤ - ثم ذكر إسماعيل واليسع ويونس . ثم ذكر بعدهم : لوطاً وهو أقدم منهم هذا من ناحية .

ومن ناحية أخرى أن هناك علاقة ما تربط بين المذكورين إضافة إلى علاقة النبوة التي تجمع بين الجميع . وإيضاح ذلك :

١ - أن إبراهيم وإسحاق ويعقوب ، تربط بينهم علاقة النبوة فإسحاق ، بن إبراهيم ، ويعقوب بن إسحاق .

٢ - وأن داود وسليمان تربط بينهما علاقة النبوة والملك ، فسليمان ابن داود وكان ملكين .

٣ - وأن سيمان وأيوب كلاهما قال الله تعالى فيه : ﴿ نَعَمْ أَعْبُدْهُ إِنَّهُ أَوَّابٌ ﴾ (ص ٣ ، ٤٤) ، أولهما الغني الشاكر وهو سليمان ، وثانيهما - المميز الصابر ، والشكر والصبر جماع الإيمان كما قيل . فإن الإيمان نصمه صبر ونصفه شكر ، وقد جمع بينهما في سورة ص .

٤ - أيوب ويوسف . كلاهما أنعم عليه بعد الابتلاء وأصابه الرخاء بعد الشدة .

٥ - يوسف وموسى : كلاهما رسول ولم يذكر القرآن بينهما اسم رسول فيما أعلم . وقد قال موسى : ﴿ وَلَقَدْ جَاءَكُمْ يُوسُفُ مِنْ قَبْلِ الْبَيِّنَاتِ قَدْ زَلَّمْتُ فِي شَيْءٍ مِمَّا حَضَرْتُكُمْ بِهِ حَتَّى إِذَا هَلَكَ قُلْتُمْ لَنْ يَبْعَثَ اللَّهُ مِنْ بَعْدِهِ رَسُولًا ﴾ (عدو ، ٣٤) .

٦ - موسى وهارون يجمع بينهما الأخوة والرسالة .

٧ - زكريا ويحيى: جمع بينهما البتة فيحيى ابن زكريا.

٨ - يحيى وعيسى: كلاهما مستغرب الولادة.

الأول: من أبوين لا ينجان أحدهما شيخ فان، والآخر أم عاقر، وعيسى من أم بلا أب.

٩ - أن عيسى خاتمة النسب من ولد إسحاق إذ ليس به أب، والمذكورون بعد عيسى سلسلة أخرى ومن ذرية أخرى ليست من ذرية إسحاق. فكان عيسى الحد الفاصل بين السلسلتين.

١٠ - فقد ذكر أن إلياس من ولد إسماعيل وليس من ذرية إسحاق.

١١ - وإسماعيل أخو إسحاق وهو بن إبراهيم من هاجر، عليهم

السلام

١٢ - اليسع صاحب إلياس وحيث ورد ذكر اليسع في القرآن يسبقه بذكر إسماعيل.

١٣ - يونس ولوط كلاهما ليس من ذرية إبراهيم، وكلاهما خرج يحمل الدعوة إلى الله.

فإن يونس حرج مغاصباً قومه، وطن أن لن يضيق الله عليه فخرج يحمل هم الدعوة إلى الله.

وإن لوطاً خرج مهجراً إلى ربه كما قال تعالى فيه: ﴿فَأَمَّنْ لَهُ لُوطٌ وَقَالَ إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَى رَبِّي﴾ (المكوب: ٢٦).

وجمع بينهما في سورة الصفات.

فبدأت زمر الأنبياء بالذهاب إلى ربه وهو سيدنا إبراهيم، ﴿وَقَالَ إِنِّي

دَاهَبَ إِلَى رَبِّي سَهْدِي» (اموات ٩٩). وَخُتِمَتْ بِالْمُهَاجِرِ إِلَى رَبِّهِ سَيِّدَا لُوطَ

قَدْ تَقُولُ: لِمَ بَدَأَ بِسَيِّدِنَا إِبْرَاهِيمَ وَلَمْ يَبْدَأْ بِسَيِّدِنَا نُوحٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ؟

والجواب: إِنَّ الْكَلَامَ وَالسَّاسَ فِي سَيِّدِنَا إِبْرَاهِيمَ فَإِنَّ الْآيَاتِ تَبْدَأُ بِقَوْلِهِ تَعَالَى ﴿وَادَّ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ أَزْرَأْتُخَذَ أَصْنَامًا آلِهَةً... وَكَذَلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ لِسْمَوَاتٍ وَالْأَرْضِ... فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَى كَوْكَبًا... فَلَمَّا رَأَى الْقَمَرَ بَازِغًا قَالَ هَذَا رَبِّي... فَلَمَّا رَأَى الشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَذَا رَبِّي هَذَا أَكْبَرُ...﴾.

وَيَسْتَمِرُّ الْكَلَامُ عَلَى سَيِّدِنَا إِبْرَاهِيمَ مِنَ الْآيَةِ ٧٤ إِلَى الْآيَةِ ٨٣ فَكَانَ ذَلِكَ هُوَ الْمُنَاسِبُ

وَقَدْ أَثِيرَ سِوَالٌ آخَرٌ فِي هَذَا السِّيَاقِ، وَهُوَ أَنَّهُ قَالَ تَعَالَى ﴿وَمِنْ آبَائِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَإِخْوَانِهِمْ﴾ فَلِمَ لَمْ يَقُلْ: (وَأَزْوَاجِهِمْ)؟
والجواب: إِنَّ السِّيَاقَ فِي ذِكْرِ الْأَنْبِيَاءِ، وَالنِّسَاءِ لَسُنَّ كَذَلِكَ فَلَا يَنْسَبُ ذِكْرُ الْأَزْوَاجِ.



٣٢ - فِي الْآيَاتِ السَّابِقَةِ وَهِيَ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَى قَوْمِهِ لَرَفَعَ دَرَجَاتٍ مِّنْ نَّشَاءُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ﴾ (٨٣) وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ كُلًّا هَدَيْنَا وَنُوحًا هَدَيْنَا مِن قَبْلُ وَمِن ذُرِّيَّتِهِ دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَى وَهَارُونَ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ (٨٤) وَرَكَبَا وَيَحْيَى وَعِيسَى وَإِيَّاسَ كُلٌّ مِّنَ الصَّالِحِينَ (٨٥) وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيُونُسَ وَلُوطًا وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى الْعَالَمِينَ (لَا مَعْرُوفَ ٨٣-٨٦).

سؤال: لماذا ختم الآيات بما ختم فقال في مجموعة من الأنبياء: ﴿وَوَكَذَلِكَ

نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ»، وقال في قسم آخر: ﴿وَكُلُّ مَنْ الصَّالِحِينَ»، وقال في الآخرين: ﴿وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى الْعَالِينَ؟

الجواب: إن جماعة كل آية مناسبة من ذكر فيها من الأنبياء وإن كانت كل فاصله تصح على جميع الأنبياء.

فقوله تعالى: ﴿وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ كُلًّا هَدَيْنَا وَنُوحًا هَدَيْنَا مِنْ قَبْلُ وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِ دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَى وَهَارُونَ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾ ذكر فيه إسحاق ويعقوب وقد أنعم الله عليهما بالهداية فقال: ﴿وَكُلًّا هَدَيْنَا﴾ ويعقوب أنعم الله عليه بلقب (إسرائيل) وقيل معناه في لسانهم صفوة الله، وقيل عدل الله، وقيل: رجع الله، وقيل غير ذلك (١).

وأنعم عليه بعد فقد ولده بأنه أعاد إليه ولده وجعله عزيز مصر ورفعته الله على العرش، وجعل أولاده نبياء وهم الأسباط، وذرئته من بعده يتسبون إليه اعتزازاً به فيقال: (بنو إسرائيل).

وداود صبر قائداً وصار ملكاً، وسليمان ملك وهب الله له ملكاً لا ينغي لأحد من بعده، وأيوب أغناه الله بعد الانتلاء وآتاه أهله ومثلهم معهم وآتاه مالا وفيرا، ومرسى وهارون أكرمهما الله بالرسالة والآيات العظيمة، والصبر على فرعون الذي أغرقه الله وجنوده في اليم في آية عظيمة من آيات الله. فكلما جره بإحسانه، فناسب ذلك قوله: ﴿وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾.

وأما قوله: ﴿وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَىٰ وَعِيسَىٰ وَإِيلَاسَ كُلٌّ مِّنَ الصَّالِحِينَ﴾، فإن زكريا قتل بعد قتل ولده، ويحيى قتل، وعيسى أريد قتله فرفعه الله إليه، فلا ياسب ذلك أن يقول فيهم: ﴿وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾ لأن معناه أنه يجازي

(١) انظر الكشف (١/٢١٢)، البحر المحيط (١/١٧٣)، روح المعاني (١/٢٤١).

المحسين بالقتل والخوف ومحاولة القتل.

وأما إسماعيل واليسع ويونس ولوط فقد أكرمهم الله بالرسالة والتفضيل على عالمي زمانهم. ولم يعطهم ما أعطى الأولين من الملك ونحوه. ولم يصيبهم ما أصاب من ذكرهم بعد الأولين من القتل والخوف، فذكر أنه فضلهم على العلمين وهو أعنى وسام.



٣٣ - قال تعالى: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهِدَاهُمْ أَقْتَدُهُ﴾ (النجم: ٩).

سؤال: ما هذه الهاء في (أقتده)، وما دلالتها؟

الجواب: هذه الهاء اسمها هاء السكت، ويؤتى بها عند الوقف وفي مثل هذه المواضع يكون لإتيان بها حائزاً. وقد جاءت هنا لغرض لطيف، فقد جاءت بعد ذكر عدد من الأنبياء منهم إبراهيم وإسحاق ويعقوب ونوح وداود وسليمان وأيوب ويوسف وموسى وهارون وزكريا ويحيى وعيسى وغيرهم.

ثم قال بعد ذلك ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهِدَاهُمْ أَقْتَدُهُ﴾ (٩).

أي اقتد بهدى هؤلاء حصراً وقف عنده ولا تطلب هدى في غير هدهم.

وقدم الجار والمجرور للدلالة على العصر، وهو من لطيف البيان



٣٤ - قال تعالى في سورة الأنعام: ﴿يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رَسُولٌ مِّنْكُمْ يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِي وَيُنذِرُكُمْ لِقَاءِ يَوْمِكُمْ هَٰذَا قَالُوا شَهِدْنَا عَلَىٰ أَنفُسِنَا﴾ (١٣).

وقال في سورة الزمر: ﴿وَسَقِ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ رَحًا حَتَّىٰ إِذَا حُذِرُوا فَتَحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنْكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِ رَبِّكُمْ وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا قَالُوا بَلَىٰ﴾ (٧٢)

حوال: لماذا قال في الأنعام: ﴿يَقْصُونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِي﴾ وقال في الزمر: ﴿يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِ رَبِّكُمْ؟﴾

الجواب: إن سورة الأنعام جرى فيها ذكر قصص الماضي في مواضع كثيرة منها، وفيها من التحذير ومواضع العبرة ما يكفي للاعتاظ.

فمن ذلك قوله تعالى ﴿أَلَمْ يَرَوْا كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِمْ مِّن قَرْنٍ مَّكَّانَهُمْ فِي الْأَرْضِ مَا لَمْ يُمْكِنْ لَهُمْ وَأَرْسَلْنَا السَّمَاءَ عَلَيْهِمْ مَدْرَارًا وَجَعَلْنَا الْأَنْهَارَ تَجْرِي مِن تَحْتِهِمْ فَأَهْلَكْنَاهُمْ بِذُنُوبِهِمْ وَنَسَّيْنَا مَن بَعْدَهُم مِّنَّا آخِرِينَ﴾ (٦).

وقوله: ﴿وَلَقَدْ اسْتَهْزَأُ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ فَحَاقَ بِالَّذِينَ سَخِرُوا مِنْهُمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ﴾ (١٠) قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ ثُمَّ انظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ﴾ (١١، ١٢).

وقال: ﴿وَلَقَدْ كَذَّبَ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ فَصَبَرُوا عَلَىٰ مَا كُذِّبُوا وَأَوْدُوا حَتَّىٰ أَتَاهُمْ صَبْرُنَا وَلَا مَدَدَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ وَلَمَّا جَاءَكَ مِن نَّبَأِ لَّمْسَلِينَ﴾ (٣٤).

أي: من أخبارهم وقصصهم.

وقال: ﴿وَلَقَدْ رُسَلْنَا إِلَىٰ أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ فَآخَذْنَاهُمْ بِالْبَأْسَاءِ وَالضَّرَاءِ لَعَنَهُمْ يَنْفِرُونَ﴾ (٤٦) فَلَوْلَا إِذْ حَاكَهُمْ بِأَسْنًا تَضَرَّعُوا وَلَكِن قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ (٤٧) فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّىٰ إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ﴾ (٤٨) فَقُطِعَ دَابِرُ الْقَوْمِ الَّذِينَ

ظَلَمُوا وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٤٢-٤٥﴾.

ثم ذكر قصة إبراهيم وحيرته حتى اهتدى إلى خالفه في عشر آيات قال تعالى: ﴿وإذ قال إبراهيم لأبيه أزرأتك أصاماً إلهة﴾. ﴿٧٤ ٨٣﴾

وذكر مجموعة من الأنبياء قبل وبعد إبراهيم فقال: ﴿ووهبنا له إسحاق ويعقوب كلا هدياً ونوحاً هدياً من قبل﴾.

إلى أن قال: ﴿أولئك الدين هدى الله فبهداهم اقتده﴾. ﴿٨٤ ٩﴾.

ثم ذكر إشارات أخرى إلى أمم ورسل سابقين.

فناسب ذكر القصص التي تستدعي الحذر والموعظة قوله تعالى: ﴿يَقْصُونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِي﴾.

وأما في سورة الزمر فلم يأت شيء من ذلك، ولم تأت إشارة إلى الأمم السابقة غير قوله: ﴿كذب الذين من قبلهم فأتاهم العذاب من حيث لا يشعرون﴾ (٢٥) فأدقهم الله العززي في الحياة الدنيا ولعذاب الآخرة أكبر لو كانوا يعلمون ﴿٢٦﴾ (٢٥).

ثم إنه ورد في سورة الزمر من ذكر الكتاب وما يقتضي تلاوته الكثير، فقد قال في أول سورة الزمر: ﴿تسريع الكتاب من الله العزيز الحكيم﴾ (١) إنا أنزلنا إليك الكتاب بالحق فأعبد الله مخلصاً له الدين ﴿١﴾ (٢).

والكتاب إما أنزل ليُتلى ويتبع ما فيه.

وقال: ﴿اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَاباً مُتَشَابِهاً مَثَانِي تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ﴾ (٢٣).

وذلك عند تلاوته أو سماع تلاوته.

وقال ﴿وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ لَعَلَّهُمْ يَنْذَكُرُونَ﴾ (٣٧)
فَرَأَى عَرَبِيًّا عَيْرَ دِي عَوَجٍ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ (٢٧، ٢٨). وذلك يتبين من تلاوته.

وقال ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ فَخُصِّمِ اهْتَدَى فَلْيَقْصِبْ وَمَنْ ضَلَّ
فَإِنَّمَا نَضَلُّ عَنْهَا﴾ (٤١) وإِنَّمَا نُزِّلَهُ لِيَتَّبِعُوهُ عِبَادَهُ وَيَعْمَلُوا بِمَا فِيهِ وَيَنْتَعِظُوا.

وقال ﴿وَاتَّبَعُوا أَحْسَنَ مَا أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ مِنَ رُبِّكُمْ مَنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ بَعَثَ
وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ﴾ (٥٥)، وذلك يكون بتلاوته والاطلاع على ما فيه.

حتى إنه ذكر الكتاب في مشهد من مشاهد القيامة فقال ﴿وَأَنْشُرَتْ
الْأَرْضُ بُيُوتَهَا وَوَضَعَ الْكِتَابُ﴾، والكتاب إنما جاء به ليطلع عليه مَنْ يطلع،
وذلك إنما يكون بتلاوة ما فيه.

وهي قيل في ذلك الكتاب إنه صحائف الأعمال، وقيل: إنه اللوح
المحفوظ، وقيل غير ذلك، فناسب ذكر التلاوة في الزمر والقص في الانعام
والله أعلم.



٣٥- قال تعالى في سورة الاعراف ﴿قَالَ اخْرُجْ مِنْهَا مَذْذُورًا مَدْحُورًا لَنْ تَبْعَكَ مِنْهُمْ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنْكُمْ أَجْمَعِينَ﴾ (١٨).

وقال في سورة (ص) ﴿قَالَ فَاسْحَقْ وَالْحَقُّ أَقْوَرُ﴾ (٨٤) ﴿لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنْكُمْ أَجْمَعِينَ﴾ (٨٥ ، ٨٤).

سؤال: لماذا قَدِّم في آية الاعراف مَنْ تَبِعَهُ عَلَى مَلَأَ جَهَنَّمَ، فقال: ﴿لَنْ تَبْعَكَ مِنْهُمْ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنْكُمْ أَجْمَعِينَ﴾.

وقدَّم مَلَأَ جَهَنَّمَ عَلَى مَنْ تَبِعَهُ فِي آية (ص) فقال ﴿لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنْكُمْ أَجْمَعِينَ﴾؟

الجواب: إن كلتا الآيتين في قصة آدم وإبليس في السورتين، وقد تقدم قبل هذه القصة في سورة (ص) الكلام على جهنم وعذابها، وذلك من قوله: ﴿هَذَا وَإِنَّ لِلطَّاغِينَ شَرًّا مَابَ﴾ (٥٥) ﴿جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا فَنَسْفَسُ الْمُهِمَّذُ...﴾ إلى قوله ﴿إِنَّ ذَلِكَ حَقٌّ نَحْنُ نَحْصُمُ أَهْلَ النَّارِ﴾ (س الآية ٥٥ إلى ٦٤).

فلما تقدم الكلام على جهنم قدم ما يتعلق بها وهو ملء جهنم.

وأما في سورة الاعراف، فقد تأخر ذكر جهنم وعذابها عن هذه القصة، فلما تأخر ذكر جهنم أخر ما يتعلق بها في القصة

هذا أمر، والأمر الآخر أنه تقدم على القصة في الاعراف ذكر مَنْ تَبِعَ إبليس من أهلكتهم الله من أهل القرى فقال: ﴿وَكَمْ مِنْ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهُ فَجَاءَهَا بَأْسُنَا بَيَاتًا أَوْ هُمْ قَنُودٌ﴾ (٤) ﴿فَمَا كَانَ دَعْوَاهُمْ إِذْ جَاءَهُمْ بَأْسُنَا إِلَّا أَنْ قَالُوا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ﴾ (٥ ، ٤).

وتقدَّمها عتَبُ رَسْنَا لِأَهْلِ الْأَرْضِ لِقَلَّةِ شُكْرِهِمْ، فقال ﴿وَلَقَدْ مَكَّنَّاكُمْ فِي الْأَرْضِ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَايِشَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ﴾ (١).

فكانه صدق عليهم إبليس ضنه فاتبعوه حين قال في قصة آدم في هذه السورة ﴿وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ﴾ (١٧).

فناسب تمديهم من اتبعوه في الأعراف من هذه الناحية أيضاً هذا إضافة إلى أن إبليس ذكر في الأعراف ما سيحتال لذرية آدم ليتبعوه أكثر مما ذكره في (ص)، فقد قال :

١ - ﴿لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ .

٢ - ﴿تَمْ لَأَتِيَهُمْ مِنْ يَمِينٍ أَيْدِيهِمْ﴾

٣ - ﴿وَمِنْ خَلْفِهِمْ﴾ .

٤ - ﴿وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ﴾ .

٥ - ﴿وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ﴾ .

٦ - ﴿وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ﴾ (الأعراف ١٦)

في حين قال في (ص) :

١ - ﴿لَأَغْوِيَهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ (٨٢) إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ﴾ (ص ٨٢، ٨٣)،

فلما أفاد في ما سيفعله ويحتال لذرية آدم في الأعراف ليتبعوه ناسب أن يقدم من تبعه من هذه الذرية ، بخلاف ما في (ص) التي لم تكن فيها مثل هذه المناسبة ، فناسب كل تعبير مكانه من كل وجه



٣٦- قال تعالى في سورة الأعراف . ﴿ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾ (٥٥) وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِنَ الْمُحْسِنِينَ﴾ (٥٥ ، ٥٦) .

وقال فيها: ﴿وَأَذْكُرْ رَبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ بِالْعُدُوِّ وَالْأَصْغَارِ وَلَا تَكُنْ مِنَ الْغَافِلِينَ﴾ (٢٠٥).

وقال في سورة الأنعام: ﴿قُلْ مَنْ يُحْيِيكُمْ مِّنْ ظُلُمَاتٍ التَّوَّالِيَّاتِ وَالنَّجْمِ تَدْعُوهُ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً لِّئِنْ أَنجَاكُمْ مِنْ هَذِهِ لَتَكُونَنَّ مِنَ الْفَاسِقِينَ﴾ (٦٣) قُلِ اللَّهُ يُجَيِّبُكُم مِّنْهَا وَمِنْ كُلِّ فَرْقٍ تَمُوتُ أَمْ تَشْرِكُونَ؟ (٦٣ ، ٦٤).

سؤال: لماذا ذكر الحوف في آيتي الأعراف، فقال في الآية الأولى: ﴿وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا﴾ وقال في الآية الثانية: ﴿وَأَذْكُرْ رَبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً﴾ والخيفة هي الخوف، ولم يذكر الحوف في آية الأنعام، وإنما قال ﴿تَضَرُّعًا وَخِيفَةً﴾ والخفية نقبض الجهر؟

الجواب: إن الدعاء ولذكر المذكورين في آيتي الأعراف إنما هما في مقام العبادة، والخوف المذكور فيهما إنما هو الخوف من الله دعاء وذكرًا.

وأما آية الأنعام فهي في مقام الخوف مما قد يحيط بالإنسان في ظلمات البر والبحر، فلو ذكر الخوف لا تصرف إلى هذه الأمور المخوفة ولم يتصرف إلى الخوف من الله.

والخوف في مثل هذه المواطن مما يعتري النفس البشرية، وهذا ظاهر معلوم، وقد أوضحته الآية وسياقها، فقد ذكر تصرعهم وذلهم إليه سبحانه قائلين: ﴿بَيْنَ أَيْدِيهِمْ أَمْحَاتُ لِكَيْلَ أَنْ يَكُونُوا مِنَ الْفَاسِقِينَ﴾ وطلب العجاء إنما يكون من الأمور المخوفة.

وقال بعد ذلك: ﴿قُلِ اللَّهُ يُجَيِّبُكُم مِّنْهَا وَمِنْ كُلِّ فَرْقٍ تَمُوتُ أَمْ تَشْرِكُونَ؟﴾ فسمى ذلك كربة، فالصح الفرق بين الموضعين فتناسب كل تعبير موضعه.



٣٧ - قال تعالى في سورة الأعراف في قصة نوح: ﴿فَأَعْيَاهُ وَالَّذِينَ مَعَهُ فِي الْفُلِّ وَأَعْرَفَا الَّذِينَ كَذَبُوا بآيَاتِنَا إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا عَمِينَ﴾ (٦٤).

وقال في سورة يونس في قصة نوح: ﴿فَجِئْنَا بِهِ مَعَهُ فِي الْفُلِّ وَجَعَلْنَاهُمْ خِلَافَ وَأَعْرَفَا الَّذِينَ كَذَبُوا بآيَاتِنَا﴾ (٧٣).

سؤال: لماذا قال في سورة الأعراف ﴿وَالَّذِينَ مَعَهُ﴾ وقال في سورة يونس ﴿وَمِنْ مَعَهُ﴾؟ (١)

الجواب: من أوجه منها:

١. أن (الذين) اسم موصول مختص وهو يخص جماعة الذكور العقلاء. ولا يُطلق على المفرد أو المثنى.

وأما (من) فإنه اسم موصول مشترك يطلق على المفرد والمثنى والجمع المذكور والمؤنث.

وأن سياق القصة في سورة يونس فيه إلماح إلى أن قومه كبر عليهم تذكيره لهم بآيات ربهم وبماؤده بينهم يبلغ دعوة ربه، وأن نوحًا تحذاهم بأن يجمعوا أمرهم ويسعوا في إهلاكه وألا يهلكوه، قال تعالى ﴿وَأَتَى عَلَيْهِمْ نَبَأُ نُوحٍ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ إِن كَانَ كَبُرَ عَلَيْكُمْ مَقَامِي وَتَذِكُرِي بآيَاتِ اللَّهِ فَعَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْتُ فَأَجْمِعُوا أَمْرَكُمْ وَشُرَكَاءَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً ثُمَّ اقْضُوا إِلَيَّ وَلَا تُطْرُقُوا﴾ (٧١).

وليس الأمر في الأعراف كذلك، وإما هو تبليغ ودعوة، وقصارى ما قال فيه لئلا من قومه ﴿إِنَّا لَنَرَاكَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾، فرد عبيهم قائلاً ﴿يَا قَوْمِ لَيْسَ بِي صَلَافٌ وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِّنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾.

(١) أما السؤال عن نبح وأجسه فقد ذكرناه في كتابنا (ملاحة للكلمة في التعبير القرآني) (ص ٧٢).

فكما كانت المواجهة في يونس أشد وأنه تحذاهم أن يجتمعوا أمرهم ويسعوا في إهلاكه ولا يُمهّلوه كان ذلك مدعاة إلى قلة من يؤمن له وأن يخاف من يخاف في مثل هذا الظروف العصيب .

فعال في هذا السياق : ﴿فَنَجَّيْنَاهُ وَمَنْ مَعَهُ﴾ وهذا يحتمل في اللغة أن يكون معه شخص أو شخصان وليس فيه تنصيب على الجمع .

وما في لأعراف فإن قوله : ﴿فَأَنجَيْنَاهُ وَالَّذِينَ مَعَهُ﴾ تنصيب على أن معه جماعة من المؤمنين له ، وليس شخصاً واحداً أو شخصين قطعاً ، فناسبت حالة التحدي والمواجهة الشديدة أن يقول (من) التي ليس فيها تنصيب على الجمع .

وفي احدة الأخرى أن يقول : (الذين) التي هي تنصيب على أن المؤمنين له جماعة ، وليس واحداً ذلك أن السياق لا يستدعي مثل حالة الخوف تلك ، ولا يستدعي قلة المؤمنين على النحو الذي في يونس .

٢ - إن الفصة في الأعراف أطول مما في يونس ، فإنها في الأعراف ست آيات ، من الآية التاسعة والخمسين إلى الآية الرابعة والستين ، وهي في يونس ثلاث آيات من الآية الحادية والسبعين إلى الآية الثالثة والسبعين .

وإن كلمة (الذين) أطول من (من) فناسب في مقام الإطالة أن يأتي بأطول الكلمتين .

٣ - وعلاوة على ذلك فإن كلمة (من) في يونس أكثر مما في الأعراف .

وإن كلمة (الذين) في الأعراف أكثر مما في يونس ، فإن كلمة (من) وردت في يونس (٢٤) آراءً وعشرين مرة ، ووردت في الأعراف (١٨) ثماني عشرة مرة

رَأَى كَلِمَةً (الذين) وردت في الأعراف (٤٧) سبعاً وأربعين مرة، ووردت في يونس (٢٨) ثماناً وعشرين مرة.

فناسب كل تعبير موضعه من حيث السمة التعبيرية لكل سورة^(١).
فانضح أن كل تعبير مناسب لموضعه الذي ورد فيه من كل وجه.



- ٣٨ - قال تعالى في سورة الأعراف (١٢٣) ﴿قَالَ فِرْعَوْنُ آمَنْتُمْ بِهِ قُلْ أَنْ آذَنَ لَكُمْ﴾

وقال في سورة طه (٧١)، وفي سورة الشعراء (٤٩) ﴿قَالَ آمَسُمْ لَهُ قُلْ أَنْ آذَنَ لَكُمْ﴾.

سؤال: لماذا قال في سورة الأعراف: ﴿آمَسُمْ بِهِ﴾ وقال في سورتي طه، والشعراء ﴿آمَسُمْ لَهُ﴾؟

الجواب: إن معنى: ﴿آمَسُمْ بِهِ﴾ أي بالله تعالى

و ﴿آمَسُمْ لَهُ﴾ أي لموسى عليه السلام، والمعنى صدقتم وقررت له،
والسياق يوضح ذلك

قال تعالى في الأعراف ﴿قَالُوا آمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ (١٢١) رَبُّ مُوسَى وَهَارُونَ (١٢٢) قَالَ فِرْعَوْنُ آمَسُمْ بِهِ قُلْ أَنْ آذَنَ لَكُمْ إِنَّ هَذَا لَمَكْرٌ مَكْرَتُمُوهُ فِي الْمَدِينَةِ لَئِيْخْرِجُوا مِنْهَا أَهْلَهَا﴾.

وقال في سورة طه. ﴿فَأَتَقَى السَّحْرَةَ سَجْدًا قَالَ آمَا رَبُّ هَارُونَ وَمُوسَى (٧٠) قَالَ آمَسُمْ لَهُ قُلْ أَنْ آذَنَ لَكُمْ إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمُ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ﴾،

(١) انظر موضوع (السمة التعبيرية للسياق) في كتابنا (التعبير القرآني).

فَقَوْلُهُ: ﴿إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمْ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ﴾ يعني موسى عليه السلام وقال في سورة الشعراء: ﴿قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ (٤٧) رَبُّ مُوسَى وَهَارُونَ (٤٨) قَالَ آمَنَّا لَهُ قَبْلَ أَنْ آدَنَ لَكُمْ إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمْ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ وهو نحو ما مر في طه.

وإذا رأيت الإيمان معدى باللام فاعلم أنه لغير الله فإنه لا يعديه مع الله إلا باباء نحو قوله ﴿حَتَّى تَزُمُّوا بِاللَّهِ وَحْدَهُ﴾ (استمع ٤) وقوله: ﴿آمَنَّا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾.

وفي القرآن عدى (آمن) باللام مع الأشخاص غالباً، وذلك نحو قوله ﴿لَنْ يُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى يَرَى اللَّهَ جَهْرَةً﴾ (القرة ٥٥)، وقوله: ﴿لَنْ يُؤْمِنَ لَكُمْ﴾ (البقرة ٩٤)، وقوله: ﴿وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ (البقرة: ٦١).

ورب استعمله مع غير الأشخاص نادراً وذلك نحو قوله: ﴿وَلَنْ يُؤْمِنَ لِرُبُّكَ حَتَّى تَبْرَلَ عَلَيْنَا كِتَابًا تُقْرَأُ﴾ (الإسراء: ٩٣)



٣٩ - قال تعالى في سورة الأعراف: ﴿قَالَ يَا مُرْسِيُّ بَنِي إِصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ بِرِسَالَاتِي وَبِكَلَامِي فَحَدِّثْ مَا آتَيْتُكَ وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ﴾ (١٤٤) وَكَتَبْنَا لَهُ فِي الْأَنْوَاحِ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْعِظَةً وَتَفْصِيلًا لِكُلِّ شَيْءٍ فَحَذَّاهَا بِقُوَّةٍ وَأَمَرَ قَوْمَكِ بِأَحْذُوا بِأَحْسَنِهَا سَأُرِيكُمْ دَارَ الْفَاسِقِينَ﴾ (١٤٤، ١٤٥).

سؤال: لماذا دل في الآية الأولى: ﴿فَحَدِّثْ مَا آتَيْتُكَ﴾، وقال في الآية التالية هـ: ﴿فَحَذَّاهَا بِقُوَّةٍ﴾ فذكر القوة ولم يذكرها في الآية الأولى؟

الجواب: إن ذلك لعدة أمور منها:

١ أن الآية الأولى في الإيتاء، والثانية في الإيتاء والتبيين، فقد أمره

في الآية الثانية أن يأخذ ما آتاه بقوة، ويُلْعَقه قومه، فقد قال له فيها: ﴿وَأْمُرْ قَوْمَكَ يَأْخُذُوا بِأَحْسَنِهَا﴾. وهذا أمر بالتبليغ، والتبليغ يحتاج إلى قوة وجهه وعزمه.

٢ - إنه طلب من قومه في الآية الثانية أن يأخذوا بأحسنها، فإنه لم يقل: (وأمر قومك يأخذوا بها) بل قال ﴿يَأْخُذُوا بِأَحْسَنِهَا﴾ وهو أقوى من عموم الأخذ وأكد، ذلك أن فيما آتاه حسناً وأحسن فأمرهم أن يأخذوا بالأحسن، فإذا كان قومه مأمورين بما هو أقوى وأكد نسب أن يكون هو كذلك، فكان مأموراً أن يأخذها بقوة.

٣ - إن في الآية الثانية تفصيلاً ليس في الآية الأولى.

فإنه قال في الآية الأولى: ﴿فَخُذْ مَا آتَيْتُكَ﴾، فقال: ﴿مَا آتَيْتُكَ﴾ على الإجمال.

وفصل في الآية الثانية ما آتاه، فقال: ﴿وَكُتِبَ لَهُ فِي الْأُلُوحِ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْعِظَةً وَتَفْصِيلاً لِّكُلِّ شَيْءٍ﴾.

وأجمل في الطلب في الآية الأولى، فقال: ﴿فَخُذْ مَا آتَيْتُكَ﴾، وفصل في الآية الثانية ما أجمله في الآية الأولى من طلب، فقال: ﴿فَخُذْهَا بِقُوَّةٍ وَأْمُرْ قَوْمَكَ يَأْخُذُوا بِأَحْسَنِهَا﴾.

فكما أجمل في ذكر ما آتاه في الآية الأولى أجمل في الأمر بأخذها، وكما فصل في ذكر ما آتاه في الآية الثانية فصل وبين في الأمر بأخذها، فناسب الإجمال الإجمال، والتفصيل التفصيل.

٤ - ومما حسن ذلك أيضاً إضافة إلى ما ذكرنا أن الآية الأولى وردت عتب إفقة موسى بعدما خرَّ صعقاً، فقد جاءت الآية الأولى عتب قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا نَحَلْنَا رَبِّهِ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَى صَعِقًا فَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَانَكَ تُنْتَ إِلَيْكَ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ (١٤٣).

في الآية الثانية أن يأخذ ما آتاه بقوة، ويُبغى قومه، فقد قال له فيها ﴿وَأْمُرْ قَوْمَكَ يَأْخُذُوا بِأَحْسَنِهَا﴾، وهذا أمر بالتبليغ، والتبليغ يحتاج إلى قوة وجهد وعزيمة.

٢ - إنه طلب من قومه في الآية الثانية أن يأخذوا بأحسنها، فإنه لم يقل: (وأمر قومك يأخذوا بها) بل قال: ﴿يَأْخُذُوا بِأَحْسَنِهَا﴾ وهو أقوى من عسوم الأخذ وأكد، ذلك أن فيما آتاه حسناً وأحسن فأمرهم أن يأخذوا بالأحسن، فإدراك قومه مأمورين بما هو أقوى وأكد ناسب أن يكون هو كذلك، فكان مأموراً أن يأخذها بقوة.

٣ - إن في الآية الثانية تفصيلاً ليس في الآية الأولى.

فإنه قال في الآية الأولى: ﴿فَخُذْ مَا آتَيْتُكَ﴾، فقال ﴿مَا آتَيْتُ﴾ على الإجمال.

وفصل في الآية الثانية ما آتاه، فقال: ﴿وَكَسَا لَهُ فِي الْأَلْوَارِجِ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَرْعَةً وَتَفْصِيلاً لِكُلِّ شَيْءٍ﴾.

وأجمل في طلب في الآية الأولى، فقال: ﴿فَخُذْ مَا تَيْتُ﴾، وفصل في الآية الثانية ما أجسمه في الآية الأولى من طلب، فقال: ﴿فَخُذْهَا بِقُوَّةٍ وَأْمُرْ قَوْمَكَ يَأْخُذُوا بِأَحْسَنِهَا﴾.

فكما أحمل في ذكر ما آتاه في الآية الأولى أجمل في الأمر بأخذها، وكما فصل في ذكر ما آتاه في الآية الثانية فصل وبين في الأمر بأخذها، فناسب الإجمال الإجمال، والتفصيل التفصيل.

٤ - وما حسن ذلك أيضاً إصافة إلى ما ذكرنا أن الآية الأولى وردت عقب إفاقة موسى بعدما خرّ صعقاً، فقد جاءت الآية الأولى عقب قوله تعالى: ﴿لَمَّا تَحَلَّى رَبُّهُ لِلْحِجْلِ حَقَّةً دَكَاً وَحَرُّ مَوْسَى صَعْقاً لَمَّا أَفَاقَ قَالَ سَتَحَانِكَ نَبْتَ إِلَيْكَ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ (١٤٣).

والإنسان بعدما يقيق من صعقه يصعقها يكون واهن القوى .

وقد ذكر قبل الآية الأولى أكثر من أمر يدعو إلى وهن القوة . فقد ذكر أنه ﴿حر﴾ أي قد هوى وسقط ، والخرور مدعاة إلى الوهن .

وذكر أنه (صعق) أي غشي عليه . ومعنى (صعق) في اللغة غشي عليه وذهب عقله^(١) ، وأن قوله تعالى : ﴿فلما أفاق﴾ دليل على الغشي^(٢) . والصعق مدعاة إلى وهن القوى

فكل من الخرور والصعق يدعير إلى الوهن فكيف إذا اجمعا ؟

فلم يذكر الأحاد بالقوة بعد ذكر الإفاقة مباشرة إذ العادة أن يكون الإنسان واهناً في مثل هذا الوقت فأخره إلى ما بعد ذلك في الآية الثانية . فتاسب كل تعبير موضعه من كل وجه ، والله أعلم .



(١) انظر لسان العرب (صعق) (١٢/٦٦)

(٢) انظر لسان العرب (صعق) (١٢/٦٧)

٤٠ - قال تعالى في سورة الأنعام: ﴿كَذَّبَ آلُ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ شَدِيدُ الْعِقَابِ (٥٢) ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ لَمْ يَكْ مُعَيَّرًا نِعْمَةً أُنْعِمَهَا عَلَى قَوْمٍ حَتَّىٰ يُعَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ وَأَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (٥٣) كَذَّبَ آلُ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ فَأَهْكَاهُمْ بِذُنُوبِهِمْ وَأَغْرَقْنَا آلَ فِرْعَوْنَ وَكُلٌّ كَانُوا ظَالِمِينَ (٥٤، ٥٣)﴾.

سؤال:

١ ما الفرق بين الدأبين المذكورين لآل فرعون في الآية الثانية والخمسين والآية الرابعة والخمسين؟

٢ لماذا قال في الآية الثانية والخمسين: ﴿كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ﴾، وقال في الآية الرابعة والخمسين: ﴿كَذَّبُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ فَأَهْكَاهُمْ بِذُنُوبِهِمْ وَأَغْرَقْنَا آلَ فِرْعَوْنَ﴾؟

الجواب:

١ - الدأب الأول هو مشابهتهم لهم في الكفر ذلك أنه سبق الآية الأولى قوله تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ يَتَوَفَّى الدِّينَ كَفَرُوا الْمَلَائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَذَانَهُمْ وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ (٥١)﴾ ذلك بما قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَالَمِينَ (٥١) كَذَّبَ آلُ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ . . . (٥٣، ٥٢)﴾.

والدأب الأول هو مشابهتهم في الكفر والجري على عادتهم، ألا ترى أنه قال: ﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ يَتَوَفَّى الدِّينَ كَفَرُوا الْمَلَائِكَةُ﴾، ثم قال: ﴿كَذَّبَ آلُ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ﴾.

أما الدأب الثاني فإنه مشابهتهم بهم في تغيير النعم والأحوال، فقد قال قبل الآية الرابعة والخمسين: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ لَمْ يَكْ مُعَيَّرًا نِعْمَةً أُنْعِمَهَا عَلَى قَوْمٍ

حَتَّىٰ يَغِيرُوا مَا بَأْنَفْسِهِمْ وَأَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٥٢﴾، ثم قال بعدهم: ﴿كَذَّابُ آلِ
فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾.

قد نقول: وما التغير الذي أحدثوه فإبهم كمار على كل حال ولم يغيروا
شيئاً؟

فقول إنهم كانوا على حال من الكفر حتى جاء موسى فدعاهم
وأنذرهم وجاءهم بالآيات الدالة على صدقه، فكذبوا بها فزادوا على ما هم
عليه تكذيبهم بآيات الله كما قل تعالى: ﴿كَذَّبُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ﴾ فعاجلهم
لعقوبة بالإغراق.

جاء في «البحر المحيط» «وتغير آل فرعون ومشركي مكة ومن يجري
محراهم بأن كانوا كمدراً ولم تكن لهم حالة مرضية فغيروا تلك الحالة
المسحوظة إلى أسخط منها من تكذيب الرسل والمعاندة والسخرية وقتل
الأنبياء والمسيح في إبطال آيات الله فغير الله تعالى ما كان أعين عليهم به
وعاجلهم ولم يهملهم»^(١).

وجاء في «الكشاف» «أي. داب هؤلاء مثل داب آل فرعون، ودأبهم
عادتهم وعمليهم الذي دأبوا فيه أي دأبوا عليه وواظبوا، و(كفروا) تفسير
لدأب آل فرعون...»

﴿حَتَّىٰ يَغِيرُوا مَا بَأْنَفْسِهِمْ﴾ فإن قلت: فما كان من تغير آل فرعون
ومشركي مكة حتى غير الله نعمته عليهم، ولم تكن لهم حال مرضية
فيغيروها إلى حال مسخوطة؟

قلت: كما تغيرت الحال المرضية إلى المسخوطة تغيرت الحال المسخوطة
إلى أسخط منها.

(١) (البحر المحيط ٥٠٧/٤)

وأولئك كانوا قبل بعثة الرسول، إليهم كفر عبيدة أصدم فلما بعث إليهم بالآيات آيينات فكذبوه وعادوه وتحزبوا عليه في إراقة دمه غيروا حلهم إلى أسوأ مما كنت فغير الله ما أتعهم به عليهم من الإمهال وعاجلهم بالعذاب»^(١).

٢ - وأما الجواب عن السؤال لثاني فإن كل عقوبة مناسبة للحالة التي هم فيها، فقد قال في الآية الأولى ﴿كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ فَخَذَّ اللَّهُ بُدُونَهُمْ﴾ وقل في الأخرى: ﴿كَذَّبُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ فَأَهْلَكْنَاهُمْ بِذُنُوبِهِمْ وَأَغْرَقْنَا آلَ فِرْعَوْنَ﴾.

ذلك أن لكفر أعم من التكذيب بآيات الله، فقد يكون الكفر بالتكذيب وبغيره من نحو عبادة غير الله والمعتقدات الباطلة وغير ذلك من نحو ما أخبر به ربنا في قوله: ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ﴾ (المائدة ٧٣)، وقوله: ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ﴾ (المائدة ٧٢)، وقوله ﴿وَكُفِّرُوا كُفْرًا عَلَى اللَّهِ الْكُفْرُ﴾ (المائدة ١٠٣).

فالتكذيب بآيات الله نوع من أنواع الكفر.

فقال في عقوبة لكفر: ﴿فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ﴾ وهو أمر عام يشمل عقوبات الدنيا والآخرة.

وقال في عقوبة التكذيب بالآيات ﴿فَأَهْلَكْنَاهُمْ بِذُنُوبِهِمْ وَأَغْرَقْنَا آلَ فِرْعَوْنَ﴾، وهذه حالة من حالات الأخذ بالذنوب، فقد يكون الأخذ بالذنوب بالتعذيب والسجن والنار وغير ذلك.

فحمل عقوبة الكفر الذي هو عام الأخذ بالذنوب وهو عام، وجعل عمومية التكذيب بالآيات الذي هو أخص من الكفر بالإهلاك والإغراق وهو أخص.

هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى أن قوله: ﴿فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ﴾

عقاب عام قد يكون في الدنيا ، وقد يكون في الآخرة ، وقد يكون فيهما .
 وأما قوله ﴿ فَأَهْلَكْنَاهُمْ بِدُرِّيهِمْ وَأَغْرَقْنَا آلَ فِرْعَوْنَ ﴾ فإنه عقاب في الدنيا
 فهو أحصر من حيث الوقت ، فإن الإهلاك والإغراق إنما يكونان في الدنيا
 وليس من عقاب الآخرة . فكانت عقوبة الكفر أعم من حيث النوع والوقت .
 ومن الملاحظ أنه قال في الآية الرابعة والخمسين : ﴿ كَذَّبُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ ﴾
 فذكر الرب وأضافه إلى صميرهم في حين قال في الآية الثانية والخمسين :
 ﴿ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ ﴾ ذلك أنه قبل ذكر التكذيب بآيات ربهم ذكر نعمه عليهم ،
 فقال : ﴿ ذَلِكَ بَأَنَّ اللَّهَ سَمَّيَكَ مُعَيَّرًا نِعْمَةً نَعْمَهَا عَلَى قَوْمٍ حَتَّىٰ يُعَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ ﴾
 فاسبب ذكر الرب لأن الرب هو المربي والمنعم ، جاء في "روح المعاني" :
 "وأشير بلفظ الرب إلى أن ذلك التعيير كان بكفر نعمه تعالى لما فيه من
 الدلالة على أنه مربيهم المعمم عليهم" (١) .

ثم إنه أضاف الرب إلى صميرهم ليبين قبح كفرهم فإنهم كفروا بآيات
 ربهم الذي أنعم عليهم ، فإنه من أقبح كفر انعم أن تكفر نعمة ربك الذي
 ربك وأنعم عليك ، فذلك أدل على قبح كفرهم .
 هذا من ناحية . ومن ناحية أخرى أنه ذكر مرة لفظ الجلالة (الله) ، ومرة
 ذكر الرب ليدل على أن الرب هو الله وليس شيئاً آخر .



(١) روح المعاني (١٠/٢٠)

٤١ - قال تعالى في سورة يونس: ﴿وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَقَتْ مِنْ رَبِّكَ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ فِيمَا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ (١٩)، وقال في سورة هود: ﴿وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَقَتْ مِنْ رَبِّكَ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ﴾ (١١)، وقال في سورة فصلت: ﴿وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَقَتْ مِنْ رَبِّكَ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ﴾ (٤٥)، وقال في سورة الشورى: ﴿وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَقَتْ مِنْ رَبِّكَ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ﴾ (١٤).

سؤال: لماذا قال في آية الشورى: ﴿إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ ولم يقل مثل ذلك في بقية الآيات؟

الجواب: إن الآيات في يونس وهود وفصلت إنما هي في أمة واحدة، والقضاء يمكن أن يكون بينهم عاجلاً أو آجلاً.

أما آية الشورى فهي في أمم مختلفة أكثرها هالك فلا يمكن القضاء بينهم في الدنيا، وإنما يقضى بينهم في الآخرة، وهو الأجل المسمى لذلك. ويضاح ذلك أنه قال في يونس: ﴿وَمَا كَانَ النَّاسُ إِلَّا أُمَّةً وَاحِدَةً فَاخْتَلَفُوا وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَقَتْ مِنْ رَبِّكَ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ فِيمَا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ فهي أمة واحدة اختلفت والقضاء بينهم ممكن لأنهم أمة واحدة مختلفة.

وقال في هود: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ فَاحْتَلَفَ فِيهِ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَقَتْ مِنْ رَبِّكَ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ وَإِنَّهُمْ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مُرِيبٍ﴾، وهذه الآية في بني إسرائيل حين اختلفوا في الكتاب، والقضاء بينهم ممكن في حياة الدنيا، وبحود آية فصلت فإنها تطابق آية هود، قال تعالى في فصلت: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ فَخْتَلَفَ فِيهِ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَقَتْ مِنْ رَبِّكَ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ وَإِنَّهُمْ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مُرِيبٍ﴾.

وأما آية الشورى فهي في سياق أمم مختلفة متعاقبة منها أمم مندثرة هالكة فكيف يكون القضاء بينها في غير اليوم الآخر وهو الأجل المسمى؟ قال تعالى: ﴿شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيَا بِهِ

إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ يُنِيبُ ﴿١٣﴾ وَمَا تَفَرَّقُوا إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا حَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَيْنَهُمْ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى لَفُضِّي بَيْنَهُمْ وَإِنَّ الدِّينَ أُورِثُوا الْكِتَابَ مِنْ بَعْدِهِمْ لَقَدْ لَكُنَا مِنْهُمْ شَكٌّ إِنَّهُمْ مُرِيدُونَ ﴿١٤﴾
فناسب كل تعبير مكانه.



٤٢ - قال تعالى في سورة يونس: ﴿وَإِنَّمَا نُرِيكَ بَعْضَ الَّذِي بَعَدَهُمْ أَوْ تَوْفِيكَ فَإِنَّمَا مَرْجِعُهُمْ ثُمَّ اللَّهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ﴾ (٤٦).
وقال في سورة غافر: ﴿وَإِنَّمَا نُرِيكَ بَعْضَ الَّذِي بَعَدَهُمْ أَوْ تَوْفِيكَ فَإِنَّمَا يَرْجِعُونَ﴾ (٧٧).

وقال في سورة الرعد: ﴿وَإِنَّمَا نُرِيكَ بَعْضَ الَّذِي بَعَدَهُمْ أَوْ تَوْفِيكَ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاءُ وَعَلَيْنَا الْحِسَابُ﴾ (١٤).

سؤال: لماذا رُسمت ﴿إِنَّمَا﴾ في آية يونس وغافر متصلة، ورُسمت في آية الرعد: ﴿وَإِنَّمَا﴾ منفصلة مع أنها كلها في هذه الآيات إنما هي (إن) الشرطية مع (ما) الرائدة الموكدة؟

الجواب: إن هذا من أمور رسم المصحف، ورسم المصحف لا يقاس عليه. ولكن مع ذلك قد يبدو أن لهذا الاختلاف تعليلاً ولا ندرى إن كان مقصوداً أم لا.

فقول إن السياق في آية يونس وغافر إنما هو في الكلام على الآخرة، والآيات تذكران الرجوع إلى الله، فسقط قال في آية يونس: ﴿وَإِنَّمَا مَرْجِعُهُمْ ثُمَّ اللَّهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ﴾ وقال في آية غافر: ﴿فَالْيَا يَرْجِعُونَ﴾، وهذا الرجوع في الآيتين إنما هو في الآخرة

قال تعالى في يونس: ﴿وَيَوْمَ يُحْشَرُهُمْ كَأَن لَّمْ يَلْبَثُوا إِلَّا سَاعَةً مِّنَ النَّهَارِ يَتَظَارَفُونَ بَيْنَهُمْ قَدْ خَسِرَ لَدُنْكَ دِينُكُمْ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كَانُوا يُفْسِدُونَ (٤٥) وَإِنَّمَا تُرِيدُ لِنَاصِ لَدِي نَعْدُهُمْ أَوْ تَتَوَقَّعُكَ فَإِنَّا مَرْجِعُهُمْ ثُمَّ اللَّهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ (٤٦) وَلِكُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولٌ فَإِذَا جَاءَ رَسُولُهُمْ قُضِيَ بَيْنَهُم بِالْقِسْطِ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ (٤٧)﴾.

فقوله. ﴿فَإِنَّا مَرْجِعُهُمْ﴾ يعني في يوم القيامة. وهو متصل بما ذكره من أمور الآخرة. وواقع فيه.

وقال في غافر ﴿الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَبِمَا أَرْسَلْنَا بِهِ رُسُلَنَا فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ (٧٠) إِذَا الْأَعْلَالُ فِي أَعْنَاقِهِمْ وَالسَّلَاسِلُ يُسْحَبُونَ (٧١) فِي الْحَمِيمِ ثُمَّ فِي النَّارِ يُسْجَرُونَ (٧٢) ثُمَّ قِيلَ لَهُمْ أَنِمْ مَا كُنتُمْ تُشْرِكُونَ (٧٣) مَن دُونِ اللَّهِ قَالُوا ضَلُّوا عَنَّا بَنَ لَمْ يَكُنْ نَدْعُو مِن قَبْلُ شَيْئًا كَذَلِكَ يَصِلُ اللَّهُ الْكَافِرِينَ (٧٤) ذَلِكَ بِمَا كُنتُمْ تَفْرَحُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَبِمَا كُنتُمْ تَمْرَحُونَ (٧٥) ادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ حَالِدِينَ فِيهَا فَنُحِسْ مُتَوَى الْمَكْرِبِينَ (٧٦) فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَإِنَّمَا تِرِيدُ بَعْضَ الَّذِي نَعْدُهُمْ أَوْ تَتَوَقَّعُكَ فَإِنَّا يَرْجِعُونَ (٧٧)﴾ (٧٧ ٧٠).

فالكلام كما ترى في سياق عذاب الآخرة. وقد وقعت الآية في هذا السياق فإن قوله. ﴿فَإِنَّا يَرْجِعُونَ﴾ يعني في الآخرة. وهو متصل بما ذكره من أمور الآخرة.

وأما السياق في الرعد فهو في الدنيا. فقد جاء قبل الآية قوله ﴿وَكَذَلِكَ أَرْسَلْنَا حُكْمًا عَرَبِيًّا وَلَئِنِ ابْتِغَتْ أَهْوَاءُهُمْ نَعَدَ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِن لِّمٍ وَلَا وَاقٍ (٢٦) وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ زَوْجًا وَدُرِيَّةً وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَنْ يَأْتِيَ بِآيَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ لِكُلِّ أَجْرٍ كِتَابٌ (٢٨) يَمْحُو اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُنْثِتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ (٣٠) وَإِنَّمَا تُرِيدُ﴾. الآية (٢٧ ٢٤).

وجاء بعدها قوله: ﴿أَرَأَيْتُمْ إِنْ تَأْتِي الْأَرْضُ نَقْصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا وَاللَّهُ بِحُكْمِ لَامُعَقَّبٍ لِحُكْمِهِ وَهُوَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ (٢٤١).

فقوله ﴿وَعَلَيْهَا الْحِسَابُ﴾ إنما هو في الآخرة، فهو يذكر أمراً سيقع في الآخرة. والكلام إما هو على الدنيا بخلاف آيتي يونس وغافر فإنهما في سياق الآخرة.

فَقَصِيتَ (ما) عن (إن) في الرعد إشارة إلى الفصل بين الأحداث. فالكلام على الدنيا واحساب إنما هو في الآخرة.

ووصلت (ما) (إن) في آيتي يونس وغافر إشارة إلى أن الأحداث متصلة ببعضها، والله أعلم.



٤٣ - قال في سورة يونس (١٠٤): ﴿قُلْ انظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا تُغْنِي الْآيَاتُ وَالنُّذُرُ عَنْ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ﴾.

وقال في سورة القمر: (٥): ﴿حِكْمَةٌ بَالِغَةٌ فَمَا تُعِنُّ النُّذُرُ﴾.

سؤال: لماذا رُسم الفعل (تغني) في آية يونس بالياء، ورُسم في آية القمر من دون ياء أي: (تعين)؟

الجواب: أن رسم المصحف لا يُقاس عليه كما هو معلوم. ومع ذلك فإنه يبدو أن هذا الاختلاف في الرسم له دلالة.

فقد زاد في آية يونس على ما في القمر، فقد قال في القمر: ﴿فَمَا تُعِنُّ النُّذُرُ﴾، وقال في يونس: ﴿وَمَا تُغْنِي الْآيَاتُ وَالنُّذُرُ﴾. فزاد الآيات على النذر فزاد في الرسم بعبارة لذلك.

ثم إنه عندما تزيد دواعي الإغناء ينبغي أن يزيد الإغناء، فلما زادت الدواعي في يونس انبغى أن يزيد الإغناء.

ولما نقصت الدواعي في القمر نقص شيء من الحدث تبعاً لذلك، فنقص من الرسم في القمر مناسبة لنقص الدواعي، والله أعلم.



٤٤ - قال تعالى في سورة هود (٢٠): ﴿أَوَلَيْكَ لَمْ يَكُونُوا مُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ وَمَا كَانَ لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ﴾

وقال في سورة الشورى (٣١): ﴿وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾.

سؤال: لماذا قال في هود: ﴿أَوَلَيْكَ لَمْ يَكُونُوا مُعْجِزِينَ﴾ وقال: ﴿وَمَا كَانَ لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ﴾ فجاء بالفعل الماضي، وقال في سورة الشورى: ﴿وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ﴾ وقال: ﴿وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ﴾ بأسلوب الخطاب للحاضر؟

الجواب: إن الكلام في هود إما هو في الآخرة، وهو يدور على أحداث ماضية كانت في الدنيا، فقد قال: ﴿أَوَلَيْكَ يَعْزُصُونَ عَلَى رَبِّهِمْ وَيَقُولُ الْأَشْهَادُ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى رَبِّهِمْ أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ﴾ (١٨) فاقتضى ذكر الفعل الماضي. وأما الخطاب في الشورى فهو في الدنيا، قال تعالى: ﴿وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ﴾ (٣). فاقتضى كل منهما ما ذكر في موضعه.



٤٥ - قال تعالى في سورة هود: ﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُّورُ قُلْنَا احْمِلْ فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجَيْنِ آتِينَ وَأَهْلِكَ إِلَّا مَنْ سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ وَمَنْ آمَنَ وَمَا آمَنَ مَعَهُ إِلَّا قَلِيلٌ﴾ (٤).

السؤال الأول: ما المقصود بـ (أهلك) أهم الأهل أم هو فعل ماضٍ من الإهلاك؟

الجواب: إن المقصود بـ (أهلك) هم الأهل وليس فعلاً ماضياً ، ويدل على ذلك أمور منها

١ - إن الإهلاك لم يحصل بعد ، وأن المؤمنين لم يركبوا بعد في السمينة ، فإنه قال بعد هذه الآية : ﴿ وَقَدْ أَرْكَبُوا فِيهَا سَمَ اللَّهِ مَحْرَأَهَا وَمَرَسَاهَا ﴾ (٤١)

٢ - لو كان (أهلك) فعلاً ماضياً لكان الاستثناء مفرغاً ، أي إن استثنى منه غير مذكور ، والاستثناء المفرغ إنما يكون في النفي وشبهه ولا يقع في الإثبات إلا نادراً ، والفعل في الآية مثبت فلا يترجح أنه فعل

٣ - وما يدل على أن المقصود بـ (أهلك) هم الأهل قوله تعالى في سورة (المؤمنون) : ﴿ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَنْ سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ مِنْهُمْ ﴾ (٢٧) فإن الضمير في (منهم) يعود على الأهل .

٤ - لو كان المقصود بـ (أهلك) الفعل لكان الباجون جماعتين :

أ- مَنْ سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ .

ب- وَمَنْ آمَنَ .

وهذا يقتضى أن مَنْ سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ ليسوا بمن آمن ، ومع ذلك فقد بجا ، وهذا لا يصح .

٥ - المجيء بـ (على) مع الفعل (سبق) يدل على أن المقصود بمن سبق عليه القول أنه معدت كقولته تعالى ﴿ حَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ ﴾ و ﴿ حَقَّ الْقَوْلُ عَلَى أَكْثَرِهِمْ ﴾ ونحو ذلك .

بحلاف استعماله مع اللام فإياه بشرى بالحسنى كقوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِّنَ الْحُسْنَىٰ أُولَٰئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ﴾ (الأنبياء: ١٠١)، وقوله: ﴿وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ﴾ (٧١) إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَصْرُورُونَ﴾ (الصافات: ١٧١، ١٧٢).

السؤال الثاني: قال في هذه الآية آية هود: ﴿وَأَهْلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ مِنْ أَمِّنَ﴾. وقال في آية (المؤمنون): ﴿وَأَهْلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ مِنْهُمْ﴾. فذكر في آية (المؤمنون) (منهم) ولم يذكر ذلك في آية هود فما سبب ذلك؟

الجواب: إن القصة في سورة هود مبنية على لعموم في أكثر من جانب من جوابها، أما القصة في سورة (المؤمنون) فمبنية على الخصوص، وما يوضح ذلك:

١ قوله في هود: ﴿وَأَهْلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ﴾، وقوله في (المؤمنون): ﴿وَأَهْلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ مِنْهُمْ﴾ وما في هود أعم مما في (المؤمنون) فإنه لم يقل: (منهم).

٢ أنه قال في هود: ﴿وَمَنْ آمَنَ﴾ فزاد على الأهل: ﴿مَنْ آمَنَ﴾ ولم يذكر ذلك في (المؤمنون)

ولا شك أن ما في هود أعم فإنه زاد على الأهل من آمن.

٣ أنه قال في هود: ﴿لَا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلَّا مَنْ رَحِمَ﴾ (٤٣)، وهذا يفيد العموم فإنه استغرق بهي العصم لا من رحم الله وذلك أنه نعى بلالا) كنفية للجس، ولم يقل مثل ذلك في (المؤمنون).

٤ - قال في هود: ﴿قُلْ يَا نُوحُ اهْبِطْ بِسَلَامٍ مِنَّا وَبَرَكَاتٍ عَلَيْكَ وَعَلَىٰ أُمَمٍ

مَتَمَّنْ مَعَتْ ﴿٤٨﴾. وقال في (المؤمنون): ﴿وَقُلْ رَبِّ أَنْزِلْنِي مُنزَلاً مُبَارَكاً وَأَنْتَ خَيْرُ الْمُنْزِلِينَ﴾ (٢٩)

فإنه في هود رد السلام على البركات، ولم يذكر ذلك في (المؤمنون)، وقال في هود: ﴿وَبَرَكَاتٍ﴾ وهو جمع بركة، في حين قال في (المؤمنون): ﴿مُنْزَلاً مُبَارَكاً﴾ بالإنفراد.

وقال في هود ﴿عَنْكَ وَعَلَىٰ أُمَمٍ مِّمَّنْ مَعَكَ﴾، ولم يقل مثل ذلك في (المؤمنون)، وإنما دعا لنفسه. ﴿أَنْزِلْنِي﴾.



٤٦- قال تعالى في سرره هود في قصة عاد: ﴿وَاتَّبِعُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ (٦).

وقال في سورة هود أيضاً في قوم فرعون: ﴿وَاتَّبِعُوا فِي هَذِهِ لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْسُ الرِّفْدُ الْمَرْفُودُ﴾ (٩٩)

سؤال: لماذا قال في عاد: ﴿وَاتَّبِعُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةً﴾ فذكر (الدنيا)، وقال في قوم فرعون: ﴿وَاتَّبِعُوا فِي هَذِهِ لَعْنَةً﴾ ولم يذكر الدنيا، مع أن المقصود بالإشارة هي الدنيا؟

الجواب:

١ إن قصة عاد في السورة أطول من قصه موسى وفرعون، فقصة عاد إحدى عشرة آية تبدأ من الآية الخمسين إلى الآية لستين، وأما قصة موسى فهي أربع آيات من الآية السادسة والتسعين إلى الآية اثنا عشرة والتسعين. فناسب ذكر (الدنيا) مقام الإطالة والتبسط في قصة عاد، وناسب عدم ذكرها والاكتفاء بالإشارة إليها في مقام الإيجاز.

٢ ذكر في قصة عاد أموراً تتعلق بالدنيا منها أنه قال فيها ﴿وَأَنَا فَوْمٌ

اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَى قُوَّتِكُمْ ﴿٥٢﴾، فقد ذكر في هذه الآية أمرين مهمين من أمور الدنيا:

أحدهما: سعة الرزق، وبه تقوم الحياة، وهو قوله: ﴿يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا﴾.

والآخر: زيادة القوة، وبه استمرار الحياة الكريمة، وهو قوله: ﴿وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَى قُوَّتِكُمْ﴾ ولم يذكر أمراً يتعلق بالدنيا في قصة موسى.

فناسب ذكر الدنيا والإشارة إليها في قصة عاد، وعدم ذكرها والاكتفاء بالإشارة إليها في قصة موسى من هذه الجهة أيضاً.

٣ - أشار إلى العذاب الذي أحاط بعاد ونجدة هود ومن آمن معه في الدنيا، فقال: ﴿وَلَمَّا حَاءَ أَمْرُنَا نَحْنِيا هُودًا وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَنَجَّيْنَاهُم مِّنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ﴾ (٥٨)

وسم يشر إلى عذاب أو عقوبة أحاطت بفرعون وملته في الدنيا، فناسب من جهة أخرى ذكر (الدنيا) والإشارة إليها في قصة عاد، والاكتفاء بالإشارة إليها في قصة موسى.

٤ - ذكر العذاب الذي سيصيب فرعون وقومه يوم القيامة، فقال: ﴿يَقْدُمُ قَوْمَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَأَوْرَدَهُمُ النَّارَ وَيَتَّسِ الْوُرْدُ لِمُورَدٍ﴾ (٩٨)، ولم يذكر شيئاً عن عذاب سيصيب عاداً يوم القيامة.

فناسب من جهة أخرى ذكر الدنيا في قصة عاد، وعدم ذكرها والاكتفاء بالإشارة إليها في قصة فرعون.

ويحسن أن نذكر من جهة أخرى أنه اختلف التعقيب بعد كل قصة بما يناسب المقام، فقد قال تعقياً على قصة عاد: ﴿رَأَيْتُمَا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةً وَيَوْمَ

الْقِيَامَةِ»، وقال تعقيباً على قصة فرعون: «يَقْدُمُ قَوْمَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَأَوْرَدَهُمُ النَّارَ وَبِئْسَ الْوَرْدُ الْمَوْرُودُ» (٤٨) وَأَتَّبَعُوا فِي هَذِهِ لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ بِئْسَ الرَّقْدُ الْمَرْقُودُ». (٩٨، ٩٩)، فلم يزد على قوله: «وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ» في قصة عاد لأنه لم يذكر فيها أمراً يتعلق بيوم القيامة.

وقال في قصة فرعون بعد ذكر العذاب: «بِئْسَ الْوَرْدُ الْمَوْرُودُ» ثم قال بعد قوله: «وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ»: «بِئْسَ الرَّقْدُ الْمَرْقُودُ». فكان كل تعبير أنسب بالموضع الذي ورد فيه.



٤٧- قال تعالى في سورة هود في قوم صالح: «وَأَخَذَ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةَ» (٦٧).

وقد في السورة نفسها في مدين قوم شعيب: «وَأَخَذَتِ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةَ» (٩٥).

سؤال: لماذا قال في قوم صالح «وَأَخَذَ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةَ» بتذكير الفعل (أخذ)، وقال في قوم شعيب: «وَأَخَذَتِ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةَ» بالتأنيث مع أن الفاعل واحد، والفصل بين الفعل والفاعل واحد؟

الجواب: من المعلوم أنه يجوز في نحو هذا تذكير الفعل وتأنيثه لأن الفاعل غير حقيقي التأنيث، وأما اختيار التذكير والتأنيث في كل موضع فله أكثر من سبب منها

١- أنه قيل: إنه أخبر عن قوم شعيب بثلاثة أنواع من العذاب كلها مؤنثة اللفاظ، وهي: الرحفة والصيحة والطلقة، فاسبب ذلك التأنيث في أهل مدين، جاء في «درة لتترويل»: «هل لتبخصيصر قصة شعيب بـ(أخذت) فائدة ليست لها في قصة صالح عليه السلام».

اجواب عن هذا الموضع هو أن يقال إن الله أجبر عن العذاب الذي أهلك به قوم شعيب عليه السلام ثلاثة ألفاظ منها: (الرجفة) في سورة الأعراف في قوله: ﴿وَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ لِبَنِيِّ أَتَيْتُمْ شُعَيْبًا بِكُمُ إِذَا خَاسِرُونَ (٩٠) فَأَحْذَرْتُمُ الرَّجْفَةَ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَاثِمِينَ (٩١) الَّذِينَ كَذَبُوا شُعَيْبًا كَأَن لَّمْ يَعْرِفُوا فِيهَا﴾ (٩٠ ٩١).

وذكر ذلك قبله في مكان آخر.

ومنها (الصيحة) في سورة هود في قوله تعالى: ﴿وَأَحْذَرْتُمُ الَّذِينَ تَلْمِزُوا الصَّيْحَةَ فَأَصْبَحُوا فِي دِيَارِهِمْ جَاثِمِينَ (٩٤) كَأَن لَّمْ يَعْرِفُوا فِيهَا إِلَّا بَعْدَ الْمَدِينِ كَمَا بَعْدَتْ تَمُودُ﴾ (٩٤ ٩٥).

ومنها (الظلة) في سورة الشعراء في قوله تعالى: ﴿فَأَحْذَرْتُمُ عَذَابَ يَوْمٍ لَّظُلَّةٍ﴾ (١٨٩).

فلما اجتمعت ثلاثة أشياء مؤنثة الألفاظ في العبارة عن العذاب الذي أهلكوا به غلب الثابت في هذا المكان على الممكن الذي لم تتوال فيه هذه المؤنثات، فلذلك جاء في قصة شعيب: ﴿وَأَحْذَرْتُمُ الَّذِينَ تَلْمِزُوا الصَّيْحَةَ﴾ (٩٤). وهذا الكلام فيه نظر.

والصواب أن مدين ذكر عنهم سبحانه أنهم أخذتهم الصيحة، وأنهم أخذتهم الرجعة، وأما عذاب يوم الظلة، فإنه لم يُصَبِّ مدين، وإنما أصاب أصحاب الأيكة، قال تعالى فيهم: ﴿فَأَحْذَرْتُمُ عَذَابَ يَوْمٍ الظُّلَّةِ﴾ (الشعراء ١٨٩). وكلاهما أرسل إليهما شعيب، هذا من ناحية.

ومن ناحية أخرى أن (الرجفة) أخذت قوم صالح أيضاً، قال تعالى
 ﴿فَأَخَذْتَهُمُ الرِّجْفَةَ﴾ (الأعراف ٧٨)، فهذا التعليل فيه نظر

٢ - إنه عبر عن عذاب قوم صالح بالخرى فقال: ﴿فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَحْنًا
 صَالِحًا وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ رَحْمَةً مِّنَّا وَمِنْ خِزْيٍ يُومِتُ﴾ (هود: ٦٦).

والخزي مذكر فناسب التذكير في قوم صالح (١)،
 مد تقول إنه قال في قصة مدين ﴿سَوْفَ تَعْلَمُونَ مَنْ يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْرِيهِ﴾
 (٩٣)، والعذاب مذكر.

فيقول إنه ذكر العذاب أيضاً في قصة ثمود، فقال: ﴿فَأَخَذَكُمُ عَذَابُ
 قُرْبٍ﴾ (٦٤)، وذكر الخري علاوة على ذلك فناسب التذكير في قوم صالح.

٣ إن التعقيب على قوم صالح وعقابهم أشد مما ذكره في قوم شعيب،
 فقد قال في قوم صالح: ﴿فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَحْنًا صَالِحًا وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ رَحْمَةً مِّنَّا
 وَمِنْ خِزْيٍ يُومِتُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ (٦٦) وَأَحَدُ الْبَاقِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةَ
 فَأَصْحَرُوا فِي دِيَارِهِمْ حَاتِمِينَ (٦٧) كَانَ لَمْ يَمُوتُوا فِيهَا إِلَّا إِنَّ ثَمُودَ كَفَرُوا رَبَّهُمْ أَلَا بُعْدًا
 لِّثَمُودَ﴾ (٦٨ ٦٩)

وقال في قوم شعيب ﴿وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَحْنًا شُعَيْبًا وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ رَحْمَةً
 مِّنَّا وَخَذْتُ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةَ فَأَصْحَرُوا فِي دِيَارِهِمْ حَاتِمِينَ (٩٤) كَانَ لَمْ يَمُوتُوا
 فِيهَا أَلَا بُعْدًا لِّلْمُتَدِينِ كَمَا بَعْدَتْ ثَمُودُ﴾ (٩٥ ٩٥). ومن النظر في النصين يتبين لنا
 ما يأتي:

أ أنه قال في قوم صالح: ﴿فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا﴾.

وقال في مدين: ﴿وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا﴾.

(١) انظر كتاب (معاني لحيو) (٢/ ٤٨٥ - ٤٨٨) (باب المعاني).

ولقاء تفيد التعقيب ذلك أنه قال على لسان نبيها صالح ﴿فِيَأْخُذُكُمْ عَذَابٌ قَرِيبٌ﴾ (٦٤).

فناسب التواعد بالعذاب القريب ذكر لعاء التي تفيد الترتيب والتعقيب، ثم إن نبيهم توعدهم بعد عقر الباقية بالعذاب بعد ثلاثة أيام، فلما انقضت الأيام الثلاثة حلّ بهم العذاب، فتناسب ذلك أيضاً ذكر العاء التي تفيد الترتيب والتعقيب، وليس الأمر كذلك في مدين فناسب فيها ذكر الواو.

ب - إنه ذكر الحزبي في عقوبة قوم صالح، فقال ﴿وَمَنْ خُزِّيْ يَوْمَئِذٍ﴾ ولم يذكر ذلك في قوم شعيب.

ج - وذكر قوة الله وعزته تعقيباً على هلاك قوم صالح فقال ﴿إِنْ رَكْ هُوَ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ﴾، ولم يذكر مثل ذلك في قوم شعيب.

د - وقال في قوم صالح ﴿أَلَا إِنَّ تَمْوِذَ كَصُرُوا رَبَّهُمْ﴾، ولم يقل مثل ذلك في قوم شعيب.

فانضح أن التعقيب على قوم صالح كان أشد فجاء في عصوتهم بلفظ التذكير فقال ﴿وَأَحَدُ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةَ﴾ لأن المذكر أقوى من المؤنث.

وقد ذكرنا في تدكير وتأنيث لفظ الملائكة أنه إذا كان ثمة أمر أشد من آخر كأن يكون موقفي عذاب أحدهما أشد من الآخر جيء بما هو أشد بالتذكير للدلالة على قوة الأمر وثبوتته، فناسب التذكير قوم صالح والتأنيث قوم شعيب.

٤ وعلاوة على كل ذلك فإن قصة قوم شعيب في هذه السورة أطول من قصة قوم صالح، فإن قصة قوم صالح ثمان آيات من الآية الحادية ولستين إلى الآية ثمانية والستين.

ون قصة مدين اثنتا عشرة آية من الآية الرابعة والثمانين إلى الآية الخامسة

والسعين، وإن كلمة (أخذت) أطول من (أجذ) فناسبت الكلمة الطويلة طول القصة من جهة أخرى

٥ وردت كلمة (العذب) في قوم صالح في القرآن الكريم أكثر مما وردت في مدين، فإنها وردت في قوم صالح سبع مرات وهي:

قوله تعالى: ﴿فَيَأْخُذْكُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ (الاعراف: ٧٣).

وقوله: ﴿فَيَأْخُذْكُمْ عَذَابٌ قَرِيبٌ﴾ (هود: ٦٤).

وقوله: ﴿فَيَأْخُذْكُمْ عَذَابٌ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ (الشعراء: ١٥٦).

وقوله: ﴿فَأَحْذَهُمُ الْعَذَابُ﴾ (الشعراء: ١٥٨).

وقوله: ﴿فَأَحْذَتْهُمْ صَاعِقَةُ الْعَذَابِ الْهُونِ﴾ (مصلح: ١٨).

وقوله: ﴿فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذْرِي﴾ (القمر: ٣٠).

وقوله في عاد وثمود وفرعون: ﴿فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ﴾

(الصعر: ١٣).

ووردت في أهل مدين مرة واحدة، وذلك قوله تعالى: ﴿سَوْفَ تَعْلَمُونَ مِنْ يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُحْرِيهِ﴾ (هود: ٩٣).

وإن من معاني (الصيحة) في اللغة (العذاب)^(١)، فذكر الصيحة في قوم صالح إشارة إلى معنى العذاب ومناسبة لذكره الذي تكرر فيهم، ولم يكن لأمر كذلك بالنسبة إلى قوم شعيب أهل مدين فجاء بالفعل على لفظ الصيحة وهو التأنيت.

٦ وأما قوله تعالى تعقيماً على قوم شعيب ﴿أَلَا بُعْدًا لِلْمَدِينِ كَمَا بَعْدُ ثَمُودُ﴾ فذلك لأن صيغة العذاب واحدة في القومين فكلاهما أهلك بالصيحة فشبه هلاك مدين بهلاك ثمود، والله أعلم.

(١) انظر لسان العرب (صحيح) (٣/٣٥٣).

٤٨ - قال تعالى في سورة يوسف: ﴿يَا أُنثَىٰ أَتَرَأَىٰ أُفْرَأَا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ (٢)

وقال في سورة الزخرف: ﴿يَا حَمَلَةَ أُفْرَأَا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ (٣).

سؤال: لماذا ذكر الإنزال في آية يوسف والجعل في الزخرف؟

الجواب: لقد ذكر الإنزال في آية يوسف لأنه ذكر ما يتعلق بالإنزال وهو قوله: ﴿حَسْبُ نَقْصٍ عَلَيْكَ أَحْسَنُ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَٰذَا الْقُرْآنَ وَإِنْ كُنْتَ مِنْ قَبْلِهِ لَمَنِ الْعَاقِلِينَ...﴾ لقد كان في يوسف وأحويه آياتٌ للسائلين ﴿٣-٧﴾.

فقد ذكر أن ربه يقص عليه أحسن القصص وأنه أوحى إليه هذا القرآن .
وأن هذه القصة جواب للسائلين عنها . ومعنى ذلك أنه أنزله إليه .

وسورة يوسف هي في عمومها سرد لقصة يوسف التي سُئل عنها رسول الله فقد ذكر في أسباب نزولها أن جماعة من اليهود سألوا رسول الله ﷺ أن يحدثهم بأمر يعقوب وولده وشأن يوسف وما انتهى إليه .

وقيل إن جماعة من اليهود وجهوا إلى رسول الله ﷺ من أهل المدينة مَنْ يسأله عن رجل من الأنبياء كان بالشام أخرج ابنه إلى مصر فبكى عليه حتى عمي . ولم يكن معه أحد من أهل الكتاب . ولا من يعرف خبر الأنبياء . فأنزل الله سورة يوسف جملة واحدة كما في التوراة (١).

وقد قال سبحانه في آخر القصة: ﴿ذَٰلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ وَمَا كُنْتَ بِبِهِمْ إِذْ أَحْمَعُوا أَمْرَهُمْ وَهُمْ يَمْكُرُونَ﴾ (٢ ١).

فقد ذكر سبحانه أن هذا من أنباء الغيب فدل ذلك على أن هذا الكتاب إنما هو إنزال من عند الله لأن قومه لا يعلمون عن هذه القصة شيئاً ، فناسب ذلك ذكر الإنزال

(١) انظر روح المعاني (١٢/١٧٠)، فتح القدير (٦/٣)

أما في آية لرخرف فلم يذكر الإنزال، وإنما ذكر الجعل لأنه لم يذكر ما يتعلق بالإنزال فقد قال بعدها: ﴿وإِنَّهُ فِي أُمِّ الْكِتَابِ لَدَيْنَا لَعَلِّي حَكِيمٌ﴾ (٤)، ففي قوله: ﴿فِي أُمِّ الْكِتَابِ﴾ و﴿لَدَيْنَا﴾ و﴿لَعَلِّي﴾ دلالة على أن الكلام ليس على الإنزال وإنما على ما هو في الأعلى فسم يذكر الإنزال.

ثم إنه تردد لفظ الجعل في السورة عدة مرات من نحو قوله: ﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ مَهْدًا وَجَعَلَ فِيهَا سُبُلًا لَّعَنَكُمُ تَهْتَذُونَ﴾ (١)، وقوله: ﴿وَجْعَلُوا لَهُ مِنْ عَادِهِ جُرءً إِنَّ الْإِنْسَانَ لَكَفُورٌ مُبِينٌ﴾ (١٥)، وقوله: ﴿وَجْعَلُوا الْمَلَائِكَةَ أَبْدِينَ هُمْ عِبَادُ الرَّحْمَنِ إِنَّا﴾ (١٩)، وقوله: ﴿وَلَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَا مِنْكُمْ مَلَائِكَةً فِي الْأَرْضِ يَخْلُفُونَ﴾ (٦٠)، وغيره. فناسب ذكر الجعل فيها

هذا من جهة، ومن جهة أخرى أن لفظ (الجعل) ورد في الرخرف أكثر مما في سورة يوسف، فقد ورد في الزحرف (١١) إحدى عشرة مرة، وورد في سورة يوسف (٤) أربع مرات.

وإن الإنزال ومشتقاته ورد في يوسف (٣) ثلاث مرات وورد في الزحرف مرة واحدة. فناسب ذكر الجعل في الزحرف والإنزال في يوسف من جهة أخرى

جاء في "ملاك التأويل" في سبب الاختلاف بين هاتين الآيتين: "أن آية سورة يوسف لما كانت بوطئة يذكر قصصه عليه الصلاة والسلام... ومستوفياً ما كان أهل الكتاب يظنون أنهم انفردوا بعلمه فأثرل الله هذه السورة موفية من ذلك آتاه ومعرفة من قصصه العجيب ومؤدية أكمله وأعمه ولا أنسب عبارة من قوله تعالى: ﴿يَا أُنزِلَاهُ قُرْآنًا غَرِيبًا﴾ ليعلم العرب وأهل الكتاب أن ذلك منزل من عند الله تعالى. وليقطع اعرب والجميع أن محمداً ﷺ لم يتلق ذلك القصص من أحد من العرب إذ لم يكن عندهم من نباء ولا رحل في

تعرّفه إلى أحد فكان قصصاً وآية مُعلِّماً بصحة رسالته ﷺ وعظيم تلك العناية، فالتعبير بالإنزال هنا يبيّن.

وأما آية الزخرف فلم تُبنّ على إخبار بل أعقبت بأي الاعتبار واللفظ والتبيه والتذكار^(١).



(١) ملاك التأويل (٢/ ٥٣٦ - ٥٣٧).

٤٩- يقول الله سبحانه . ﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَظِلَالُهُم بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ﴾ (الرعد: ١٥)

ويقول . ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ وَاشْمُسُ وَالْقَمَرُ وَالْجُورُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالدَّوَابُّ وَكَثِيرٌ مِّنْ نَّاسٍ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ الْعِقَابُ﴾ (النح: ١٨).

بإسناد الفعل (يسجد) إلى (مَنْ) التي هي للعاقل في الآيتين .
وقال في آية أخرى : ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى مَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ يَتَفَيَّأُ ظِلَالُهُ عَنِ الْيَمِينِ وَالشَّمَائِلِ سُجَّدًا لِلَّهِ وَهُمْ دَاخِرُونَ﴾ (٤٨) وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ دَابَّةٍ وَالْمَلَائِكَةُ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ﴾ (الحج: ٤١، ٤٢) بإسناد الفعل (يسجد) إلى (ما) فما السبب؟

الجواب: قال تعالى في آية الرعد ﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا﴾، والطوع والكره من صفات العفلاء، إذ العاقل هو الذي يختار الفعل طوعاً أو يُستكره عليه، فناسب إسناد السجود إلى (مَنْ) التي هي للعاقل .

وأما آية الحج فإنها في سياق لعقلاء . فقد قال قبلها : ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّاعِينَ وَالنَّصَارَى وَالْمَجُوسَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا إِنَّ اللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ (١٧) أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ . . . الآية .

فناسب إسناد السجود إلى (مَنْ) أيضاً .

وأما آية النحل فإنها ذكرت في سياق العموم . فقد جاء قبل الآية قوله سبحانه : ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى مَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ يَتَفَيَّأُ ظِلَالُهُ عَنِ الْيَمِينِ وَالشَّمَائِلِ

سُجِّدَ لَهُ وَهُمْ دَاخِرُونَ (٤٨) وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ . ﴿١﴾
الآية ، فقد قال . ﴿لَمْ يَرَوْا إِلَى مَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ﴾ وكلمة (شيء) تدل على
العموم من عاقل وغيره ، هذا من جهة .

ومن جهة أخرى أنه قال في الآية : ﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي
الْأَرْضِ مِنْ دَابَّةٍ﴾ فينبغي الساجدين بقوله . (من دابة) ، وكلمة (دابة) عامة ،
واستعملها في غير العاقل هو الغالب ، فناسب إسناد الفعل إلى (ما) من
جهتين

الأولى: العموم في (شيء)

والأخرى : العموم وغلبة غير العاقل في (دابة) .

و (ما) كما هو معوم 'عم من (من) ، وما تدل عليه أكثر مما تدل عليه
(من)

إِنْ (من) خاصة بذوات العقلاء ، وأما (ما) فهي تدل على ذوات ما لا
يعقل وعلى صفات العقلاء .

فالأمر نحو قولك (أكل ما تأكل وأركب ما تركب) . قال تعالى
﴿يَنْبَغِي كُلُّ مِمَّا تَأْكُلُونَ مِنْهُ وَيَشْرَبُ مِمَّا تَشْرَبُونَ﴾ (يؤمنون : ٣٣) .

والثاني نحو قولك (ما يريد) فتقول تاجر أو كاتب ، ونحو قوله
تعالى ﴿وَمَنْ مِمَّا سَوَّاهَا﴾ (شعشع : ٧) ، والذي سَوَّاهَا هو الله ، وقوله
﴿فَاكْبَحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ السَّاءِ﴾ (السم : ٣) ، فأتضح أن ما تدل عليه (ما)
'عم وأكثر مما تدل عليه (من) وذوات غير العاقل أكثر من ذوات العقلاء ،
فكيف إذا أُصيف إليهم صفات العقلاء ؟

فنسب العموم كلمة (ما) في آية النحل إضافة إلى ما بيّن به (ما) من
غير العاقل أو ما علب فيه ذلك ، وهو قوله (من دابة) فناسب ذلك (ما)
يضاً

ومن اللطيف أن نذكر ههنا أن الله سبحانه إذا أسد السجود، إلى (مَنْ) أتبعه بذكر غير العاقل، وإذا أسنده إلى (ما) أتبعه بذكر العاقل.

فقد قال في آية الرعد: ﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ﴾ ثم عطف عليه بقوله: ﴿وِطْلَالُهُمْ﴾ والطلال غير عاقبه.

وقال في آية الحج: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ﴾، وعطف عليه الشمس والقمر والنجوم ونحوها.

وقال في آية النحل: ﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِي السَّمَوَاتِ﴾ وعطف عليه الملائكة، حتى إنه فعل ذلك مع فعل التسييح في قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُسَبِّحُ بِهِ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالطَّيْرِ صَافَّاتٍ﴾ (الزمر: ٤١) فعطف (الطير) على: ﴿مَنْ فِي السَّمَوَاتِ﴾

وفد تقول. ولم قال في آية الحج: ﴿وَكَثِيرٌ مِّنَ النَّاسِ﴾ بعد قوله ﴿وَمَنْ فِي الْأَرْضِ﴾ وهم داخلون فيمن قبلهم؟

والجواب من أكثر من وجه:

فقد يكون ذلك من باب عطف الخاص على العام فإن قوله: ﴿مَنْ فِي الْأَرْضِ﴾ لا يحصر الناس وحدهم بل قد يكونون من الناس أو من غيرهم من الجن أو عباد الله الآخرين الذين لا نعلمهم.

وعطف الخاص على العام عبر عزيز في اللغة، قال تعالى: ﴿حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَى﴾ (البقرة: ٢٣٨).

والصلاة الوسطى من الصلوات، وقار: ﴿فِيهِمَا فَكِيهَةٌ وَنَخْلٌ وَرَمَانٌ﴾ (سجس: ٦٨)، والنخل والرمان فاكهة.

أو إن لسجود الأول بمعنى السجود اعام، وهو التسخير والانقياد لله

والخضوع له، وهذا لا يخص الإنسان بل يعم الجميع من عاقل أو غيره، وهو ليس عبادة بالسبب إلى إكليفين، وإن لسجود الثاني سجود طاعة واختيار كما قال تعالى ﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا﴾

وقد يقوي هذا الاحتمال أنه ذكر قبل الآية أصنافاً من الناس، مَنْ يسجد لله سجود طاعة وكثيراً حق عليه العذاب، وذلك قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئِينَ وَالْمَجُوسَ وَالنُّصَارَى الَّذِينَ أُشْرِكُوا إِنَّ اللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾، فالمجوس والذين أشركوا وقسم من الصابئين لا يسجدون لله سجود طاعة واختيار، فقد يكون من بين هؤلاء مَنْ يعبد النار أو يعبد النجوم أو غير ذلك من المعبودات.

فناسب أن يقول: ﴿وَكَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْإِسْلَامِ يَفْعَلُونَ ذَلِكَ حَقًّا عَلَيْهِ الْعَذَابُ﴾



٥٠ - قال تعالى: ﴿رَبُّمَا يَوْذُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ كَانُوا مُسْلِمِينَ﴾ (الحجر ٢).

سؤال: لِمَ قُرِئَتْ (رَبُّمَا) بتخفيف الباء؟

الجواب: إن (ربما) قرئت بالتخفيف والتشديد وكلتا القراءتين سبعية متواترة.

أما الإجابة عن التحميف والتشديد فإن التخفيف قد يكون لتخفيف معنى الحرف، وإن التشديد أكد في معنى الحرف، وذلك نظير نون التوكيد الثقبة والخفيفة، فإن لثقيلة أكد من الخفيفة، ونظير (إن) الثقبة والمخففة فإن الثقيلة أكد من المخففة، فـ(رب) المثقفة أكد في معنى الحرف من المخففة فإن تكرار الباء لزيادة المعنى.

و(رب) تكون للتكثير كقوله ﷺ: «الْأَرْبَ كَاسِيَةٌ فِي الدُّنْيَا عَارِيَةٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»، وتكون للتقليل كقول الشاعر:

الْأَرْبَ مَوْلُودٌ وَلَيْسَ لَهُ أَبٌ وَدِي وَلَسَدٌ لَمْ يَلِدْهُ أَبَوَانُ

إن الرغبة في الدخول في الإسلام التي ذكرتها الآية تختلف بحسب المواطن والأشخاص، فقد تقوى في مواطن وتحفّ في مواطن، وقد تقوى عند أشخاص وتحفّ عند آخرين، فقد قيل: إن ذلك في الدنيا عندما رأوا الغلبة للمسلمين في بدر^(١) وغيرها.

وهي مثل هذا المواطن يتمنى قسم من الناس أن لو كانوا مسلمين ليحصلوا على غنم، ويختلف هذه الرغبة باختلاف الأشخاص، فقد تكون قوية عند أشخاص، وقد تكون خفيفة عند آخرين.

وقيل إن ذلك يكون في القيامة، ولا شك أن تلك الرغبة ستكون قوية جداً وأنهم كانوا يتمنون أن لو كانوا مسلمين.

فألتمني في أن لو كانوا مسلمين يختلف قوة وشدة بحسب المواطن ، وبحسب الأشخاص ، فقد يكون قوياً جداً في موطن ما ، فذلك المعنى يحققه التشديد ، وقد يكون أضعف في موطن آخر فذلك ما يحققه التخفيف ، فاقضى ذلك القراءتين كليهما .



٥١ - قال تعالى في سورة الحجر ﴿ادخلوها بسلام آمين﴾ (٤٦) ، وقال في سورة ق ﴿ادخلوها بسلام ذلك يوم الخلود﴾ (٣٤) .

سؤال : لماذا ذكر الأمن في آية الحجر ، فقال : ﴿ادخلوها بسلام آمين﴾ ولم يقل مثل ذلك في آية (ق) ؟

الجواب : هناك ما حسن ذكر الأمن في آية الحجر . ذلك أن الآية وردت في سياق قصة آدم وإبليس وانتهت بإخراج آدم من الجنة ، فكان من المناسب أن يؤمنهم ربنا من ذلك ، ومن كل ما يخشى منه وأنه لا يصيبهم ما أصاب أباهم حين كان في الجنة ثم أخرج منها .

وقوى هذا المعنى بقوله ﴿وما هم فيها بمخرجين﴾ (٤٨) تمكيناً لهذا المعنى في نفوسهم ودرعاً لإبليس وزيادة في إغاظته ، وهو من لطيف المناسبات

وليس السياق في (ق) في مثل ذلك . وإنما ذكر مجيء الموت ، وفرار الإنسان منه ، فقال ﴿وحاءت مكرة الموت بالحق ذلك ما كنت منه تحيد﴾

(١٩)

فما سب ذكر الخلود الذي لا موت فيه والذي هو مطمع الإنسان وغاية رغبته ، فقال ﴿ذلك يوم الخلود﴾ فكان كل تعبير في مكانه أنسب



٥٦- قال تعالى في سورة النحل: ﴿وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِظُلْمِهِمْ مَا تَرَكَ مِنْهَا مِنْ دِينٍ وَلَكِنَّ يُوَخِّرُهُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَإِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾ (٦١).

وقال في سورة الحجر: ﴿وَمَا أَهْلَكْنَا مِنْ قَرْيَةٍ إِلَّا وَلَهَا كِتَابٌ مَّعْلُومٌ (٤) مَا تَسْبِقُ مِنْ أُمَّةٍ أَجَلَهَا وَمَا يَسْتَأْخِرُونَ﴾ (٤، ٥).

سؤال: لماذا ذكر تأخير الأجل في النحل، فقال: ﴿فَإِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾.

وقدّم سبق الأجل في الحجر. فقال: ﴿وَمَا تَسْبِقُ مِنْ أُمَّةٍ أَجَلَهَا وَمَا يَسْتَأْخِرُونَ؟﴾

الجواب: قدّم تأخير لأجل في النحل لأكثر من مناسبة.

فقد قال في الآية: ﴿وَلَكِنَّ يُوَخِّرُهُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ فناسب التأخير التأخير؛ ولأن الناس يريدون تأخير الأجل، فقدّم ما يريد به الناس وما يسعون إليه؛ ولأنه قل: ﴿وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِظُلْمِهِمْ﴾ فقد يكون من أسباب الظلم الرعة في البقاء ومدّ الأجل، فناسب ذلك تأخير الأجل.

وأما تقديم الأجل في الحجر فله سببه أصب، ذلك أنه قال بعدها: ﴿وَقَاتِلُوا يُبَاهِىَ الَّذِي نَزَلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ إِنَّهُ مَجْهُونٌ (٦) لَوْ مَا تَأْتِيَا بِالْمَلَائِكَةِ إِن كُنْتُمْ مِنَ الصَّادِقِينَ (٧) مَا نُنَزِّلُ الْمَلَائِكَةَ إِلَّا بِالْحَقِّ وَمَا كَانُوا إِذَا مُنْظَرِينَ﴾ (٦، ٨).

فقد طلبوا نزول ملائكة، ولو أنزلها إليهم لم يسهلهم ولم يؤخرهم. كما قال تعالى: ﴿وَمَا نُنَزِّلُ الْمَلَائِكَةَ إِلَّا بِالْحَقِّ وَمَا كَانُوا إِذَا مُنْظَرِينَ﴾ فكانهم أرادوا استعجال أجلهم بطلبهم هذا، فقال ربنا: ﴿وَمَا تَسْبِقُ مِنْ أُمَّةٍ أَجَلَهَا وَمَا يَسْتَأْخِرُونَ﴾، فناسب كل تعبير موضعه الذي ورد فيه.

الأنعام لَعِبْرَةً تُسْقِيكُمْ مِمَّا فِي بُطُونِهِ مِنْ بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ لَبِأٌ حَالِصاً . . . ومن ثمرات النخيل والأغاب تتخذون منه سكراً ورزقاً حسناً ﴿٦٥-٦٧﴾ فناسب ذكر الرحمة.

وبنه ذكر قبل الآية الثانية بعد المائة شيئاً من البشرى وذلك من نحو قوله تعالى: ﴿وَجَرَيْنِ الْذَّيْسِ صَبَرُوا أَحْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ (٩٦) من عمل صالحاً من ذكرٍ أو أنثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة ولنجزينهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون ﴿٩٦، ٩٧﴾. فناسب ذكر البشرى، فناسب كل تعبير مكانه.



٥٤ - قال تعالى في سورة النحل: ﴿وَإِنْ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةٌ تُسْقِيكُمْ مِمَّا فِي بُطُونِهِ مِنْ بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ لَبِأٌ حَالِصاً سَائِعاً لِّلشَّارِبِينَ﴾ (١) ومن ثمرات النخيل والأغاب تتخذون منه سكراً ورزقاً حسناً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٦٦، ٦٧﴾.

سؤال: لماذا عدَّ السُّكَّرَ وهو الخمر من جملة النعم؟

ولماذا ختم الآية بقوله: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ مع أن الخمر تذهب بالعقل؟

الجواب:

١ - إن الآية نزلت قبل تحريم الخمر ومع ذلك فهي ليست كما ظن السائل.

٢ قل إن من معاني السُّكَّرِ (الحلّ) ولكن المعنى المشهور للسُّكَّرِ هو الخمر، ونحن سنتنظر في لنص بحسب المعنى المشهور

٥٣ - قال تعالى في سورة النحل ﴿وَمَا أُنزِلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي اخْتَلَفُوا فِيهِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ (٦٤)، فذكر الهدى والرحمة وقال فيها أيضاً: ﴿قُلْ نُرِلهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ لِيُثَبِّتَ الَّذِينَ آمَنُوا وَهُدًى وَبُشْرَى لِّلْمُسْلِمِينَ﴾ (٢٠١)، فذكر الهدى والبشرى.

وقال في السورة نفسها: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ بَيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِّلْمُسْلِمِينَ﴾ (٨٩).

فذكر الهدى والرحمة والبشرى فجمع الأوصاف كلها، فلم ذلك؟ ولم خص كل موطن بما ذكر فيه من الهدى والرحمة، أو الهدى والبشرى؟

الجواب: إن ما ذكره في الآية الرابعة والستين من قوله: ﴿وَمَا أُنزِلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي اخْتَلَفُوا فِيهِ﴾ إنما هو غرض واحد من أغراض إنزال الكتاب، فأغراض إنزال الكتاب كثيرة أهمها وأولها عبادة ربهم غير أنه ذكر غرضاً واحداً وهو تبين الذي اختلفوا فيه، فذكر الهدى والرحمة.

وكذلك ما ذكره في الآية الثانية بعد المائة وهو قوله: ﴿قُلْ نُرِلهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ لِيُثَبِّتَ الَّذِينَ آمَنُوا﴾، فهو غرض من أغراض إنزال الكتاب ولم يذكر الأغراض كلها، فذكر الهدى والبشرى.

وأما الآية التاسعة والثمانون فقد ذكر فيها أن تنزيل تبيان لكل شيء فلم يترك شيئاً إلا شمله فجمع الأوصاف كلها. فقال ﴿وهدى ورحمة وبشرى﴾ وهو المناسب لقوله: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تَبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ﴾.

أما الجواب عن السؤال الآخر وهو أنه لماذا خص كل موطن بما ذكره من الهدى والرحمة أو الهدى والبشرى فهو أنه ذكر بعد الآية الرابعة والستين - وهي قوله: ﴿وهدى ورحمة﴾ أموراً من مظاهر الرحمة وذلك من نحو قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ أَرْسَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْضَبَ بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا... وَإِنَّ لَكُمْ فِي

٣ - إنه قسّم ما يتخذهُ الإنسان من ثمرات الخيل والأعقاب على قسمين

السَّكَّر ولم يصفه بأنه حسن

والرزق الحسن، فأخرج السَّكَّر من الرزق الحسن مع أن الآية نزلت قبل تحريم الخمر، وفي هذا لفت للنظر إلى أن الخمر ليست عدوحة

٤ - إن الآية ليست خطاباً للمؤمنين وإنما هي لعموم الناس فيما يتحدوه من هذه لثمرات، وهذا أمر واقع فإن الناس يتحدون من هذه الثمرات ما ذكر

٥ - لم تكن الآية في تعداد النعم وإنما هي في ذكر ما هو حاصل في واقع الأمر.

٦ - لم يقل في خاتمة الآية (لعلكم تشكرون) لسيئ:
السبب الأول: أنها ليست في سياق ذكر النعم.
والآخر: لئلا يشمل الشكر السَّكَّر.

٧ - ختم الآية بقوله ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾

وكان في هذا إهانة لترك السكر لأن السكر يخامر العقل ويغطيه، أما الآية فإنها لمن يعقل لا من يذهب عقله السكر.



٥٥ - قال تعالى في سورة النحل: ﴿وَمِنْكُمْ مَنْ يُرَدُّ إِلَى أَوْدَلِ الْعُمُرِ بَكِيًّا لَا يَعْلَمُ لِمَ يَكُونُ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ قَدِيرٌ﴾ (٧٠).

وقال في سورة الحج: ﴿وَمِنْكُمْ مَنْ يُرَدُّ إِلَى أَرْضِ الْغَمْرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِنْ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئًا﴾ (٥).

سؤال: لقد فصلت (لا) عن (كي) في الرسم في آية النحل فكتبت (لكي لا). ووصلت بها في آية الحج فكتبت (لكيلا) فما السبب؟

الجواب: إن هذا من شؤون رسم المصحف الذي لا يُقاس عليه مع أنه يجوز وصل (لا) بـ(كي) ويجوز فصلها عنها في الرسم، ومع ذلك فإنه - كما يبدو - أن وصل (لا) بـ(كي) وفصلها عنها في رسم المصحف له ارتباط بالناحية البانية، والله أعلم.

ذلك أن (من) في قوله: ﴿مِنْ بَعْدِ عِلْمٍ﴾ ونحوها تعيد ابتداء الغاية، فقوله: ﴿لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِنْ بَعْدِ عِلْمٍ﴾ يفيد أن عدم العلم موصول بالعلم بلا فصل أي إن ذلك يكون بعد العلم مباشرة.

وأما قوله: ﴿بَعْدِ عِلْمٍ﴾ فإن ذلك يحتمل أن يكون عدم العلم متصلاً بالعلم كالأول، ويحتمل أن يكون بعده بـ(لا).

ونظيره قولك: (فوقه) و(من فوقه)، فإن قولك: (فوقه) يحتمل القرب بـ(لا)، وأما (من فوقه) فيفيد الاتصال بما هو تحته، قال تعالى: ﴿وَجَعَلَ فِيهَا رِوَاسِيًا مِنْ فَوْقِهَا﴾ (قصص ١)، فقال: (من فوقها) أي بلا فاصل.

وقال: ﴿أَلَمْ يَنْظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا﴾ (١٠٠)، فلم يأت بـ(من) لأن الموقية بعيدة.

ونحوه قوله: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ فَوْقَهُمْ صَافَّاتٍ﴾ (سج ١٩)، فإنه لم يأت بـ(من) لأنها كذلك أي إن الفوقية غير متصلة^(١).

(١) لطر معنى اسحو (٢/٦٢٠) وما بعدها.

إد وصلت (كي) بد(لا) وذلك أن قوله: ﴿فَاتَّابِكُمْ عَمَّا بَعِمَ﴾ معناه أنه جزاكم عمّا موصولاً بعم، عم الهزيمة وفوات الغنيمة، أو جاركم عمّا موصولاً بعم فعلتموه لرسول الله لآ عصيتم أمره (١).

فلما كن الغم الثاني موصولاً بالغم الأول وصلت (كي) بد(لا) مجانسة لوصل العمين.

في حين رُسِت (كي) مفصولة عن (لا) في قوله تعالى: ﴿مَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَىٰ فَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ الْمَسَلِّ كَيْ لَا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنْكُمْ﴾ (الحشر ٧).

وذلك أنه لا يريد أن تبقى الأموال دولة بين الأغنياء لا تخرج عنهم، وإي أراد أن يشاركهم فيها الآخرون ففصلت (لا) عن (كي) مجانسة لإرادة ألا تبقى لأموال محصورة في فئة معينة وهذا من لطيف الرسم.



٥٦ - قال تعالى في سورة النحل: ﴿أَلَمْ يَرْوُوا إِلَىٰ أَنْطِيرِ مُسْحَرَاتٍ فِي جَوْ لَسْمَاءَ مَا يُمَسْكُهُنَّ إِلَّا اللَّهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ (٧٩).

وقال في سورة الملوك: ﴿أَوْ لَمْ يَرْوُوا إِلَىٰ أَنْطِيرِ فَرَقَهُمْ صَافَاتٍ وَيَقْضُ مَا نَسْكُهُنَّ إِلَّا الرَّحْمَنُ إِنَّهُ كَلَّ شَيْءٍ بِصِيرٍ﴾ (١٩).

سؤال: لماذا قال في آية النحل ﴿مَا يُمَسْكُهُنَّ إِلَّا اللَّهُ﴾ بإسناد الإمساك إلى الله، وقال في آية الملوك: ﴿لَمْ يُمَسْكُهُنَّ إِلَّا الرَّحْمَنُ﴾ بإسناد الإمساك إلى الرحمن؟

(١) انظر تفسر أبي السعود (٢/ ١٠٠).

الجواب: من أرجه :

١ - إن كلمة (الرحمن) لم ترد في سورة الحل على طولها وهي (١٢٨) آية . ووردت في سورة الملك أربع مرات ، وهي ثلاثون آية .

٢ - ووردت كلمة (الله) في سورة النحل (٨٤) أربعاً وثمانين مرة ، ووردت في سورة الملك ثلاث مرات .

٣ - لم يرد إسناد الفعل (سخر) إلى الرحمن في القرآن الكريم ، وقد أسند إلى الله في مواضع عدة ، وذلك نحو قوله تعالى : ﴿لَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ (نحر - ١٢٠) ، ﴿اللَّهُ الَّذِي سَخَّرَ لَكُمْ سَخِرَ لِنَحْرِي أَلَمْ تَكُنْ فِيهِ بِأَمْرِهِ﴾ (الحانية: ١٤)

فمن حيث السمة التعبيرية للسورة والاستعمال القرآني للفعل (سخر) مناسب كل تعبير موضعه

٤ - وإن السياق في سورة الملك في ذكر مظاهر الرحمة ، وذلك نحو قوله تعالى ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ ذُلُولًا فَامْشُوا فِي مَسَاكِنِهَا وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ وَإِلَيْهِ الشُّعُورُ﴾ (١٥)

وقوله : ﴿قُلْ هُوَ الَّذِي أَشْأَكُمْ وَجَعَلَ لَكُمْ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَّا شَكُرُوه﴾ (٢٣)

حتى إنه إذا حذرهم فإنه يحذرهم بزواد النعم من نحو قوله تعالى ﴿أَمِنَ هَذَا الَّذِي يُرْزَقُكُمْ إِنَّ أَمْسَكَ رِزْقَهُ بَلْ لَجُّوا فِي عُتُوٍّ وَنُفُورٍ﴾ (٢١) ، وقوله : ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ صَحَّ مَا زُكِّمُ عَوْرًا فَمَنْ يَأْتِيكُمْ بِمَاءٍ مَعِينٍ﴾ (٣٠) .

ومن مظاهر ذلك أنه حين ذكرهم بالمكذبين ممن قبلهم ، قال ﴿وَلَقَدْ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ﴾ (١٨) ، ولم يقل ﴿فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ﴾

فذكر الإنكار عليهم ولم يذكر العقوبة ، كما قل في الرعد مثلاً (آية ٣٢) ، والإنكار أخف من العقوبة .

أما السياق في سورة النحل ففي التوحيد والنعي على الشرك ، وذلك نحو قوله ﴿وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَهُمْ رِزْقًا مِنَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ شَيْئًا وَلَا يَسْتَطِيعُونَ (٢٦) فَلَا تَصْرِفْ لَهُ الْأَمْثَالَ إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ (٧٤) ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا عَبْدًا مَمْلُوكًا لَا يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ . . . وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَجُلَيْنِ أَحَدُهُمَا أَبْكَمُ لَا يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ . . . ﴾ (٧٣ ٧٧) .

حتى إنه ختم الآية بقوله : ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ .

قد تقول ولكن قال أيضاً في سياق آية النحل قبل هذه الآية . ﴿وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ ضُوءٍ أَمْهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَحَقَّ لَكُمْ السَّمْعُ وَالْأَبْصَارُ وَالْأَفْئِدَةُ لَعَلَّكُمْ تُتَّقُونَ﴾ (٧٨) .

فأقول : نعم ، ولكنها وردت في سياق التوحيد والنعي على الشرك ثم إنه قال في آية النحل : ﴿وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ﴾ فأسند ذلك إلى الله وقال في الملك : ﴿قُلْ هُوَ الَّذِي أَنْشَأَكُمْ﴾ فأسد ذلك إلى الضمير (هو) اندي يعود على الرحمن قله في قوله : ﴿أَمَّنْ هَذَا الَّذِي هُوَ جُنْدٌ لَكُمْ يَنْصَرُّكُمْ مِنْ دُونِ الرَّحْمَنِ﴾ (٢) ، فأعاد الضمير على الرحمن فتاسب ذكر (الرحمن) في آية الملك ، وذكر (الله) في آية النحل .

٥ - ذكر في آية النحل أن الطير مسخرات وهو من باب القهر والتذليل ، وليس من باب الاختيار فأسند ذلك إلى الله ، أما في آية الملك ، فقد قل : إنهم ﴿صَافَاتٌ وَيَقْبَضُ﴾ (س ١٩) يستند ذلك إلى الطير فهو من باب الممكن للطير ، وهو أنسب بالرحمة .

٦ - ذكر في سورة الملك شيئاً من الراحة للطير وهو قوله: ﴿صَافَاتٍ﴾ وهو سكون الحركة فاسب ذلك ذكر الرحمة، جاء في «ملاك التأويل»: «إن سورة الملك لما انطوت على ذكر حالين للطائر من صفه جناحيه وقبضهما وهما حالتان يستريح إليهما طائر. فتارة يصف جناحيه كأن لا حركة به، وتارة يقبضهما إلى جنبه حتى يلزقهما بهما ثم يسطهما ويقبضهما موالاة بسرعة كما يفعل السائح، فاسب هذا الإيعام منه تعالى ورود اسمه الرحمن أما آية الحل فلم يرد فيها ذكر هذه الاستراحة فقل لها ﴿مَا يُمَسْكُهُمْ إِلَّا لِلَّهِ﴾ وتناسب ذلك وامتنع عكس الوارد عما تبيّن، والله أعلم^(١).



٥٧ - قال تعالى: ﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّمَّا حَقَّ ظِلَالاً وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ الْخَالِ أَكْبَاناً وَجَعَلَ لَكُم سُرَابِيلَ تَقِيَكُمُ الْحَرَّ وَسُرَابِيلَ تَقِيَكُمُ بَأْسَكُمْ كَذَلِكَ يَتِمُّ نِعْمَتُهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ (الحج: ٨١).

سؤال: لماذا قال: ﴿سُرَابِيلَ تَقِيَكُمُ الْحَرَّ﴾ ولم يقل: (والبرد)؟

الجواب: قال بعضهم استدلل بذكر الحر على البرد، فحذف ما يدل عليه، أي: ولبرد^(٢) وقد يكون اكتمى بقوله سبحانه في أول السورة: ﴿وَالْأَنْعَامَ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ﴾ (الحمل: ٥٠)^(٣).

وهناك أمر آخر حسن عدم ذكر وقاية البرد ههنا ذلك أن لمقام في ذكر الحر لا البرد، فإن الإنسان يذهب إلى لصلال ليقي نفسه الحر، وينذهب إلى أخال في لصيف ليحتمي من الحر، فكان المناسب ذكر الوقاية من الحر

(١) ملاك، التأويل (٢/ ٦١٨)

(٢) انظر شرح الأشموني (٣/ ١١٦)

(٣) انظر المعني (٢/ ٥٩١)

وأما الوقاية من البرد فقد ذكرها في أول السورة كما أشرنا، وقال بعضهم: إن ذكر الحر يُعني عن ذكر البرد، فإن الفِـيـاس يكون بذكر درجات الحرارة فإنها قد تتدنى وقد ترتفع.

ولو كان الأمر كما ذكر هؤلاء لما كان داعٍ لذكر البرد أصلاً.



٥٨ قَالَ تَعَالَى فِي سُورَةِ الْإِسْرَاءِ: ﴿وَقُلُوا أَنَدَا كُنَّا عِظَامًا وَرُفَاتًا أَأَنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا حَدِيدًا﴾ (٢٩، ٢٨)

وقال في سورة (المؤمنون): ﴿فَأَنبَا أَندَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَأَنَّا لَمَبْعُوثُونَ﴾ (٨٢).

وقال في سورة الصافات: ﴿أَندَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَأَنَّا لَمَبْيُوثُونَ﴾ (٥٣)
سؤال: قال في آيتي الإسراء: ﴿أَندَا كُنَّا عِظَامًا وَرُفَاتًا﴾، وقال في آية (المؤمنون) وآيات أخرى: ﴿أَندَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا﴾ فما الفرق؟

الجواب: إن التراب والعظام أدلّ على البلى من العظام والرفات ذلك أن (الرفات) هو الفتات والحطام من كل شيء. يقال (دفت الشيء كسره ودفعه) (١). فإذا بلى الرفات أصبح تراباً.

فبعث اتراب والعظام أبعد في عقول المكربين وأغرب من بعث العظام والرفات. وهو أدعى للعجب والإنكار. وهذا يتضح من السياق الذي يرد فيه كل من التعبيرين

ففي سياق آيتي الإسراء: ﴿وَقُلُوا أَندَا كُنَّا عِظَامًا وَرُفَاتًا أَأَنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا﴾ لم يذكر من قوسهم غير هاتين الآيتين في الإنكار. فلم يقولوا بعدهما ولا قبلهما شيئاً يتعلق بإنكار البعث أو لعجب منه.

وأما إذا ذكر التراب والعظام فإنه يذكر من إنكارهم واستبعادهم للبعث ما لم يذكره في العظام والرفات

من ذلك مثلاً ما جاء في سورة «المؤمنون». وهو قوله: ﴿أَنعَدَّكُمْ أَنكُمُ إِذَا مُمُّ وَكُنتُمْ تُرَابًا وَعِظَامًا أَأَنكُم مَّخْرُجُونَ﴾ (٣٥) هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ لِمَا تُوعَدُونَ (٣٦) إِنَّ

(١) نظر لسان العرب (دفت)

هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَعْمُوثِينَ ﴿٣٧﴾ إِنَّ هُوَ إِلَّا رَجُلٌ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا وَمَا نَحْنُ لَهُ بِمُؤْمِنِينَ ﴿٣٨-٣٥﴾.

فَأَنْتَ تَرَى مِنَ الْعَجَبِ وَالْإِسْتِعَادِ مَا هُوَ ظَاهِرٌ مِمَّا لَمْ يَذْكُرْ حَوَاهِ فِي آيَةِ الْإِسْرَاءِ، وَنَحْنُ ذَلِكَ قَوْلُهُ فِي السُّورَةِ نَفْسُهَا. ﴿قَالُوا أَأَتَدَّأ مِثَّا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا نُنَّا لِمُعْزُوثُونَ﴾ (٨٧) لَقَدْ وَعِدْنَا نَحْنُ وَأَبَاؤُنَا هَذَا مِنْ قَبْلُ إِنَّ هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ ﴿٨٢، ٨٣﴾.

وَنَحْنُ مَا جَاءَ فِي سُورَةِ الصَّافَاتِ: ﴿قَالَ قَائِلٌ مِّنْهُمْ إِنِّي كَانَ لِي قَرِينٌ ﴿٥١﴾ يَقُولُ لَنْتَ مِنَ الْمُصَدِّقِينَ ﴿٥٢﴾ أَتَدَّأ مِثَّا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا نُنَّا لِمُدِينُونَ﴾ (٥١-٥٣). وَنَحْنُ مَا جَاءَ فِي سُورَةِ الرِّفْعَةِ: ﴿وَكُنَّا يُقْوَرُونَ أَتَدَّأ مِثَّا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَتُنَّا لِمُعْزُوثُونَ﴾ (٤٧) أَوْ أَبَاؤُنَا الْأَوَّلُونَ ﴿٤٧، ٤٨﴾.

فَيَصِفُونَ إِلَى عَجَبِهِمْ وَإِكْرَاهِهِمْ أَنْ يُعِثُوا مَعَ آبَائِهِمُ الْأَوَّلِينَ. فَكَيْفَ يَبْعَثُ آبَاؤُهُمُ الْأَوَّلُونَ مَعَهُمْ وَقَدْ أَصَابَهُمْ مِنَ الْبَلَى مَا أَصَابَهُمْ؟ وَهَذَا شَأْنٌ كُلِّ مَا ذَكَرَ فِيهِ التُّرَابُ وَالْعِظَامُ.

وَيَذْكُرُ عَنِ هَذَا أَيْضًا أَنَّهُ حَيْثُ ذَكَرَ التُّرَابَ وَالْعِظَامَ أَضَافُوا إِلَى ذَلِكَ ذِكْرَ الْمَوْتِ فَيَقُولُونَ ﴿أَتَدَّأ مِثَّا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا﴾ وَذَلِكَ لِلرِّيَاضَةِ فِي الْعَجَبِ وَالْإِسْتِعَادِ. فَلَيْتَ لَا يَحْيَا وَإِنْ كَانَ حَدِيثَ الْمَوْتِ، فَكَيْفَ إِذَا أَصْبَحَ تَرَابًا وَعِظَامًا؟!

وَلَمْ يَذْكُرْ مِثْلَ ذَلِكَ مَعَ الْعِظَامِ وَالرِّفَاتِ، فَذَكَرَ الْمَوْتَ مَعَ التُّرَابِ وَالْعِظَامِ فِيهِ حَانِبَانِ.

حَانِبُ الرِّيَاضَةِ فِي الْعَجَبِ وَالْإِسْتِعَادِ، وَجَانِبُ الْإِفَاضَةِ وَالتَّوَسُّعِ فِي دَوَاعِي الْإِسْتِعَادِ وَالْإِنْكَارِ، مِمَّا يَدْعُو إِلَى الْإِفَاضَةِ فِي ذِكْرِ الْإِنْكَارِ وَالْعَجَبِ بِحِلَافِ ذِكْرِ الْعِظَامِ وَالرِّفَاتِ وَعَدَمِ ذِكْرِ الْمَوْتِ فِيهِ أَوْجَزُ فِي الْكَلَامِ، وَأَوْجَزُ فِي ذِكْرِ الْعَجَبِ وَالْإِسْتِعَادِ.

٥٩ - قال تعالى في سورة مريم: ﴿يَا أَبَتِ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِنَ الرَّحْمَنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيًّا﴾ (٤٥).

سؤال: لماذا قال: ﴿أَبْ يَمْسُكْ عَذَابٌ مِّنَ الرَّحْمَنِ﴾ وكان الأنسب فيما يبدو أن يقال: عَذَابٌ مِّنَ الْجَبَّارِ أَوْ الْمُتَّقِمِ ونحو ذلك؟

الجواب:

١ - لقد قال قل هذه الآية ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَنِ عَصِيًّا﴾ (٤٤) فذكر اسم الرحمن .

٢ - إن اسم الرحمن تكرر في هذه السورة (١٦) ست عشرة مرة، وهي أكثر سورة في القرآن تردد فيها هذا الاسم.

٣ إن جو السورة شيع فيه الرحمة من أولها إلى آخرها فهي تبدأ بالرحمة: ﴿ذِكْرٌ رَحْمَتِ رَبِّكَ عَبْدَهُ وَكُوفِيَ﴾ (٢).
وتنتهي بالرحمة ﴿إِنَّ الْبَدِينَ أَمْوَا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا﴾ (٩٦).

ويفيض جودها بالرحمة : ﴿وَنَجْعَلُهَا آيَةً لِّلنَّاسِ وَرَحْمَةً مَّا﴾ (٢١)۔

﴿وَوَهَبْنَا لَهُمْ مِنْ رَحْمَتِنَا وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيًّا﴾ (٥)

٤ - ثم إن إبراهيم قال بعد ذلك لأبيه . ﴿سَلَامٌ عَلَيْكَ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّي إِنَّهُ كَانَ بِي حَفِيًّا﴾ (٤٧)

فلا يحسن أن يقول أستعمر لك الحبار أو المستقم ونحو ذلك؛ لأن المعفرة تُطلب من الرحمن. فناسب ذكر (الرحمن) من كل وجه.



٦٠ - قال تعالى في سورة مريم: ﴿جَاءَتْ عَدْنٌ إِلَيْنِ وَعَدَّ الرَّحْمَنُ عِبَادَهُ بَٰغِيًّا إِنَّهُ كَانَ وَعْدُهُ مَأْتِيًّا (١١) لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا إِلَّا سَلَامًا وَلَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وَعَسَى (٢) تِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي نُورِثُ مِنْ عِبَادِنَا مَنْ كَانَ تَقِيًّا (٦١-١٦٣)﴾.

سؤال: في قوله تعالى: ﴿إِنَّهُ كَانَ وَعْدُهُ مَأْتِيًّا﴾.

١ لماذا جاء بهذا التعبير ولم يقل مثلاً: (إن وعد الرحمن كان مائياً) أو: (إن الرحمن كان وعده مائياً)؟

٢ لماذا قال: (مائياً) ولم يقل: (آتياً)؟

الجواب:

١ - الجواب عن السؤال الأول من أوجه:

أ - إن الهاء في (إيه) يحتمل أن تعود على الرحمن، ويحتمل أن تكون ضمير الشأن، وهو - أي ضمير الشأن - يفيد تفخيم الوعد وتعظيمه.

ب - لو قال: (إن الرحمن كان وعده مائياً) لفات تفخيم الوعد وتعظيمه مع أن الوعد له شأن كبير وظاهر في السياق.

ج - ولو قال: (إن وعد الرحمن كان مائياً) لفات لتفخيم أي تفخيم الرعد من ناحية، ومن ناحية أخرى يكون الإخبار عن الوعد لا عن الرحمن، مع أن الكلام على الرحمن أيضاً كما هو على الوعد، فقد ذكر أن الرحمن وعد عباده، وأن وعده مائياً، وأنه يورث الجنة لعباده الأتقياء فقال ﴿تِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي نُورِثُ مِنْ عِبَادِنَا مَنْ كَانَ تَقِيًّا﴾ (مريم ٦٣).

وعلى هذا فقد ذكر الرحمن، وأعاد عليه الضمير أربع مرات في الآفل.

لضمير في ﴿عِبَادَهُ﴾، ولضمير في ﴿وَعْدُهُ﴾، والضمير المستتر في ﴿نُورِثُ﴾، والضمير في ﴿عِبَادِنَا﴾، مما يدل على أهميته في السياق.

د في التعبير الذي جاء في الآية تنخيم وتعظيم للرحمن وللموعد كليهما وكل منهما له أهميته في السياق كما هو ظاهر ولو قال أي تعبير آخر لم يجمع المعنيين معاً

٢ - أما بالنسبة إلى السؤال الثاني فيرد قوله: ﴿مَاتِي﴾ هو المناسب من أكثر من وجه

فإن المقصود بالوعد في الآية إنما هو الجنة، قال تعالى ﴿جَنَاتٍ عَذْنٍ الَّتِي وَعَدَ الرَّحْمَنُ عِبَادَهُ بِالْعَشْبِ﴾ وهم يأتونها^(١)، قال تعالى: ﴿وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا﴾ (زمر، ٧٣)، فهي مأتية.

هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى أن هذا التعبير يفيد قوة الوعد، وأنه ناحز لا محالة فنحن نأتيه وهو يأتيه، كما قال تعالى: ﴿قُلْ لَوْ كُنْتُمْ فِي شَكٍّ مِمَّا بَرَأَ إِلَهُكَ لَتَكُنَّ فِي شَكٍّ مِمَّا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتْلَ إِلَىٰ مَصَاجِعِهِمْ﴾ (آل عمران، ١٥٤)، أي يمضون إلى قدر الله الذي قدره عليهم.

وقال ﴿أَيُّمًا تَكُونُوا يُدْرِكُكُمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنْتُمْ فِي بَرْحٍ مُّشِيدَةٍ﴾ (ب، ٧٨) أي يأتيهم، فالقدر يأتي ويؤتى كما قال الشاعر.

هذه لتأتي أي واد سلكته عليها طريقي أو علي طريقها
وذلك أدل على إحمز الوعد لأنه آت ومأتي.

هذا مع أنه قبل أيضاً: إن (مأتي) هنا معنى اسم الفاعل، أي آت^(٢)، كما قيل في جملة من أسماء المفعول نحو (حججاً مسوراً).

والأولى عدم إخراج الصيغة عن الدلالة المشهورة لها، ما دام يمكن حملها عليها.

(١) انظر البحر المحيط (٧/٢٧٩).

(٢) انظر البحر المحيط (٧/٢٧٩)، وانظر شرح الرضي على الكافية (٣/٤١٥).

٦١- قال تعالى في سورة طه: ﴿إِذْ أَوْحَيْنَا إِلَىٰ أَمَلِكُ مَا يَوْحَىٰ ۖ (٢٨) أَنْ أَقْبِدْ فِي الثَّابُوتِ فَأَقْبِدْ فِيهِ فِي الْيَمِّ فَلْيَلْقَهُ الْيَمُّ بِلسَاحِلٍ يَأْخُذُهُ عَدُوٌّ لِّي وَعَدُوٌّ لَهُ ۖ وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّمِّي وَلَتَنْصُعَ عَلَىٰ عَيْبِي ۖ (٣٨) إِذْ تَمْشِي أُخْتُكَ فَتَقُولُ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ مَن يَكْفُلُهُ ۖ فَرَجَعْنَاكَ إِلَىٰ أَمَلِكُ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ ۖ (٤٠)﴾.

وقال في سورة القصص ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ أَنْ أَرْضِعِيهِ ۖ إِذَا فَحَفَتْ عَيْنُهُ فَأَرْضِعِيهِ فِي الْيَمِّ وَلَا تَحْزَنِي ۖ إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكَ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ ۖ (٧) فَانْقَطَعُ آلُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوٌّ وَحِزْبًا ۖ إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُودَهُمَا كَانُوا خَاطِئِينَ ۖ (٨) وَقَالَتْ أُمُّاتُ فِرْعَوْنَ قُرَّتْ عَيْنُ لِي وَلَكَ لَا تَقْتُلُوهُ عَسَىٰ أَنْ يَصْعَدَ أَوْ نَسَخَدَهُ لَنَا ۚ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ۖ (٩) وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَىٰ فَارِعًا ۖ إِن كَادَتْ لَتَنْدِي بِهِ لَوْلَا أَن رَّبَّنَا عَلَيَّ قَلْبُهَا لَتَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ۖ (١٠) وَقَالَتْ لِأُخْتِهِ قُصِّيهِ ۖ فَبَصَّرَتْ بِهِ عَنْ حِجْبٍ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ۖ (١١) وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ الْمَرَاضِعَ مِنْ قَبْلٍ فَقَالَتْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُ لَكُمْ وَهُمْ لَهُ نَاصِحُونَ ۖ (١٢) فَرَدَدْنَاهُ إِلَىٰ أُمِّهِ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ ۖ وَلَنَعْلَمَنَّ أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَكِنْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ۖ (١٣-٧)﴾.

سؤال: لماذا قال في سورة طه: ﴿هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ مَن يَكْفُلُهُ﴾. وقال في سورة القصص: ﴿هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُ لَكُمْ؟﴾

الجواب:

١- الكلام في القصص مبني على الجمع، وفي طه على الإفراد. فقد قال في القصص ﴿فَالْتَقَطَهُ آلُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحِزْبًا﴾، وقال في طه ﴿يَأْخُذُهُ عَدُوٌّ لِّي وَعَدُوٌّ لَهُ﴾، فقوله في القصص ﴿آلُ فِرْعَوْنَ﴾، وقوله ﴿لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا﴾ جمع بخلاف ﴿يَأْخُذُهُ عَدُوٌّ لِّي وَعَدُوٌّ لَهُ﴾. فكان قوله: ﴿أَهْلُ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُ﴾ أنسب بالجمع، وقوله: ﴿مَن يَكْفُلُهُ﴾ أنسب بالإفراد.

٢ قال في القصص: ﴿وَقَالَتِ امْرَأَتُ فِرْعَوْنَ قُرْتُ عَيْنِي وَلَكِ﴾
 وامرأة الرجل أهله في اللغة^(١) والقرآن. قال تعالى في امرأة سيد إبراهيم
 بعد أن قالت: ﴿يَا وَيْلَتَى أُنَبِّئُكَ أَنَا عَجُوزٌ وَهَذَا بَعْلِي شَيْخًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ
 عَجِيبٌ (٧٢) قَالُوا أَنْعَجِبِينَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ رَحِمَتِ اللَّهُ وَبَرَكَاتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ﴾ (هود
 ٧٢-٧٣).

وقالت امرأة العزيز نكلم زوجها بخصوص سيدنا يوسف: ﴿مَا جَزَاءُ مَنْ
 أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوءًا﴾ (يوسف: ٢٥)

وامرأة فرعون أهل بيته فاسب أن تدل أخته أهل بيت فرعون على أهل
 بيت يكفلونه، وليس في طه مثل ذلك

٣ قال تعالى في القصص: ﴿فَالْتَفَتَهُ آلُ فِرْعَوْنَ﴾ والراجع عند علماء
 اللغة أن أصل كلمه (آل) هو (أهل) أبدت الهاء حمزة ثم ألحقا لاجتماع
 همزتين الأولى مفتوحة والثانية ساكنة، فإذا صغرت (آل) قيل: (أهليل)^(٢).

فاسب ذكر الآل ذكر (أهل بيت) في القصص

فك فرعون هم أهله وخاصته فكان المنسب لقول: ﴿هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ أَهْلِ
 بَيْتٍ﴾، وليس في طه مثل ذلك.

٤ - إن هذا الجانب من القصة في سورة القصص أطول مما في طه كما
 هو واضح. فهي في طه ثلاث آيات، وفي القصص سبع آيات، وقوله:
 ﴿أَهْلَ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُ لَكُمْ وَهُمْ لَهُ نَاصِحُونَ﴾ أطول من قوله: ﴿عَلَىٰ مَنْ يَكْفُلُهُ﴾،
 فنامب الإيجاز الإيجاز، والتبسُّط التبسُّط.

(٢) انظر لسان العرب (أهل)

(١) انظر لسان العرب (أهل).

٥ . هذا ومن جهة أخرى أن كلمة (أهل) وردت في القصص أكثر مما في طه .

وأن كلمة (من) وردت في طه أكثر مما في القصص

فقد وردت كلمة (أهل) في القصص سبع مرات ، وفي طه أربع مرات .
وأن كلمة (من) وردت في طه (٢٤) أربعاً وعشرين مرة ، ووردت في
لمعصر (٢٠) عشرين مرة . فناسب كل تعبير موضعه من أكثر من وجه



٦٦ قال تعالى في سورة طه ﴿وَلَقَدْ أَرْحَبَ إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنْ أَسْرِ بِعَادِي
فَاضْرِبْ لَهُم مَّصَرًا يَخْرُجُونَ فِيهِ ذِكْرًا وَلَا تَحْشَىٰ﴾ (٧١) .

وقال في الشعراء ﴿وَأَوْحِىَ إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنْ أَسْرِ بِعَادِي إِنَّكَ مُتَعَبُونَ﴾
(٥٢)

وقال في سورة الدخان ﴿فَأَسْرِ بِعَادِي لَيْلًا إِنَّكَ مُتَعَبُونَ﴾ (٢٣) واترك البحر
﴿هَؤُلَاءِ مِنْ أَجْدَادِ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ (٢٤) .

سؤال: لماذا قال في آية الدخان: ﴿فَأَسْرِ بِعَادِي لَيْلًا﴾ فذكر الليل ، ولم يقل
مثل ذلك في آيتي الشعراء وطه ؟

الجواب: إن الإسراء لا يكون إلا في الليل سواء ذكر الليل أم لم يذكره .
فالليل هنا هو ظرف مؤكد ، ولما أمر ربنا موسى بالإسراء في آيتي الشعراء
وطه عدم أن ذلك إنما هو في ليل .

وأما ذكر الليل في لدحاح وعدم ذكره في الآيتين الأخريين فلا أكثر من
سبب :

متها : أنه ذكر في الدخان من هذا الأمر ما لم يذكره في الآيتين الآخرين ، وبين فيها ما لم يُبينه في الوطنين الآخرين ، فقد ذكر في الدخان :

١ - أنهم متبعون .

٢ وأن جند فرعون مغرقون .

ولم يذكر هذين الأمرين في اوضاع الآخرين ، وإنما ذكر أحدهما في كل موضع ، فقد ذكر في الشعراء أنهم متبعون ، ولم يقل له إنهم جند مغرقون ، وإنما ذكر أنه لما تراءى لجمعا قال أصحاب موسى إنا لمدركون ، ففي موسى ذلك بقوله ﴿ كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ ﴾ (اشعراء ١٦)

ولم يقل له هي طه إيهام متبعون ، وإنما ذكر له النجاة ، فقد قال له ﴿ ضَرْبُ لَيْلٍ طَرِيقًا فِي الْحَرِّ نَسًا لَا تُحَافُ دُرُكًا وَلَا تَخْشَى ﴾ (طه ١٧٧) ثم إنه ذكر بعد ذلك ما حصل .

ففضل وبين في الدخان في بليغه لموسى ما لم يفصله وبينه في الوطنين الآخرين .

ومها أن قوله . ﴿ لَيْلًا ﴾ ليس لمطلق التوكيد وإنما هو يدل على ليلة بعينها . فقولك (جئت ليلاً) يريد فيه ليل ليلتك ، أو ليلة بعينها (١)

وبو قلت (جئت في ليل) لم يتعين ذاك

ف قوله ﴿ فَأَسْرَ بَعَادِي لَيْلًا ﴾ يريد فيه تعيين الليلة التي أمر بالإسراء فيها .

وأما قوله ﴿ فَأَسْرَ بَعَادِي ﴾ فإنه أمر بالإسراء من دون تعيين الوقت .

(١) انظر سيرته (١/١١٥) الاصول (١/٢٢٠) الامالي الشجرية (٢/٢٥١) وانظر معاني

فكان في الدخان. تعيين وقت الإسراء. وبيان أنهم متبعون، وأن جند فرعون جند مغروقون، فناسب تبين الوقت م ذكره من السنين في التبليغ.
وناسب عدم البين للوقت تحديداً عدم التسين لشيء مما سيقع في
الموضعين الآخرين.

ومما زاد ذلك حساً في الدخان إضافة إلى م ذكرنا أنه قال في أول
السورة ﴿إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُّبَارَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ﴾ (٢) فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ (٤)
أَمْرًا مِّنْ عِندِنَا إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ (٥) رَحْمَةً مِّنْ رَبِّكَ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٣-٦﴾.
فذكر الليلة التي يفرق فيها كل أمر حكيم، فناسب ذلك ذكر الليل الذي
فرق فيها بين جند فرعون وأصحاب موسى فأغرق فرعون وجنده، ونحى
موسى ومن معه.

وهو من لطيف التناسب يراعيه القرآن فيما تحسن فيه المراعاة.



٦٣- قال تعالى في سورة طه: ﴿فَاصْبِرْ عَلٰى مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ
قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا وَمِنْ آنَاءِ اللَّيْلِ فَسَبِّحْ وَأَطْرَافَ النَّهَارِ لَعَلَّكَ تَرْضٰى
(٣٠) وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا لِنَفْثَهُمْ فِيهِ
وَرَزَقْنَاكَ حَيْرَ وَأَبْقٰى﴾ (١٣٠، ١٣١).

وقال في سورة ق: ﴿فَاصْبِرْ عَلٰى مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ
الشَّمْسِ وَقَبْلَ الْغُرُوبِ (٣٩) وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَأَدْبَارَ السُّجُودِ﴾ (٣٩، ٤).

سؤال:

١ - لماذا قال في آية (طه): ﴿وَقَبْلَ غُرُوبِهَا﴾، وقال في آية (ق): ﴿وَقَبْلَ

الغروب﴾؟

٢ ولَمَّا قَالَ فِي طَه ﴿وَمِنْ آثَاءِ اللَّيْلِ فَسُحِّ﴾، بإطلاق التسييح، وقال في و. ﴿وَمِنْ اللَّيْلِ فَسُحِّ﴾ بتخصيص التسييح لله وذلك بذكر ضميره؟
الجواب:

١ بالنسبة إلى السؤال لأول فإن قوله في آية طه. ﴿وَقُلْ غُرُوبُهَا﴾ تنصيص على غروب الشمس، وذلك بذكر الضمير اندي يعود عليها.
وأما قوله في ق. ﴿وَقُلْ انْغُرُوبُ﴾ فإنه يدل على غروب الشمس بدلالة السياق، قيل على تقدير ضمير أو على قول مَنْ يرى أن (ال) عوض عن الضمير، وذكروا منه قوله تعالى: ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَهَيَّي الْقَسْنَ عَنْ لَهْرِ﴾ (ق) فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى (سجدة ٤١) أي: مأواه أو المأوى له (١).
فكأنه أخرج (الغروب) في (ق) مخرج العموم، وإن أريد به الخصوص.
وكل تعبير مناسب للسياق الذي ورد فيه.

فإن السياق في (طه) أخرج مخرج الخصوص، كما أنه ألصق بالشمس.
أما السياق في (ق) فقد أخرج مخرج العموم وهو أبعد عن الشمس.
أما من حيث العموم في (ق) فمن ذلك ما ذكرناه في قوله: ﴿وَقُلْ انْغُرُوبُ﴾ من أنه أخرج مخرج العموم وإن كان الكلام على الخصوص تقديرًا

ومنه أنه قال في طه ﴿وَمِنْ آثَاءِ اللَّيْلِ﴾ وقال في ق. ﴿وَمِنْ اللَّيْلِ﴾.
وآثاء الليل ساعاته، ولاشك أن (الليل) أعم من ساعات الليل، فكان الكلام في (ق) أخرج مخرج العموم.
وأما من حيث إن السياق في طه ألصق بالشمس فإياه قل فيها.

﴿وَأَطْرَافُ نَهَارٍ﴾، وقوله ﴿أَطْرَافُ النَّهَارِ﴾ له علاقة بالشمس شروقها وزوالها عند الظهيرة وغروبها، ويكفي ذكر (النهار) الذي آتته الشمس.

وأما في ق فلم يذكر أمراً يتعلق بالشمس ولا بالنهار، فقد قال ﴿وَأَذْهَابُ السَّحُودِ﴾ وهذا ليس له علاقة بالشمس ولا بالنهار.

فكان ذكر ضمير الشمس في (طه) أنسب مع السياق من ناحيتين:

ناحية الخصوص، وناحية ماله علاقة بالشمس وهو أطراف النهار.

هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى أن السياق في طه بعد ذلك عن الدنيا والحياة الدنيا والرقق، فقد قال بعد الآية: ﴿لَا تَمُدَّنْ عَيْنَكَ إِلَى مَا مَتَّعْنَا بِهِ إِرَوَاجًا مِّنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا لِنَفْثَهُمْ فِيهِ وَرِزْقُ رَبِّكَ حَيْرٌ وَبَقِيٌّ﴾ (١٣١)

وأما إسبى في (ق) بعد الآية ففي الآخرة، فقد قال بعد الآية: ﴿وَاسْمَعْ يَوْمَ يَدُودُ الْمَدَدِ مِنْ مَّكَانٍ قَرِيبٍ (٤١) يَوْمَ يَسْمَعُونَ الصَّيْحَةَ بِالْحَقِّ ذَلِكَ يَوْمَ الْخُرُوجِ (٤٢) إِنَّا خَرَجْنَا نَحْيِي وَنُمِيتُ وَلِإِنَّا الْمُمْصِرُ (٤٣) يَوْمَ تَسْقُطُ الْأَرْضُ عَنْهُمْ سَرَاعًا ذَلِكَ حَشْرٌ عَلَيْنَا يَسِيرٌ﴾ (٤١ ٤٢ ٤٣).

فناسب فيها ذكر لغروب على العموم وهو غروب لشمس وذهابها وزوالها وغروب كل شيء مما يتعلق بأمر الدنيا من الكواكب والنجوم والشمس والقمر، فإخراجه مخرج العموم أنسب في (ق).

هذا وإن ذكر الآخرة بعد قوله: ﴿وَأَذْهَابُ السَّحُودِ﴾ من لطيف المناسبات، ذلك أن الآخرة ستكون أذباب السحود حيث لا يكون في الدنيا رجل يقول: (لا إله إلا الله) وليس فيها رجل ساجد.

فكان كل تعبير في مكانه هو المناسب من كل ناحية، إضافة إلى فاصلة

الآية

٢ - وأما الجواب عن السؤال الثاني فإنه أمره في (ق) بنوعين من التسميع :

١ - التسميع بحمد ربه .

٢ - تسميع لله نفسه وذلك أنه قال : ﴿ فَسَبِّحْهُ ﴾ أي : فسبح الله ، أو فسبح ربك ، كما قال ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ﴾ (١) وَسَبِّحُوهُ كُرًّا وَأَصْبِلًا ﴾ ، (الاحزاب ٤١ ، ٤٢) ، ذلك أنه قال فيها : ﴿ وَأَذْبَارِ السُّجُودِ ﴾ ومعلوم أنه بعد السجود بُسِّنَ للمصلي أن يُسبح الله فيقول : (سبحان الله) ثلاثاً وثلاثين مرة .

فنامسب تسميع الله أذبار السجود .

ولما لم يرد في (صه) نحو ذلك أطلق التسميع فقال : ﴿ فَسَبِّحْ ﴾ وحذف المتعلق ليشمل عموم التسميع ، والله أعلم .



٦٤ - قال تعالى في سورة الحج: ﴿وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ﴾ (٢٧).

سؤال:

- ١ - لماذا قال: ﴿وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ﴾ فذكر وصف الضمور؟
- ٢ - ولماذا وصف الفج عميق ولم يصفه بالبعد مع أن معنى (عميق) هنا (بعيد)؟

الجواب:

١ - أما بالنسبة إلى السؤال الأول فإن معنى الضامر هو المهزول الضعيف المنهوك من السفر، وذكر هذا لوصف هنا مناسبت من أكثر من جهة
 منها أنها تأتي من كل فج عميق أي بعيد، ولبعد هو الذي يضم الإبل والمطايا، ولم يقل: (من كل فج) فحسب لأن ذلك يشمل البعيد والقريب فلا يناسب ذكر الضمور

ومنها أنه قال: ﴿مِنْ كُلِّ فَجٍ﴾، وكلمة (فج) في الأصل هو الطريق في اجتبل، وهو أنسب بالضمور من كلمة الطريق أو السبيل أو نحوه، لأن السير في الجبل أدعى إلى التعب والمشقة والضمور.

٢ - وأما اختيار كلمة (عميق) على (بعيد) فهو أسبب هنا من أكثر من جهة أيضاً.

منها: أن حيار كلمة (عميق) على (بعيد) أنسب مع ذكر الضمور، ذلك أن العمق نفحص العلو والارتفاع، وأن الصعود في السير أشق وأصعب من السير في الطريق المستوي، فهو يضم المطايا وينهكها.

ومنها: أن الحج رفعة وعلو في المرتلة عند الله؛ لأنه مدعاة إلى مغفرة الذنوب، فالسالك في طريق الحج آخذ بالارتفاع. وسالك سبيل الصعود فناسب الوصف بالعمق من أكثر من جهة، والله أعلم.

٦٥ - قال تعالى: ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ (النور: ٣٥)

سؤال: لماذا أخبر الله عن نفسه بأنه نور، ولم يُخبر بأنه ضياء، مع أن الضياء أقوى من النور، بدليل قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسُ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا﴾ (يونس: ٥)؟

الجواب: ليس صحيحاً ما ذكر من أن الضياء أقوى من النور، لأن الضياء هو نور غير أن النور أعم من الضياء - فكل ضياء هو نور كما هو مُقرر في اللغة، إن الضياء حالة من حالات النور وهو أخص منه، وذلك أن النور درجات بعضها أقوى من بعض، فإذا كان في حالة قوية فهو ضياء^(١). فالضياء نور وليس غيره.

وقيل - هما مترادفان - جاء في «لسان العرب»: «النور: الضياء، والنور: ضد الظلمة»^(٢) وجاء في «تاج العروس»: «نُور بالضم الضوء أي كان أو شعاعه وسطوعه...»

وقوله ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسُ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا﴾ وتحصيص الشمس بالضوء والقمر بالنور من حيث إن الضوء أخص من النور^(٣).

وجاء في «المفردات» لأربعب الأصفهاني: «النور الضوء المنتشر الذي يُعِين على الإبصار»^(٤).

وبهذا يتضح أن النور أعم من الضياء - وأن الضياء قسم منه أو حالة من حالاته.

(١) انظر تفسير الرازي (٦/٢٠٨ - ٢٠٩).

(٢) «لسان العرب» (نور)، وانظر المصباح المنير (النور).

(٣) تاج لعروس (نور).

(٤) «المفردات» (النور).

وقد قابل ربنا الظلمات بالنور، قال ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ
وَالْأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ﴾ (الأنعام: ١).

وقال: ﴿يُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ﴾ (البقرة: ٢٥٧).

وسمى الهدى نوراً والضلal ظلمات، قال تعالى: ﴿كَتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ
لَتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ﴾ (يوسف: ١).

وقال: ﴿أَوْ كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ﴾
(الأنعام: ١٢٢).

وسمى القرآن نوراً، قال تعالى: ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُورًا مُبِينًا﴾ (اسراء: ١٧٤).

وقال: ﴿قَمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالنُّورِ الَّذِي أَنْزَلْنَا﴾ (البقرة: ٨).

فسمى الله نفسه نوراً لا ضياء لأن الضياء حالة من حالات النور، وهناك
حالات من حالات النور لا نعلمها، الله يعلمها هي أعلى من الضياء،
وحالات من النور غير الضياء، فلا يصح قصر المطلق على جزئية.

فقله هو النور المطلق، والنور المطلق هو الله سبحانه (١). والله أعلم.



٦٦- قال تعالى في سورة الأنبياء: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى وَهَارُونَ الْفُرْقَانَ وَضِيَاءً وَذِكْرًا لِّلْمُتَّقِينَ﴾ (٤٨) الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ وَهُمْ مِّنَ السَّاعَةِ مُشْفِقُونَ ﴿٤٩﴾ (٤٨، ٤٩)

وقال في سورة المائدة: ﴿إِنَّ أَوَّلَ الْتَّورَةِ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا وَارِبَّاوِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ بِمَا اسْتُحْفِظُوا مِن كِتَابِ اللَّهِ﴾ (٤٤)

وقال في سورة الأنعام: ﴿قُلْ مَن أُنزِلَ الْكِتَابَ الَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَى نُورًا وَهُدًى لِّلنَّاسِ تَجْعَلُونَهُ قُرْآنًا﴾ (٩١)

سؤال: لماذا وصف التوراة بأنها (ضياء) في آية الأنبياء، ووصفها بأنها (نور) في آية المائدة والأنعام؟

الجواب: إن أنور أعم من الصياء، والضياء حالة من حالات النور وهو أخص منه كما ذكرنا في النقطة السابقة.

وقد ذكر في آية الأنبياء أنه: ﴿لِّلْمُتَّقِينَ﴾ (٤٨) الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ وَهُمْ مِّنَ السَّاعَةِ مُشْفِقُونَ. وهم أخص من ذكر في الآيتين الأخريين.

فقد قال في آية المائدة: ﴿يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا﴾ أي لليهود، والمتقون أخص من اليهود وهم جزء منهم.

وقال في آية الأنعام: ﴿الْكِتَابَ الَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَى نُورًا وَهُدًى لِّلنَّاسِ﴾. لأنعام (٩١) فجعله للناس، وهم أعم من المتقين المذكورين في آية الأنبياء، والمتقون جزء منهم.

فجعل النور الذي هو أعم من الصياء للذين هم أعم وهم اليهود والناس، وجعل الصياء الذي هو أخص للذين هم أخص وهم المتقون الذين يخشون ربهم وهم من الساعة مشفقون.

فناسب العموم العموم ، والخصوص الخصوص .

ومن ناحية أخرى أن الضياء إما هو الساطع من النور أو هو التام منه (١) .

وإن المتقين إما هم جماعة ساطعة من بين عموم المؤمنين أو الناس ،

وحالهم أتم وأكمل ، فناسب بين سطوع المتقين وسطوع النور وهو الضياء ،

فالمتقون من بين عموم المؤمنين كالضياء من انور .

جاء في «الكشاف» في قوله تعالى ﴿مَثَلُهُمْ كَمِثْلَ الدُّبَابِ الَّذِي اسْتَوْفَدَ نَارًا فَلَمَّا

أُصَاعَتْ مَا حَوْلَهُ خَبِثَ النَّارُ وَتَرَكَّهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لَا يُبْصِرُونَ﴾ (سورة: ١٧) .

«النار جوهر لطيف مصبىء حار محروق ، وانور صوؤها وصوره كل نيز

وهو بفيض الظلمة . . . والإضاءة فرط الإدارة ، ومصداق ذلك قوله : ﴿هو

الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسُ ضِيَاءً وَالْقَمَرُ نُورًا﴾ . . .

فإن قلت: هلا قيل - (ذهب الله بضوئهم) لقوله : ﴿فَلَمَّا أُصَاعَتْ﴾ ؟

قلت: ذكر البور أبلغ لأن الضوء فيه دلالة على الزيادة فلو قيل (ذهب

الله بضوئهم) لأوهم الذهاب بالزيادة وبماء ما يسمى بوراً ، والعرض إزالة

انور عنهم رأساً وطمه أصلاً ألا ترى كيف ذكر عقيه : ﴿وَتَرَكَّهُمْ فِي

ظُلُمَاتٍ﴾ ، والظلمة عبارة عن عدم النور ونظماسه ، وكيف جمعها وكيف

نكرها وكيف أتبعها ما يدل على أنها ظلمة مبهمة لا يتراءى فيها شبحان ،

وهو قوله : ﴿لَا يُبْصِرُونَ﴾ (٢) .



(١) انظر تفسیر الرازي (٢٠٩/٦)

(٢) الكشاف (١٥١/١ - ١٥٤)

٦٧ - قال تعالى في سورة العنكبوت في سيدنا نوح عليه السلام ﴿فَأَجْنَحُوا وَأَصْحَابُ السُّفِينَةِ وَحَمَلَهَا آيَةً لِلْعَالَمِينَ﴾ (١٥)

وفي آيات أخرى سماها الفلك فقال: ﴿فَأَجْنَحُوا وَالَّذِينَ مَعَهُ فِي الْفُلْكِ﴾ (لأعراف: ٦٤)

وقال: ﴿فَأَجْنَحُوا وَمَنْ مَعَهُ فِي الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ﴾ (الشعراء: ١١٩)، فما السب؟

الجواب: السفينة هي الفلك غير أن العرب استعملت السفينة خاصة بالمفردة المؤنثة.

فما الفلك فقد استعملتها عامة، فقد استعملتها للواحد والاثني والجمع، واستعملتها مذكرة ومؤنثة، فتقول للواحد (فلك) تؤنثه وتذكره، وتقول للجمع أيضاً (فلك)، وكذا استعمله القرآن.

قال تعالى ﴿فَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ أَنْ اصْنَعْ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحَيْنَا إِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التُّورُ فَاسْلُكْ فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ﴾ (سود: ٢٧)، فجعلها مفردة مؤنثة، فقد قال: ﴿فَسَلِّ فِيهَا﴾.

وقال ﴿ارْكَبُوا فِيهَا بِسْمِ اللَّهِ مَجْرَاهَا وَمُرْسَاهَا . . .﴾ وقال: ﴿وَهِيَ تَجْرِي بِهِمْ فِي مَوْجٍ كَالْجِبَالِ﴾ (هود: ٤٢)، وهي في ذلك كله مؤنثة.

وقال ﴿فَأَجْنَحُوا وَمَنْ مَعَهُ فِي الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ﴾ (شعراء: ١٩)

وقال ﴿وَبَنِي يُوسُفَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾ (١٢٩) إِذْ أَبَى إِلَى الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ

(صافات: ٣٩ و ١٤)

فقال: ﴿الْفُلْكَ لَمَشْحُونٍ﴾ فجعلها مفردة مذكرة

رَوْحِينَ اثْنَيْنِ رَهْلَكَ إِلَّا مَنْ سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ وَمَنْ آمَنَ وَمَا آمَنَ مَعَهُ إِلَّا قَلِيلٌ ﴿٤٠﴾ (هود)
 وقوله ﴿فَسَأَلْتُ فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَنْ سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ مِنْهُمْ وَلَا تَحَاطَبُوا فِي الدِّينِ طَمَعُوا إِنَّهُمْ مُعْرِضُونَ﴾ (سُورَةُ هُودٍ: ٢٧).

فقول إن لاثنين لا تدلان على المرء فهو لم يقل إنها مملوءة، فقد أمره في آية هود أن يحمل من كل زوجين اثنين وأهله ومن آمن، وقد ذكر أنهم فله، فقال: ﴿وَمَا آمَنَ مَعَهُ إِلَّا قَلِيلٌ﴾.

وم يدل على أن في السفينة متسعاً، أنه نادى ابنه فقال: ﴿يَا بُنَيَّ ارْكَبْ مَعَايَ﴾ (هود: ٤٢).

وأما آية «أحْمِسُوا» فقد ذكر أنه أمره أن يسلك فيها من كل زوجين اثنين وأهله، ولم يذكر من آمن، فلم يصرح بالملء بخلاف التصريح بالشحن، وقيل إن تأنيثها وتذكيرها كأنه «يذهب بها إذا كانت واحدة إلى المركب فيذكر، وإلى السفينة فيؤنث»^(١).

ثم تأني إلى السفينة والملك في السؤال فتقول:

إن السفينة من السفن وهو انقشُر، ومعنى (سفن الشيء) قشره، وسميت لسفينة لأنها تستن وحه الماء أي تقشره^(٢).

وأما لَفُكْ فكأنها سُميت بذلك لأنها تركب العلك، ومن معاني (الفلك) بفتح لاء واللام موج البحر إذا ماح واضطرب، ومن معانيه الماء الذي حركته الريح، وفلك البحر موجه لمستدير المتردد^(٣). فكأنها سُميت بذلك لما كانت تركب الموج وما ذكرناه في معنى الفلك.

(١) لسان العرب (ص٥٦)

(٢) لسان العرب (سفن)

(٣) انظر لسان العرب (ص٥٦)

وقد يتنا أن (الفلك) أعم من السفية في الاستعمال السفوي لأنه يذكر ويؤث . ويكون بلواحد وعيره بخلاف السفينه ، فإنها مفردة مؤنثة فهي مختصة .

وقد اسعمل القرآن السفية في مقدم التخصيص فقط مناسبة لمعناها اللغوي بخلاف الفلك فقد استعملها عامة وخاصة .

١ فقد اسعمل السفية في المملوكة دون غيرها ، فقد قال : ﴿حَتَّىٰ إِذَا رَكَبُوا فِي السَّفِينَةِ خَرَقُوهَا﴾ (الكهف ٧٩) ، وهذه السفينة كانت لمساكين يعملون في لبحر كما جاء في السورة (الكهف: ٧٩) .

ثم قال : ﴿وَكَانَ رِءَاءَهُمْ مِّلْكٌ يَأْخُذُ كُلُّ سَفِينَةٍ غَصْبٌ﴾ (الكهف ٧٩) ، أي يأخذها غصباً من مالكمها .

فالسفينة في القرآن لم تستعمل إلا في سفينة نوح ، وهي المذكورة في آية لعنكبوت ، وفي هذه السفن المذكورة في سورة الكهف وهي مملوكة لمساكين أو لأحرين في ذلك العهد .

وهي على أية حال خاصة بمالك أو خاصة بعهد معين هو عهد الملك المغتصب أو هي فلك نوح

وأما الملك فهي قد تكون خاصة كما في فلك نوح ، وقد تكون مطمة تصبح لجميع الأرملة ، وذلك بحسب قوله . ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ الْفُلْكَ تَحْرِي فِي الْبَحْرِ بِعَمْرِ اللَّهِ﴾ (ممد ٢٩) .

وقوله ﴿اللَّهُ الَّذِي سَخَّرَ لَكُمْ الْبَحْرَ لَتَحْرِي الْفُلْكَ فِيهِ بِأَمْرِهِ﴾ (البقرة ١٢) .
وقوله ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ يُرْسِلَ الرِّيَّاحَ مُسْبِرَاتٍ وَلِيُبْدِيَكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ وَلِتَحْرِي الْفُلْكَ بِأَمْرِهِ﴾ (الروم ٤٦) .

٢ ومن استعمالها محتصة أنه ذكر معها الأصحاب في قصة نوح، فقال: ﴿فَالْجِنَّاهُ وَأَصْحَابُ السَّفِينَةِ﴾ وكلمة الأصحاب قد تأتي بمعنى المالكين، ورد لم يكر كذلك في قصة نوح، وإنما هي على تقدير (في) أي وأصحابه في السفينة، مثل ﴿يَا صَاحِبِي السَّجْنِ﴾ أو تكون الإضافة لأدنى ملابسة، فاسبب ذكر الأصحاب استعمالها مملوكة في السياقات الأخرى، فكانت في كل استعمالها مملوكة أو كالمملوكة.

٣ - ومن لطيف الاستعمال أنه مع ذكر لسفينة التي هي خاصة ذكر المدة التي لبثها سيدنا نوح وخصصها فقال: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَلْتِ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا فَأَخَذَهُمُ الطُّوفَانُ وَهُمْ ظَالِمُونَ﴾ (العنكبوت ١١٤) فذكره وخصصه مع ذكر السفينة التي هي أنحصر من الملك

٤ ثم إنه قل في السفينة المذكورة في آية العنكبوت، وهي سفينة نوح: ﴿وَجَعَلْنَاهَا آيَةً لِلْعَالَمِينَ﴾ أي جعل السفينة هذه آية، ولو ذكر مكانها الفلك لم يدل صراحة على أن المقصود به الملك الذي صممه نوح، بل يحتمل أن المقصود به عموم الفلك الذي يركبه الناس، وقد ذكره ربنا، وذكر أنه آية من آياته في أكثر من موضع فقد ﴿إِن فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَاصْطِدَ إِلَىٰ تَحْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَفْعُ النَّاسُ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَّاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَتَفَّيْهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَّاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسْتَخَرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ آيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ (البقرة ١١٤).

وذلك ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ يُرْسِلَ الرِّيَّاحَ مُبَشِّرَاتٍ وَلِيُذِيقَكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ وَلِتَحْرِي الْفُلْكَ أَمْرَهُ﴾ (الروم ٤٦) فذكر أنه من آياته

وقال: ﴿لَمْ يَرَأَنَّ الْفُلْكَ تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِعَمَتِ اللَّهِ لِيُريَكُمْ مِنْ آيَاتِهِ﴾

وقال: ﴿لَهُ لَدِي سَحَرٌ لَكُمْ الْسَحَرُ لِنَجْرِ الْفُلْكَ فِيهِ بِأَمْرِهِ فَلْيَتَّبِعُوا مِنْ فَضْلِهِ
وَلَعَلَّكُمْ يَشْكُرُونَ﴾ (٢٢) وسحر لكم ما في السموات وما في الأرض جميعاً منه إن في
ذلك لآياتٍ لقومٍ يتفكرون﴾ (الحج: ١٢)

فلو ذكر الفلك أيضاً في آية العنكبوت لاحتصل أن المقصود بحو ما ذكره
في آيات أخرى في الفلك، ولم ينص على أنه سفينة نوح
فاستعمل السمينه التي هي خاصة في اللغة خاصة بسفينة نوح أو
خاصة بماكين أو خاصة بعهد معين، وحصل معها مدة لبث نوح وخصصها
لأنها آية للعالمين.

فما أجلّ هذا التناسب والطفه!



٦٨ قال تعالى: ﴿فَلْيَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ﴾

(العنكبوت: ٢).

وقال: ﴿فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُنُوا مِنْ رَازِقِهِ﴾ (الملك: ١٥).

سؤال: لماذا قال في آية العنكبوت ﴿سِيرُوا﴾، وقال في سورة الملك
﴿فَامْشُوا﴾. وما الفرق بين السير والمشي؟

الجواب: يقال (سار القوم) إذا امتد بهم لسير في جهة ما فوحشوا
لها (١)، أما المشي فلانتقان الخطى وإن كانت قليلة.

والسير قد يكون للسفر وللتحارة والضرب في الأرض، وللاعتبار
وللانتظار ولغير ذلك على أن يكون ممتداً.

قال تعالى ﴿فَلَمَّا قَضَى مُوسَى الْأَجَلَ وَسَارَ بِأَهْلِهِ آنَسَ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ نَارًا﴾

(القصص: ٢٩)، وهو سير ممتد للعودة إلى مصر.

(١) لسار العرب (سير)

وقال ﴿سِيرُوا فِيهَا لَيَالِيَ وَأَيَّامًا آمِينَ﴾ (سأ: ١٨)، وهو سر متطاوّل ممتد يستغرق ليلالي وأيامًا كما ذكر ربنا.

وقال ﴿أَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونُ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا﴾ (الحج ٤٦)، وهو سير للعبرة.

وسحوه قوله ﴿قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ﴾ (مكوب

(٢

أم المشي فيكوب على الأرجل وإن كان قليلاً، قال تعالى ﴿وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا﴾ (نمل: ١٨)

وقال ﴿فَجَاءَتْهُ إِحْدَاهُمَا تَمْشِي عَلَى اسْتِحْيَاءٍ﴾ (الفصص: ٢٥).

وقال: ﴿إِلَّا إِلَهُهُمْ لِئَاكُلُوا الصَّعَامَ وَيَمْشُوا فِي الْأَسْوَاقِ﴾ (المرقان ٢٠).



٦٩- قال تعالى في سورة العنكبوت: ﴿وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَمَا لَكُمْ مَن دُونِ اللَّهِ مَن وَلِيَّ وَلَا نَصِيرٌ﴾ (٢٢).

وقال في سورة الشورى: ﴿وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ وَمَا لَكُمْ مَن دُونِ اللَّهِ مَن وَلِيَّ وَلَا نَصِيرٌ﴾ (٣١).

سؤال: لماذا قال في سورة العنكبوت: ﴿وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ﴾ فذكر السماء إضافة إلى الأرض.

وقال في الشورى: ﴿وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ﴾ فذكر الأرض ولم يذكر السماء؟

الجواب: إن التهديد والتوعيد في العنكبوت أشد وأعم، وذلك أن السياق

في لعنكبوت يختلف عما في الشورى من أكثر من جهة منها:

١ أن الكلام في العنكبوت إما هو على الكفار وتهديدهم وتوعدهم وذلك من مثل قوله: ﴿إِنَّمَا نَعُدُّونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ ذُنُوبَنَا وَنَحْلِقُونَ إِفْكًا إِنَّا لَنَذِيرٌ نَعْدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِقًا فَاتَّقُوا اللَّهَ عَبْدَ اللَّهِ الرَّزَّاقَ ﴿١٧﴾

وقوله: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا آيَاتِ اللَّهِ وَلِقَائِهِ أُولَئِكَ يَنْسَوْنَ مِنْ رَحْمَتِي وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٣﴾

وأما الكلام في الشورى فأكثره في المؤمنين أو هو عام، وذلك من مثل قوله: ﴿ذَلِكَ الَّذِي يُنَسِّرُ اللَّهُ عِبَادَهُ الَّذِينَ سُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ﴿٢٣﴾

وقوله: ﴿وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَعْفُو عَنِ السَّيِّئَاتِ ﴿٢٥﴾

وقوله: ﴿وَلَوْ بَسَطَ اللَّهُ الرِّقَّ لِعِبَادِهِ لَبُعُوَ فِي الْأَرْضِ ﴿٢٧﴾

وقوله: ﴿وَهُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ الْغَيْثَ مِنْ نَعْدٍ مَا قَطَطُوا وَيَنْشُرُ رَحْمَتَهُ ﴿٢٨﴾

فناسب أن يكون التهديد في العنكبوت أشد.

٢- إن جو سورة العنكبوت إما هو في ذكر الأمم الكافرة وموقعهم من رسلهم وعقوباتهم، فقد ذكر قوم نوح وقوم إبراهيم وقوم لوط وذكر مدبري عادًا وثمود وقارون وفرعون وهامان، فناسب ذلك شدة التهديد والتحذير فيها، ولم يذكر شيئًا من ذلك في الشورى.

٣ قال تعالى قبل آية العنكبوت هذه: ﴿قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ثُمَّ اللَّهُ يُشِئُ اسْمَاءَ الْآخِرَةِ إِنَّ اللَّهَ عَلِيُّ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢﴾

وقال في الشورى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَرَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا مِنْ دَائِرَةٍ وَهُوَ عَلَى جَمْعِهِمْ إِذْ يَشَاءُ قَدِيرٌ ﴿٢٩﴾

فقال في آية العنكبوت : ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ ، وقال في الشورى ﴿وَهُوَ عَلَى جَمْعِهِمْ إِذَا يَسَاءُ قَدِيرٌ﴾ .

فذكر قدرته في العنكبوت بما هو أعم وأشمل فقال ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ ، وذكر شيئاً من مظاهر قدرته في الشورى فقال ﴿وَهُوَ عَلَى جَمْعِهِمْ إِذَا يَسَاءُ قَدِيرٌ﴾ فذكر جمع من في السماوات والأرض .

وهذا ولا شك جزء من قدرته فهو يدحل في قوله ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ .

فذكر في لعنكبوت ما هو أعم مما في الشورى ، وهو السماء والأرض ، وذكر جرءاً من ذلك في الشورى ، وهو الأرض ، فناسب العموم العموم ، والتخصيص التخصيص .

٤ - ذكر في الشورى من مظاهر معرفته وعفوه ولطفه ما لم يذكره في العنكبوت ، فقد قال في الشورى : ﴿وَالْمَلَائِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَن فِي الْأَرْضِ﴾ (٥) ، وهذا من رحمة الله بمن في الأرض ، فقد جعل الملائكة يستغفرون لهم .

وقال : ﴿أَلَا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ (٥) .

وقال : ﴿اللَّهُ لَطِيفٌ بِعِبَادِهِ﴾ (١٩) ، وقال : ﴿إِنَّ اللَّهَ عَفُورٌ شَكُورٌ﴾ (٢٣) . وقال : ﴿وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَعْفُو عَنِ السَّيِّئَاتِ﴾ (٢٥) ، وقال : ﴿وَهُوَ الَّذِي يَرْفَعُ الْعِذَّتْ مِنْ بَعْدِ مَا قُضُوا وَيَسِّرُ رَحْمَتَهُ وَهُوَ الْوَلِيُّ الْحَمِيدُ﴾ (٢٨) ، وقال : ﴿وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ﴾ (٣٠) ، وقال أيضاً : ﴿وَيَعْفُ عَنْ كَثِيرٍ﴾ (٣٤) ، ولم يرد في العنكبوت ذكر للمغفرة أو لعفو ، وإنما ذكر التهديد والتوعد من مثل قوله ﴿أَحْسِبِ النَّاسَ أَنْ يَتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ﴾ (٢) ، وقوله ﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ أَنْ يَسْبِقُونَنَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾ (٤) ، وقوله :

﴿وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَلَوْ لَا أَجَلٌ مُّسَمًّى لَّجَاءَهُمُ الْعَذَابُ وَلَيَأْتِيَنَّهُمْ بَعَثَهُ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ (٥٣)، وقوله: ﴿لِيَكْفُرُوا بِمَا آتَيْنَاهُمْ وَلِيَتَمَتَّعُوا فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾ (٦٦).

فناسب التوعد الشديد والتهديد ما في العنكبوت.

حاء في «ملاك التأويل»: «السائل أن يسأل عن زيادة الوارد في سورة العنكبوت، من قوله ﴿وَلَا فِي السَّمَاءِ﴾ ولم يرد ذلك في سورة الشورى.

والجواب عنه والله أعلم - أنه لما تقدم قبلها قوله تعالى ﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ أَنْ يَسْقُوا﴾ وهذا من أشد الوعيد، إذ حاصله أنه لا يفوته سبحانه أحد، وأنه لا مهرب منه إلا إليه، مناسب هذا قوله تعالى: ﴿وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ﴾ كما قال: ﴿أَيْنَ مَا تَكُونُوا يَأْتِ بِكُمُ اللَّهُ حَمِيعًا﴾، البقرة (١٤٨)، إلى ما ورد من هذا وذلك تناسب بين.

ولما لم يرد في سورة الشورى من أولها إلى الآية مثل هذا الوعيد الشديد، ولا كان فيها ما يستدعي هذا التعميم والاستيعاء الوعدي ووردت الآية مناسبة لذلك فقال تعالى: ﴿وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ﴾ ولم يكن التعميم هنا ليناسب، فورد كل على ما يجب والله سبحانه أعلم^(١).

٥ - إن كلمة (الأرض) وردت في الشورى أكثر مما في العنكبوت فقد وردت في العنكبوت خمس مرات، ووردت في الشورى عشر مرات، فناسب الاختصار على ذكر الأرض في الشورى من هذه الجهة.

٦ - إن كلمة لسماء وردت في العنكبوت ثلاث مرات، ولم ترد في الشورى، فناسب ذكر السماء إضافة إلى الأرض في العنكبوت من جهة أخرى، فناسب كل تعبير موضعه الذي ورد فيه من كل جهة، والله أعلم.

(١) ملاك التأويل (٢) (٧٦٧).

٧٠- قال تعالى في سورة العنكبوت: ﴿وَعَادُوا ثَمُودَ وَقَدْ تَبَيَّنَ لَكُمْ مِنْ مَسَاكِنِهِمْ وَزِيٍّ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالُهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَكَانُوا مُسْتَبْصِرِينَ﴾ (٣٨) وفارون وفرعون وهامان ولقد جاءهم موسى بالبينات فاستكبروا في الأرض وما كانوا سائقين (٣٩) فكلاً أخذنا بذنبه فمنهم من أرسلنا عليه حاصباً ومنهم من أخذته الصيحة ومنهم من خسفنا به الأرض ومنهم من أغرقنا﴾ (٣٨ ٤٠).

ورد في سورة غافر: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُبِينٍ إِلَى فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَفَارُونَ فَقَالُوا سَاحِرٌ كَذَّابٌ﴾ (٧٤).

سؤال: لماذا قدم (قارون) على فرعون وهامان في العنكبوت، وأخره عنهما في غافر؟

الجواب: إنه قال عن قوم ثمود إنهم كانوا مستبصرين وكذلك فارون كان مستبصراً أيضاً، لأنه كان من قوم موسى فبغى عليهم كما قال ربنا عنه (نصص: ٧٦) فاسب ذكره بعد ثمود، وأما فرعون وهامان فلم يذكر ذلك عنهما.

ثم ن تقديم (قارون) في سورة العنكبوت مناسب لما ورد في السورة من سطر الرزق، فقد قال: ﴿لِلَّهِ يَسْطُرُ الرِّزْقُ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَهُ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ (٦٢).

ورون بسط له في رزقه قال تعالى ﴿وَرَتَيْنَاهُ مِنَ الْكُورِ مَا إِنَّ مُفَاتِحَهُ لَتَنُوءَ بِالْعُصْبَةِ أُولَى الْقُوَّةِ﴾ (نصص: ٧٦).

وقد ذكر العقوبات في سورة العنكبوت مرتبة بحسب المذكورين، فقد قال: ﴿فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنْبِهِ فَمِنْهُمْ مَنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُمْ مَنْ أَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ وَمِنْهُمْ مَنْ خَسَفْنَا بِهِ الْأَرْضَ وَمِنْهُمْ مَنْ أَغْرَقْنَا﴾.

ف قوله : ﴿مَنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصًّا﴾ يعني عاذاً ، وقوله : ﴿مَنْ أَحَدَنَهُ الصَّيْحَةَ﴾ يعني ثمود ، وقوله ﴿مَنْ حَسَفْنَا بِهِ الْأَرْضَ﴾ يعني قارون ، وقوله ﴿مَنْ أَعْرَفْنَا﴾ يعني فرعون .

وأما في سورة غافر فقد قال : ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُبِينٍ﴾ والإرسال كان إبي فرعون أولاً .

ثم إن السياق في الكلام على فرعون أولاً فقد دل ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ ذُرُونِي أَقْتُلْ مُوسَى وَلْيَدْعُ رَبَّهُ . . . وَقَالَ رَجُلٌ مُؤْمِنٌ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَانَهُ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ . . . قَالَ فِرْعَوْنُ مَا أُرْكَمُ إِلَّا مَا أُرَى وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ الرَّشَادِ﴾ (٢٦ وما بعدها) وغير ذلك ، فاسب تقديم فرعون في غافر .

ومن ناحية أخرى أب المذكور آخرًا في هذين الموضعين لم يرد شأنه شيء في السورة .

فآخر مَنْ ذُكِرَ في العنكبوت (هامان) ولم يرد بشأنه شيء في السورة ، وأما مَنْ قَبْلَهُ فقد ذكر عقوبته

وآخر مَنْ ذُكِرَ في غافر (قارون) ولم يرد بشأنه شيء في السورة ، وأما (هامان) فقد ورد له ذكر في غافر ، فقد قال فيه : ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا هَامَانَ ابْنِ بَنِي صَرَحًا عَلَيَّ ابْلُغْ الْأَسْبَابَ﴾ (٣٦) .



٧١- قال تعالى في سورة الأحزاب: ﴿وَأَنْزَلَ الَّذِينَ ظَاهَرُوهُمْ مِنْ أَهْلِ
الْكِتَابِ مِنْ صِيَابِهِمْ وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ فَرِيقًا تَقْتُلُونَ وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا (٢٦)
وَأُورِثَكُمْ أَرْضَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ وَأَرْضًا لَمْ تَطَّوُّوها وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ
قَدِيرًا﴾ (٢٦، ٢٧).

سؤال: لماذا قَدَّمَ الفريق في قوله ﴿فَرِيقًا تَقْتُلُونَ﴾ وأخره في قوله:
﴿وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا﴾؟

الجواب: أما تقديم الفريق على ﴿تَقْتُلُونَ﴾ فإنه هو المناسب، ذلك أن
هذه من أندر حالات القتل وأغربها، وأنها تستدعي التقديم للاهتمام، ذلك
أن المرء يقتل إما دفاعاً عن نفسه، أو عن أهله ودرسته، أو عن ماله، أو عن
داره، أو عن أرضه.

إد إن كل واحد من هذه الأمور يستوجب الدفاع عنه والقتال دونه،
فكيف إذا اجتمعت كلها؟

وهؤلاء لم يقاوموا مع موجب أحوال الدفاع كلها مع أنهم بأيديهم
سلاحهم، وقد كسوا في حصونهم، بل نزلوا متسلمين للقتل مقيين
سلاحهم، ولم يدافعوا عن شيء من كل ذلك، وقد كانوا ستمئة مقاتل.
وهذا يُبين مفدر الرعب الذي قُدِّفَ في قلوبهم.

فتخيل أن رجلاً يُنْذِرُ عني رجل في حصنه معه سلاحه، فيقول له
اسر إلىي وألق سلاحك فأنا سأقتلك وأسيي أهلك وذريتك وأخذ دارك ومالك
وأرضك، أفترى أنه فاعل ذلك وهو مقنوع لا محالة؟

فهذا هو حال هؤلاء من بني قريظة.

فقتضى ذلك تقديم هذا الفريق لعراة حاله.

أما الفريق المأسور فلا يستدعي تقديمه وهي حالة غير مُستغربة، ولا تستدعي الاهتمام فإنهم أطفال ونساء وليس فيهم مقاتل.
فلا شك أن أسرهم سهل وميسور فلا يقضي التقديم.



٧٢- قال تعالى ﴿إِنَّا عَرَصْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَتَيْنَ أَنْ يُحْمَلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا﴾ (الأحراب ١٢).

سؤال: لماذا ذكر الجبال بعد الأرض وهي جزء منها؟

الجواب: إن هذا من باب عطف الخاص على العام، وذلك لعظم خلقها، فهي أعظم ما في الأرض.

وهذا النوع من العطف غير عزيز في اللغة، فإنه يعطف الخاص على العام لأهمية المعطوف، وذلك نحو قوله تعالى: ﴿حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَى﴾ (البقرة ٢٣٨)، فعطف الصلاة الوسطى على الصلوات وذلك لأهمية الحفاظ على هذه الصلاة.

ونحو قوله تعالى: ﴿مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِلَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ فَإِنَّ اللَّهَ عَدُوٌّ لِلْكَافِرِينَ﴾ (البقرة ٩٨)، فعطف جبريل وميكال وهما من الملائكة وذلك لعظيم منزلتهما عند الله.

ثم إن الجبال ليست خاصة بالأرض فهي موجودة في قسم من الأجرام السماوية، وعلى هذا فإن ذكرها أماد ما لم يُفهم ذكر الأرض، فربما عرص الله لأمانة على السماوات والأرض وعلى الجبال أيما كانت مراء كانت في الأرض أم في غيرها.

ثم إن ذكرها بعد ذكر الأرض فيه إشارة إلى أمر آخر لطيف. ذلك أن

الجبّال إما هي رواسٍ للأرضٍ لثلاثٍ تميد بها، قال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيًا أَنْ تَمِيدَ بِهِمْ﴾ (الأنعام: ٣١)، ﴿وَأَلْقَى فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيًا أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ﴾ (سج: ١٥).

وهذه الأمانة كالجبّال رواسٍ للإنسان تثبته لثلاثٍ تميد به الأهواء وتعصف به لشهوات، بل هي تُثبته في الدنيا والآخرة، كما قال تعالى: ﴿يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِمَا قَالُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ﴾ (يُؤَيِّدُ ٢٧)، وهي أدوم من الأرض والجبّال، بل هي أدوم من السماوات، فإن الأرض ستزول والجبّال ستُسفّ والسماوات ستُبدل، أما هذه الأمانة فإنها باقية تثبته في حياة الدنيا، وتُثبته في الآخرة، وتُثبته على الصراط لثلاثٍ يسقط في جهنم فذكر الجبال مهنا بعد ذكر الأرض من لطيف المناسبات



١٣ قال تعالى في الآية السادسة والثلاثين من سورة سبأ ﴿قُلْ إِنْ رَبِّي يَسْطُرُ الرَّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (٣٦).

وقال في الآية التاسعة والثلاثين من السورة نفسها: ﴿قُلْ إِنْ رَبِّي يَسْطُرُ الرَّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَهُ وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ﴾ (٣٩).

سؤال:

- ١ لماذا قال في الآية السادسة والثلاثين ﴿وَيَقْدِرُ﴾ ولم يقل: (له). وقال في الآية التاسعة والثلاثين ﴿وَيَقْدِرُ لَهُ﴾؟
- ٢ ولماذا قال في الآية التاسعة والثلاثين ﴿مِنْ عِبَادِهِ﴾ ولم يقل مثل ذلك في الآية السادسة والثلاثين؟

الجواب:

- ١ بالنسبة إلى السؤال الأول فقد ذكر ربنا في السورة قسمين من العباد:

قسمًا يسطر الله لهم الرزق ولم يقدره لهم.

وقسمًا يسطر الله لهم الرزق ثم قدره لهم؛ أي ضيقه.

فذكر كل آية لمناسبة كل قسم وإليك إيضاح ذلك:

لقد ذكر من الذين يسطر الله لهم الرزق ولم يضيق عليهم نبي الله داود، ونبيه سليمان. فقد ذكر أن الله اتاهما فصلاً، ولم يضيق عليهما، فهما ملكان عظيمان في بني إسرائيل، إلى أن توفاهما الله.

ومن الذين بسط لهم رزقهم ولم يقدروا بهم المذكورون في قوله : ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِّنْ نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ (٣٤) وَقَالُوا سَحَرُ أَكْثَرُ أَمْوَالًا وَأَوْلَادًا وَمَا نَحْنُ بِمُعَذِّبِينَ﴾ (٣٥، ٣٤).

وهؤلاء ممن بسط لهم الرزق فقد ذكر أنهم مُتْرَفُونَ ، والمُتْرَفُ مبسوط له في رزقه ، وذكر أنهم قَالُوا : ﴿نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَالًا وَأَوْلَادًا﴾ ، فهؤلاء ممن بسط لهم في رزقهم ، ولم يذكر أنه ضيقه عليهم ، وقد قال بعد هذه الآية : ﴿قُلْ إِن رَّبِّي يَسْطُرُ الرَّقَّ لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ وذكر أن ربك يسطُرُ للرق ويقدر ، ولكن لم يذكر أنه يقدر لمن بسط له ، فقد يقدر له أو لعيره .

وقد ذكر في السورة أيضاً قومًا بسط لهم في رزقهم ثم صيفه عليهم ، وهو ما ذكره عن سبأ فقال : ﴿لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكَنِهِمْ آيَةٌ جَنَّتَابٍ عَنْ يَمِينٍ وَشَمَالٍ كُلُوا مِن رِّزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ بِنْدَةِ طَيِّبَةٍ وَرَبِّ عَمُورٍ﴾ (١١٥) ، وهذا ممن بسط لهم .

ثم قال : ﴿فَاعْرَضُوا فَاَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ لَعْنٍ وَبَدَّلْنَا هُمَ بِجَنَّتَيْهِمْ حَرَّتَيْنِ دَرَاتِي أَكْبَرَ حِمَاطٍ وَأَتْلَى وَشَيْءٍ مِّنْ سَدْرِ قَلِيلٍ (٦) ذَلِكَ حَرِيَّتَاهُم بِمَا كَفَرُوا وَهُمْ سَاحِزِي إِلَّا الْكَفُورَ﴾ (١٦، ١٧) ، فضيق عليهم بعد البسط .

فأولون بسط لهم في رزقهم ولم يقدروا بهم .

والآخرون بسط لهم في رزقهم ثم قلده لهم .

فنست كل آية قسمًا من المذكورين في السورة .

٢ وأما ذكر ﴿مِنْ عِبَادِهِ﴾ في الآية الثانية دون الأولى فقد قيل ، إن الآية الأولى في الكافرين ، وإن الآية الثانية في المؤمنين ، وقوله : ﴿مِنْ عِبَادِهِ﴾ مُشْعِرٌ بذلك

جاء في «البرهان في مشابه القرن» أنه: «لم يذكر مع الأول: (من عباده) لأن المراد بهم لكفار، وذكر مع الثاني لأنهم المؤمنون»^(١).

وجاء في «البحر المحيط» «ومعنى ﴿فَهُوَ يُخَلِّفُهُ﴾ أي: يأتي بالخلف والعوص منه، وكانت لفظة ﴿مِنْ عِبَادِهِ﴾ مشعرة بالمؤمنين، وكذلك الخطاب في: ﴿وَمَا أَنْفَقْتُمْ﴾ يقصد هنا رزق المؤمنين»^(٢).

هذا، من ناحية، ومن ناحية أخرى أن خاتمة كل آية من الآيتين تبين مناسبة كل تعبير لما ورد فيه.

ولأنه حتم الآية الأولى بالكلام على الناس، فقال: ﴿وَلَكِنْ أَكْثَرُ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ والناس عموم

وحتم الآية الثانية بالمؤمنين المنفقين فقال: ﴿وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخَلِّفُهُ﴾ وهم أحص من الأولين فإنهم جزء من الناس.

فسأطق في الآية الأولى مناسبة للعموم، فلم يقل: (من عباده)، وحصص في الآية الثانية مناسبة للخصوص فقال: ﴿مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرْ لَهُ﴾. فناسبة العموم للعموم والخصوص للخصوص.



(١) البرهان (٢٧٩).

(٢) البحر المحيط (٧/ ٢٨٦).

٧٤- قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْحَمُونَ تَحَارَةً لَّن تَوَرَّ﴾ (فاطر ٢٩).

سؤال: لماذا جاء بالفعل ﴿يَتْلُونَ﴾ مضارعاً، وبالفعلين: ﴿أَقَامُوا الصَّلَاةَ﴾ و﴿أَنفَقُوا﴾ ماضيين؟ وما سر هذا الترتيب؟

الجواب: جاء بالفعل ﴿يَتْلُونَ﴾ مضارعاً للدلالة على الاستمرار والتجدد، لأنه أكثر مما بعده، فإن الذين يُقيمون الصلاة لابد أن يتلوا فيها كتاب الله، ولا تكون صلاة من عر تلاوة.

والتلاوة قد تكون في غير الصلاة، ولا يُشترط فيها ما يُشترط في الصلاة من وضوء أو استقبال قبله أو أوقات معينة، فهي أكثر من الصلاة، وهي لأشث أكثر من الإنفاق.

فجاء بالفعل فيها مضارعاً للدلالة على الاستمرار والتجدد.

وأما سر ترتيب في الآية فهو واضح فيه بدرجة من الكثرة إلى القلة، فالتلاوة أكثر من الصلاة كما ذكرنا، والصلاة أكثر من الإنفاق، فإن الصلاة المكتوبة فقط خمسة أوقات في اليوم والليلة عدا السنن، والإنفاق لا يكون بهذه الكثرة.

هذا إضافة إلى أن الصلاة فرض على الجميع بخلاف الإنفاق فإن كثيراً من المصلين لا يجب عليهم إنفاق، وإنما قد تُصرف إليهم بعض وجوه الإنفاق كما هو معلوم.



٧٥ قال تعالى في سورة يس: ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَإِذَا هُمْ مِنَ الْأَجْدَاثِ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يَسْأَلُونَ﴾ (٥١).

سؤال: لماذا قال ﴿مِنَ الْأَجْدَاثِ﴾ ولم يقل: (من القبور)؟

الجواب: الأجداث هي الصور إلا أنه - والله أعلم - كان لاختيار لأحداث ههنا وفي موطنين آخرين سبب، ذلك أن الأجداث جمع جدث وهو القبر، ولفظة (الجدث) قريبة في اللفظ والاشتقاق من لفظ (جدثة) وليس بينهما إلا ردة الهاء في الآخر.

واجدثة صوت الخافر والحف ومضع اللحم^(١).

وصوت خروج الموتى من الأجداث مُسرعين شبيه بصوت الخافر والحف عند السير والعدو، وقد حصّ استعمال الأجداث بحالة الخروج من القبور مُسرعين إلى المحشر.

فإن تعالى: ﴿خَسَعْنَا أَبْصَارَهُمْ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُّنتَشِرٌ﴾ (القدر ٧)، وقال ﴿يَوْمَ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ سِرْعًا كَأَنَّهُمْ إِلَىٰ نُصُبٍ يُوفِصُونَ﴾ (اسرح ٤٣)، ولم يستعملها في حالة السكون بخلاف لفظه: (القبور) فإنه ستعملها في حال السكون والهمود، كقوله تعالى: ﴿قَدْ يَتَسَوَّأُ مِنَ الْأَحْزَةِ كَمَا يَتَسَوَّأُ مِنَ الْأَكْثَرُ مِنْ أَصْحَابِ الْقُبُورِ﴾ (مسحة ١٢)، وقوله: ﴿وَمَا أَنتَ بِمُسْمِعٍ شَيْءٍ فِي الْقُبُورِ﴾ (ناصر ٢٢).

واستعملها في حال بعثتها وبعثة ما فيها فقال ﴿وَإِذَا الْقُبُورُ بُعْثِرَتْ﴾ (ناصر ٤)، وقال ﴿أَفَلَا يَعْلَمُ إِذَا بُعْثِرَ مَا فِي الْقُبُورِ﴾ (العاديات ٩).

ومع ذلك فإن هناك فرقاً بين الخالتين، فقله: ﴿وَإِذَا الْقُبُورُ بُعْثِرَتْ﴾

(١) انظر القاموس للحيد (الحدث)

لا يدل إلا على بعثرة القبور، كما تقول: (بُعِثِرَتِ الصناديق)، و(بعثرت الحاجات)، ولا يدل على السير والحركة، وإن كان المقصود من بعثرة القبور ذلك.

وكذلك قوله: ﴿إِذَا نُعِثِرَ مَا فِي الْقُبُورِ﴾ فإن يدل على بعثرة ما فيها كما تُبعثر الأشياء من مكانها، ولا يدل ذلك من حيث اللفظ إلا على البعثرة، ولا يدل على السير والحركة، بخلاف ما ورد في استعمال الأجدث، فإنها كلها تدل على حركة الخارجين منها والإسراع في السير، فقوله: ﴿فَإِذَا هُمْ مِنَ الْأَجْدَاثِ إِلَى رَبِّهِمْ يَنْسِلُونَ﴾ معناه: يُسرعون.

وكذلك قوله: ﴿يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ سِرَاعًا كَأَنَّهُمْ إِلَى نُصُبٍ يُوفِصُونَ﴾، وقوله: ﴿حَشَعًا أَبْصَارُهُمْ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُنتَشِرٌ﴾ (٧) مُهْطِعِينَ إِلَى الدَّاعِ يَقُولُ الْكَافِرُونَ هَذَا يَوْمَ عَسِيرٍ (نفس ٧، ٨)، أي: مُسرعين.

فإنها كلها تدل على الإسراع في السير، وذلك نظير صوت الحافر والخف عند السير.

وفيها دلالة جمالية أخرى: ذلك أن من معنى (الجدنة) كما ذكرنا مصع اللحم، فكان المعنى إنما يخرجون بعدما أكلتهم الأرض ومضغت لحومهم، وليس في لفظ القبور مثل ذلك المعنى، والله أعلم.



٧٦ لماذا وصف الله سيدنا إسماعيل بأنه غلام حلیم، فقال فيه: ﴿فَبَشِّرْهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ﴾ (الصافات: ١٠١).

ووصف سيدنا إسحاق بأنه غلام عليم، فقال فيه: ﴿وَبَشِّرْهُ بِغُلَامٍ عَلِيمٍ﴾ (الناريا: ٢٨)؟

الجواب: الحليم: هو أن يملك الشخص نفسه عند الغضب، وهو يظهر عند التعامل مع الآخرين والعلاقة بهم.

وقد ذكر الله علاقة إسماعيل بأبيه وبالآخرين في أكثر من موطن في لقرآن الكريم، فقد ذكر بعد قوله ﴿فَبَشِّرْهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ﴾، قوله ﴿فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَىٰ فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانْظُرْ مَاذَا تَرَىٰ قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمُرُ سَتَجِدُنِي إِذَا نَسَاءَ اللَّهِ مِنَ الصَّابِرِينَ﴾ (الصافات: ١٢).

وذكر ساءه النبي مع إبراهيم أبيه، فقال: ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبِّ تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ (البقرة: ١٢٧).

وقد ذكر الله عنه أنه رسول نبي، وأنه كان صادق الوعد، والرسالة إنما تقتضي حسن التعامل مع الآخرين.

وصديق الوعد إنما يكون إذا وعد جهة ما بأمر معين فوفى بها إياه، ووصفه بالصيغة الاسمية يدل على ثبوت هذه الصفة فيه.

قال تعالى: ﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًّا (٥٤) وَكَانَ آمُرًا أَهْلَهُ بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ وَكَانَ عِنْدَ رَبِّهِ مَرْضِيًّا﴾ (مريم: ٥٤، ٥٥).

وهذه الأمور تقتضي علائق اجتماعية وفيها يظهر الحسم أو غيره، فوصفه بالحلم لذلك.

وأما إسحاق فلم يذكر له علاقة بالآخرين، وقد وصفه الله بالعلم، والعلم لا يقتضي مثل تلك العلائق.

ثم إنه قد ذكر الله عنه أنه نبي ولم يذكر أنه رسول، فقال: ﴿وَنَشَرَّنَاهُ بِإِسْحَاقَ نَبِيًّا مِّنَ الصَّالِحِينَ﴾ (الصافات: ١١٢).

وقال ﴿وَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَكُلًّا جَعَلْنَا نَسًا﴾ (مريم: ٤٩)، والسبوة لا تقتضي علائق كالرسالة، فوصفه بالعلم ولم يصفه بالحلم.

ويحسن أن نذكر أنه حين يصف الله نبياً بصفة كمال لا يعني أن الأنبياء الآخرين ليسوا متصفين بمثل هذه الصفة، أو أن هذا النبي لم يتصف بصفة كمال غيرها، فإذا وصف نوحاً مثلاً بأنه كان عبداً شكوراً لا يعني ذلك أن الأنبياء الآخرين ليسوا كذلك، وإذا وصف إبراهيم بأنه أواه مُنِيب لا يعني أن إخوانه من الأنبياء ليسوا كذلك، بل كبهم عباد شاكرون لأتعمه سبحانه منيئون إليه، وإما هو يذكر أمراً أو وصفً يقتضيه السياق أو يكون مشتهراً به أكثر من غيره من الصفات، فوصف كلاً منهما بما يقتضيه سياقه الذي ورد فيه، أو الأمر الذي أُوكِلَ إليه.



٧٧- قال تعالى في سورة (ص): ﴿إِنْ كُلُّ إِلَّا كَذَبَ الرُّسُلُ فَحَقَّ عِقَابُ﴾

(١٤)

وقال في سورة (ق) ﴿كُلُّ كَذَّبَ الرُّسُلُ فَحَقَّ وَعِيدُ﴾ (١٤).

سؤال: لماذا قال في آية (ص): ﴿فَحَقَّ عِقَابُ﴾ وقال في آية (ق): ﴿فَحَقَّ

وَعِيدُ﴾؟

الجواب: إن عقاب أشد من الوعيد ، والصمت المذكورة للكافرين في (ص) أشد مما في (ق) ، وهم في (ص) أشد وأعتى على المسلمين مما في (ق) ، وذكر من عقوبات الأمم السابقة في (ص) ما لم يذكره في (ق) ، وذكر من تهديد الكافرين وتوعدهم في (ص) ما لم يذكره في (ق) فتناسب ذلك أن يذكر في (ص) أشد من ذكره في (ق) .

قال تعالى في (ص): ﴿ص وَالْقُرْآنَ دِي الذِّكْرِ ١﴾ بل الذين كفروا في عرّة وشقاق ٢﴾ كم أهلكنا من قبلهم من قرنٍ فادّوا ولات حين مناص ٣﴾ وعجبوا أن جاءهم مُدِيرٌ مِنْهُمْ وقال الكافرون هذا ساحر كذاب ٤﴾ أحلّ الآلهة إلهاً وحداً إن هذا لشيء عجاب ٥﴾ وانطلق الملائكة مِنْهُمْ أَنْ امْشَوْا وَاصْبِرُوا عَلَى آيَاتِكُمْ إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ يُرَادُ ٦﴾ مَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي الْمِلَّةِ الْآخِرَةِ إِنْ هَذَا إِلَّا اخْتِلَافٌ ٧﴾ أَنزِلْ عَلَيْهِ الذِّكْرُ مِنْ بَيْنَا نَلْهُم فِي شَكٍّ مِّنْ ذِكْرِي بَلْ لَّمَّا يَذُوقُوا عَذَابٌ ٨﴾ أَمْ عَنْدهُمْ حِزَابٌ رَّحْمَةً نَّكَ الْعَزِيزِ الرَّهَابِ ٩﴾ أَمْ لَهُمْ مُتَّكِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَلْيَرْتَقُوا فِي الْأَسْبَابِ ١٠﴾ حَتَّىٰ مَا هُنَاكَ مَهْزُومٌ مِنَ الْأَحْزَابِ ١١﴾ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ ذُو الْأَرْوَاحِ ١٢﴾ رَثُومٌ وَقَوْمُ لُوطٍ وَأَصْحَابُ الْأَيْكَةِ أُولَٰئِكَ الْأَحْزَابُ ١٣﴾ إِنْ كُلُّ إِلَّا كَذَّبَ الرُّسُلَ فَحَقَّ عِقَابُ ١٤﴾ وَمَا يَنْظُرُ هَؤُلَاءِ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً مَّا لَهَا مِنْ فَوَاقٍ ١٥﴾ وَقَالُوا رَبَّنَا عَجِّلْ لَنَا قِطْعًا قَلِيلَ يَوْمِ الْحِسَابِ ١٦﴾ اصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَادْكُرْ عَذَابَ دَاوُدَ ذَا الْأَيْدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ ١٧﴾ (١ - ١٧) .

وقال في ق: ﴿ق وَالْقُرْآنَ لَمَجِيدٌ ۝١﴾ بَلْ عَجَبُوا أَنْ جَاءَهُمْ مُنْذِرٌ مِنْهُمْ فَقَالَ الْكَافِرُونَ هَذَا شَيْءٌ عَجَبٌ ۝٢﴾ أَإِذَا مَسَّا وَكُنَّا تُرَابًا ذَلِكَ رَجْعٌ بَعِيدٌ ۝٣﴾ قَدْ عَلِمْنَا مَا تَنْقُصُ الْأَرْضُ بِهِمْ وَعَلَيْهَا كُنُوزٌ حَبِطٌ ۝٤﴾ بَلْ كَذَّبُوا بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ بِهِمْ فِي أَمْرِ مَرْيَمَ ۝٥﴾ أَفَلَمْ يَنْظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَا سَنَابِلَهُمْ وَنُفِثْنَا مِنْ فُرُوجِ ۝٦﴾ وَالْأَرْضِ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَابْتَنَيْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ ۝٧﴾ تَبْصِرَةً وَذِكْرًا لِكُلِّ عَبْدٍ مُبِيبٍ ۝٨﴾ وَنَزَّلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً مُبَارَكًا فَأَنْبَتْنَا بِهِ حَبَّاتٍ وَخَبَّ الْحَصِيدُ ۝٩﴾ وَالشَّجَرُ نَسْجَةً لَهَا طَلْعٌ نَضِيدٌ ۝١٠﴾ رِزْقًا لِلْعِبَادِ وَأَحْيَيْنَا بِهِ بَلَدَهُ مَيِّتًا كَذَلِكَ الْخُرُوجُ ۝١١﴾ كَذَبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَأَصْحَابُ الرُّسِّ وَتَمُودُ ۝١٢﴾ وَعَادُ وَثَرَعُونَ وَإِخْوَانُ لُوطٍ ۝١٣﴾ وَأَصْحَابُ الْأَيْكَةِ وَقَوْمُ تُعٍ كُلٌّ كَذَّبَ ارْتُسُلَ فَحَقَّ وَعِيدُهُ ۝١٤﴾ ﴿١﴾ (١٤)

ومن النظر في النصين ينصح ما يأتي:

- ١ - أنه وصف الكافرين في (ص) أنهم في عزة وشقاق، فقال: ﴿بَلْ لَيْسَ كُفْرُوًا فِي عِزِّهِمْ وَشِقَاقٍ﴾، ولم يقل مثل ذلك في (ق).
- ٢ وذكر أنه أهلك من المرون المكذبة السابقة الكثير فاستغاثوا وصرخوا فلم ينفعهم ذلك، فقال: ﴿كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ قَرُونٍ فَادُّوا وَلَا تَحِينَ مَعَصِرَ﴾ (٣)، ولم يذكر مثل ذلك في (ق).
- ٣ قال لكافرون في ابرسون في (ص) ما لم يقولوه في (ق)، فقد قالوا في (ص): ﴿هَذَا سَاحِرٌ كَذَّابٌ﴾، ولم يقولوا مثله في (ق).
- قد تقول: ولكن ورد أيضاً في (ق) ذكر التكذيب، فقال: ﴿بَلْ كَذَّبُوا بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ فَهُمْ فِي أَمْرٍ مَرْيَجٍ﴾ (٥).
- فقول إنه ورد في (ص) من التكذيب ما هو أشد إضافة إلى ما ورد من

وصف الرسول بالسحر والكذب، فقالوا: ﴿مَا سَمِعْنَا بهذا فِي الْمِلَّةِ الْآخِرَةِ إِنْ هَذَا إِلَّا اخْتِلَاقٌ﴾ (٧) أُنزِلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ مِنْ بَيْنِنَا لَمَّا فِي شَكٍّ مِمَّنْ دَعَرِي بَلْ لَمَّا يَذُوقُوا عَذَابٌ ﴿٧، ٨﴾، كما سنذكر.

٤ - كان إنكارهم في (ص) أشد مما في (ق)، فقد قالوا ﴿أَجْعَلِ الْآلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا﴾ ولم يقولوا مثله في (ق).

٥ - وكان عجبهم في (ص) أشد مما في (ق)، فقد قالوا في (ق): ﴿هَذَا شَيْءٌ عَجِيبٌ﴾، وقالوا في (ص) ﴿إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عَجَابٌ﴾، بالتوكيد بأن، واللام، والعدول عن صيغة عجب إلى عجاب، وهي أشد عجباً من عجب (١).

٦ - وذكر في (ص) أن الكافرين طلبوا السعي لنصرة آلهم فقال: ﴿وَانْطَلَقَ الْمَلَأُ مِنْهُمْ أَنِ امْشُوا وَاصْرُوا عَلَى آلِهَتِكُمْ إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ يُرَادُ﴾ (٦)، ولم يذكر ذلك عنهم في (ق).

٧ - وكرروا إنكارهم وتكذيبهم في (ص) وأنهم لم يسمعوا بمثل هذا، فقالوا: ﴿مَا سَمِعْنَا بهذا فِي الْمِلَّةِ الْآخِرَةِ إِنْ هَذَا إِلَّا اخْتِلَاقٌ﴾.

٨ - وكرروا إنكارهم أن يكون الله اختار محمداً لرسالته دونهم، فقال على لسانهم ﴿أُنزِلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ مِنْ بَيْنِنَا﴾ (٨)، ولم يذكر مثل ذلك في (ق).

٩ - توعدهم ربنا في (ص) وهددهم بقوله ﴿بَلْ لَمَّا يَذُوقُوا عَذَابٌ﴾، والنهي - "لما" - يعني أنهم لم يذوقوا عذابه إلى الآن، وهو متوقع أن يذوقوه، وهو تهديد لهم وتوعد بارتقاب العذاب، وبم يقل مثل ذلك في (ق).

(١) نظر كتابا (معاني الأبنية في العربية) (٩٨-١٠٠)

١ - وذكر في (ص) أن حندهم سهزم فقال: ﴿جَدُّ مَا هُنَالِكَ مَهْزُومٌ مِنَ الْأَحْزَابِ﴾ (١١).

«وهذا وعد من الله سبحانه نبيه ﷺ بالنصر عليهم ولطفهم بهم وقد وقع ذلك والله الحمد في يوم بدر، وفيما بعده من مواعين الله» (١).

١١ - ذكر في السورتين طرقاً من الأمم السابقة المكذبة غير أنه أكد التكذيب في (ص) أكثر مما أكد في (ق).

فقد قل في (ص): ﴿إِنْ كُلُّ إِلَّا كَذَبَ الرُّسُلُ فَحَقَّ عِقَابِ﴾ (١٤).

وقال في (ق): ﴿كُلُّ كَذَبَ الرُّسُلِ فَحَقَّ وَعِيبِ﴾ (١٤)، فزاد التكذيب توكيداً في (ص) بأسلوب القصر فقال ﴿إِنْ كُلُّ إِلَّا كَذَبَ الرُّسُلِ﴾، ولم يقل مثل ذلك في (ق).

هذا صراحة إلى أنه وصف فرعون في (ص) بما لم يصفه في (ق). فقال: ﴿وَفِرْعَوْنُ ذُو الْأَوْتَادِ﴾ ولم يصفه بذلك في (ق).

وما قيل في وصف ذي الأوتاد أنه كاتب له أوتاد يعذب بها الناس، وذلك أنه إذا غصب على أحد وتد يديه ورجليه ورأسه على الأرض وقيل غير ذلك (٢).

١٢ ثم توعدهم في (ص) بعذاب يأخذهم لا يهدهم، فقال: ﴿وَمَا يَنْظُرُ هَؤُلَاءِ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً مِمَّا نُمِيطُ﴾ (١٥)، أي: «ما لها من توقف مقدار هواق، وهو ما بين حلتي الخالب ورضعتي الراضع» (٣)، ولم يذكر مثل ذلك في (ق).

(١) فتح القدير (٤/٤١٠)، وانظر تفسير ابن كثير (٤/٢٨)، الكشف (٣/٥).

(٢) انظر فتح القدير (٤/٤١١)، ابن كثير (٤/٥٠٨)، الكشف (٣/٥)، البحر المحيط (٣٨٦، ٧).

(٣) الكشف (٣/٥)، وانظر لبحر المحيط (٧/٢٨٧).

١٣ - وذكر في (ص) أن هؤلاء المشركين دعوا على أنفسهم بتعجيل العذاب والعقوبة إمعاناً في الكذب، فقال: ﴿وَقَالُوا رَبَّنَا عَجِّلْ لَنَا قِطْعًا قَبْلَ يَوْمِ الْحِسَابِ﴾ (١٦).

جاء في تفسير ابن كثير: ﴿وَقَالُوا رَبَّنَا عَجِّلْ لَنَا قِطْعًا قَبْلَ يَوْمِ الْحِسَابِ﴾ هـ إنكار من الله تعالى على المشركين في دعائهم على أنفسهم تعجيل العذاب فإن المطر هو الكتاب، وقيل: هو الخط والنصيب.

إقال غير واحد من المفسرين: سألوا تعجيل العذاب - كما قالوا ﴿يَوْمَ نَبْعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَجُلًا يَلْقَاهُمْ فِي هَؤُلَاءِ نَارِ الْهَدْيِ هَذَا هُوَ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِكَ فَأَمُطِرْ عَلَيْنَا حِجَابًا مِنَ السَّمَاءِ أَوْ اثْبِتْنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ (الأعراف: ٣٢-٣٣)، ولم يذكر مثل ذلك في (ق).

١٤ - أمر رسوله في (ص) بالصبر على ما يقولون، فقال ﴿اصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ﴾ (١٧)، ولم يذكر مثل ذلك في (ق) في هذا السياق.

فاتضح أن موقف الكافرين في (ص) أشد وأعنى فاستحقوا الرعدة في التهديد فقال: ﴿فَحَقَّ عِقَابٌ﴾ الذي هو أشد من الوعيد، فناسب كل سياق ما ورد فيه.

ثم إنه ناسب كل تعبير مكانه من جهة أخرى فقد قال في (ص): ﴿إِنْ كُلُّ لُغَةٍ لَكُذِّبٌ﴾ فكان أسلوب الكذب في (ص) أشد وأكد لأنه جاء بأسلوب القصص فاستحقوا من العقوبة ما هو أشد مما هو في (ق).

١٥ - وإضافة إلى ذلك أن كلمة ﴿وَعِيدٌ﴾ وردت في (ق) أربع مرات ولم ترد في (ص)، بل هي أكثر سورة في القرآن وردت فيها هذه اللفظة. وأن كلمة (العقاب) لم ترد في (ق)، فناسب كل تعبير مكانه من جهة أخرى، والله أعلم.

(١) تعبير ابن كثير (٤/٢٩)، وانظر الكتاب (٣/٦).

٧٨- قال تعالى في سورة (ص) ﴿أَصْرُ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَاذْكُرْ عُنْدَنَا دَاوُدَ إِذْ قَالَ إِنَّهُ أَوَّابٌ﴾ (١٧).

وقال في سورة الذاريات: ﴿وَالسَّمَاءَ تَنبَاهَا بِأَيِّدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ﴾ (٤٧).

سؤال: لماذا رُسمت ﴿الأيدي﴾ في سورة (ص) بياء واحدة، ورُسمت في سورة الذاريات (بأيدي) بياءين مع أنهما كلمة واحدة، ولفظ واحد؟

الجواب: من العلوم أن رسم المصحف لا يُفس عليه، ولكن مع ذلك كان في هذا الرسم جانباً بيانياً.

إن معنى (الأيدي) هو القوة في لآيتين، لكن لما كانت قوة الله زائدة على قوه دودريد في الرسم.

ويستوع ذلك أيضاً أن الله سبحانه عبّر عن نفسه بصمير الجمع للتعظيم، فقال ﴿تَنبَاهَا﴾ وقار: ﴿وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ﴾ بخلاف كلامه على داود، تناسب جمع ياءين في موطن الجمع، والإفراد في موطن الإفراد علماً بأن هذا النوع من الرسم كان جارياً في تلك الوقت أعني زيادة حرف علة في الرسم.

فدسب كل رسم موضعه، وهو من لطيف الرسم، والله أعلم.



٢٩- قال تعالى في سورة الزمر: ﴿فَبَشِّرْ عِبَادَ (١٧) الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُولَئِكَ هُمْ أُولُوا الْأَلْبَابِ﴾ (١٨، ١٧).

وقد في سورة الفجر: ﴿يَا أَيُّهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ (٢٧) ارْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً (٢٨) فَادْخُلِي فِي عِبَادِي (٢٩) وَادْخُلِي جَنَّتِي﴾ (٢٧ - ٣٠).

سؤال: ماذا قال في فاصلة آية الزمر: ﴿فَبَشِّرْ عِبَادَ﴾ فحذف ياء التكلم في كلمة ﴿عِبَادَ﴾. وقال في فاصلة آية الفجر: ﴿فَادْخُلِي فِي عِبَادِي﴾ فذكر ياء التكلم فيها؟

الجواب: إن هذا يدخل فيما ذكرناه في كتابنا (بلاغة الكلمة في التعبير القرآني) من أن ما ذكرت فيه الياء أوسع وأشمل مما حُلِفت منه الياء^(١). وذلك أن لعباد في آية الفجر أكثر منهم في آية الزمر، فقد خصصهم في آية الزمر بقوله ﴿لَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ﴾ فهم لم يكتفوا بالحسن بل يتبعون الأحسن، وأطلقهم في آية الفجر في عموم عباده لذين يدخلون الجنة ولا شك أن فيهم من لم يكن يتبع أحسن القول.

فلما كثر العباد في آية الفجر زاد في البناء مناسبة لزيادة العباد. ولما كان العباد في آية الزمر حزراً ممن ذكر في آية الفجر اقتطع من الكلمة لتناسب قلة البناء قلة العباد.

ومما حسن ذلك أيضاً مناسبة كل فاصلة للفواصل التي وردت معها، فإن فاصلة آية الزمر تقع ضمن فواصل شبيهة بهذه الفاصلة، نحو: ﴿أُولُوا الْأَلْبَابِ﴾ و: ﴿مَنْ فِي الْآرِ﴾ ونحوها^(٢).

(١) بلاغة الكلمة في التعبير القرآني (٣١) وما بعدها، وانظر (ص ٣٧)

(٢) انظر بلاغة الكلمة (ص ٣٧)

وإن فاصلة آية الفجر مناسبة لفاصلة الآية بعدها ، وهي قوله : ﴿وَادْخُلِي جَنَّتِي﴾ بإضافة الجنة إلى ياء المتكلم ، فناسب أن يظهر ضمير المتكلم مع العباد ، كما ظهر مع الجنة ، فالعباد عبادهم ، والجنة جنتهم ، وعباده يدخلون جنتهم .



٨٠- قل تعالى في سورة غافر: ﴿لِيُنذِرَ يَوْمَ التَّلَاقِ (١٥) يَوْمَ هُمْ بَارِزُونَ لَا يَخْفَىٰ عَلَى اللَّهِ مِنْهُمْ شَيْءٌ لِّنَّ الْمُلْكَ الْيَوْمَ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ (١٦) الْيَوْمَ نُجْزِي كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ لَا ظُلْمَ الْيَوْمَ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ (١٧)﴾.

سؤال: لماذا قال: ﴿التَّلَاقِ﴾ فحذف الياء ولم يقل: (التلاقي)؟

الجواب: من الطواهر التعبيرية في القرآن الكريم أنه إذا كان لحدث دون الاكتمال اقتطع من حروفه، وإذا كان حدثان بعضهما أطول من بعض، أو كان وقوعه أكثر اقتطع مما هو أقصر، وقد صرنا في كتابنا «بلاغة الكلمة في التعبير القرآني» أمثلة لذلك، كما في نحو: ﴿اسْتَطَاعُوا﴾ و: ﴿اسْتَطَاعُوا﴾، و: ﴿تَرَلُّ﴾ و: ﴿تَتَرَلُّ﴾، و: ﴿تَوَفَّاهُمْ﴾ و: ﴿تَتَوَفَّاهُمْ﴾ وغيرها^(١).

وفي هذا اليوم -أي يوم القيامة- ليس التلاقي كما في الدنيا من حيث أطول وتبادل الحديث، فإن المتلاقيين لا يُقْضَوْنَ في الحديث وبث الأشواق، ولا يحدث بعضهم بعضاً عما جرى لكل منهم في الفراق الطويل بينهما، فإن هذا اليوم إنما هو يوم الفرار لا كبر كما قال تعالى: ﴿يَوْمَ يَهْرُؤُ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ (٣٤) وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ (٣٥) وَصَاحِبَتِهِ وَبَنِيهِ (٣٦) لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُعْبِيهِ﴾ (عسر ٣٤، ٣٥)، ولا يسأل أحد صاحبه عما جرى له كما أخبر ربنا بذلك، فقال: ﴿وَلَا يَسْأَلُ حَمِيمٌ حَمِيمًا﴾ (سارج ١)، أي: لا يسأل قريب قريباً فكيف بالأبعد؟

وكما قال أيضاً: ﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ فَلَا أَنْسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَاءَلُونَ﴾ (الزمر ١٠١)

ومن هنا يتبين أن التلاقي يوم القيامة ليس كما في الدنيا من حيث بث المشاعر، وسمع الحديث، وطول المكث بينهم، وإنما هو فرار من غير
(١) انظر (بلاغة في التعبير لقرآني) (ص ١١) وما بعدها.

مُساءلة، فإن لكل امرئ شأنًا يغنيه حتى يقضي الله بين عباده، وتُجزى كل نفس بما كسبت.

فاقتطع من الحدث ليدل على أنه ليس حدثًا مكتملاً يحري فيه ما يجري مع المتلاقين في الدنيا.

هذا علاوة على مناسبة الحذف لفواصل الآيت، والله أعلم.



٨١- قال تعالى في سورة الشورى: ﴿وَمَا أَصَابَكُمْ مِّنْ مُّصِيبَةٍ فَمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ﴾ (٣).

وقال في السورة نفسها في الآية ٤٨: ﴿وَأَن تُصِيبَهُمْ مُّسِيَّةٌ بِمَا قَدَّمْتُمْ أَيْدِيهِمْ فَإِنَّ الْإِنسَانَ كَفُورٌ﴾.

سؤال: لماذا قال في الآية الأولى: ﴿فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ﴾، وقال في الآية الأخرى: ﴿بِمَا قَدَّمْتُمْ أَيْدِيهِمْ﴾ فذكر الكسب في الآية الأولى، وذكر التقديم في الآية الأخرى؟

الجواب: لقد سبق الآية الأولى الكلام على الرزق، فقال: ﴿وَلَوْ بَسَطَ اللَّهُ الرِّزْقَ لِعِبَادِهِ لَعُوقُوا فِي الْأَرْضِ وَلَكِن يَنْزِلُ بِقَدَرٍ مَّا يَشَاءُ إِنَّهُ بِعِبَادِهِ خَبِيرٌ بَصِيرٌ﴾ (٢٧)، والرزق م مكسب فناسب ذكر الكسب.

وليس السياق كذلك في الآية الأخرى. وإنما السياق في الكلام على ليوم آخر، فقد قال: ﴿اسْتَجِيبُوا لِرَبِّكُمْ مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِي يَوْمٌ لَّا مَرَدَّ لَهُ مِنَ اللَّهِ مَا يَكُم مِّنْ مَّخْرَجٍ يَوْمَئِذٍ وَمَا لَكُم مِّنْ نَّكِيرٍ﴾ (٤٧).

فناسب ذكر ما قدموه من أعمال، فناسب كل تعبير مكانه الذي ورد فيه. ونظير ذلك قوله تعالى في سورة الروم: ﴿طَهَّرَ الْقَسَادُ فِي السَّيِّءِ وَالنَّحْرُ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ﴾ (٤١).

فذكر لكسب لما تقدمها ذكر الرزق والأموال، فقال: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ (٢٧) فَاتِ دَا الْقُرْبَى حَقَّهُ، وَلِلسَّكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ ذَلِكَ خَيْرٌ لِلَّذِينَ يُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ وَأُوْنِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (٣٨) وَمَا آتَيْتُم مِّن رَّبَا لِّرَبْوَةٍ فِي أَمْوَالِ النَّاسِ فَلَا يَرَوْنَ عِنْدَ اللَّهِ وَمَا آتَيْتُم

مَنْ رِكَاتٍ يُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُضْعِفُونَ ﴿٢٩﴾ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ﴿٣٧-٤٠﴾.

في حين قال في السورة نفسها: ﴿وَإِذَا أَذَقْنَا النَّاسَ رَحْمَةً فَرِحُوا بِهَا وَإِنْ تُصِيبُهُمْ سَيِّئَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ إِذْ هُمْ يَقْنَطُونَ﴾ (الروم: ٣٦)، فقال: ﴿بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ﴾ فذكر التقديم لما لم يكن السياق في ذكر الرزق، وإما تقدمها ذكر الضر والرحمة، فقال: ﴿وَإِذَا مَسَّ النَّاسَ ضُرٌّ دَعَوْا رَبَّهُمْ مُنِيبِينَ إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا أَذَقْنَاهُمْ مِنْهُ رَحْمَةً إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ﴾ (٣٣)، فناسب كل تعبير مكانه الذي ورد فيه في كل موضع.



٨٦ قال سبحانه في سورة الشورى ﴿لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ يَهْدُ مَنْ يَشَاءُ، إِنَّا وَإِلَيْهِ لَمُنْ يَشَاءُ الذُّكُورَ (٤٩) أَوْ يَرْجِعُهُمْ ذَكَرًا وَإِنَا نَا وَجَعَلُ مَنْ يَشَاءُ عَقِيمًا إِنَّهُ عَلِيمٌ قَدِيرٌ﴾ (٤٩، ٥٠).

سؤال:

١ - لماذا قدّم الإناث على الذكور، ونكر الإناث، وعرف الذكور في الآية التاسعة والأربعين؟

٢ - لماذا جمع الذكر على ذكور في الآية الأولى، وعلى (ذكران) في الآية التي قبلها؟

الجواب:

١ - إن الجواب عن السؤال من أكثر من وجه:

منها: أنه تردد في السورة في أكثر من موضع ما لا يرغب فيه الإنسان ولا يشاءه، وذلك نحو قوله تعالى: ﴿وَمَا أَصَابَكُمْ مِّنْ مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَن كَثِيرٍ﴾ (٣)، وقوله: ﴿وَحَزَاءٌ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٍ مِّثْلُهَا﴾ (٤).

وقوله: ﴿وَلَمَّا صَرَ وَفَصَّرَ إِنَّ ذَلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾ (٤٣)، وواضح أن لصبر ههنا على المكروه ومعفرة ما يسوؤه من الأمور.

وقوله: ﴿وَإِنَّا إِذَا أَذْنَأْنَا الْإِنْسَانَ مِنَّا رَحْمَةً فَزَحَّ بِهَا وَإِنْ تُصِيبُهُمْ سَيِّئَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ فَإِنَّ الْإِنْسَانَ كَفُورٌ﴾ (٤٨).

وقوله: ﴿لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ يَهْدُ مَنْ يَشَاءُ إِنَّا وَإِلَيْهِ لَمُنْ يَشَاءُ الذُّكُورَ﴾ (٤٩).

فقدّم ما لا يرغب فيه أهل الجاهلية آنذاك، وهو متسق مع ما تردد في السورة كما ذكرنا

ثم إن سياق الكلام في أن الله فعل ما يشاء لا ما يشاؤه الإنسان ويهواه، فقد قال: ﴿يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ﴾ (النورى: ٤٩)، أي ما يشاؤه هو، لا ما يشاؤه الإنسان، وذلك لحكمة أرادها سبحانه.

جاء في «روح المعاني» «ولم ذكر سبحانه إذاقة الإنسان الرحمة، وإصابته بضدها أتبع جن وعلا ذلك أن له سبحانه الملك، وأنه تعالى يقسم العمة والبلاء كما شاء بحكمته تعالى البالغة لا كما شاء لإنسان بهواه»^(١).

ثم إن هذا التقديم ناسب ذكر السلاء في الآية التي سبقت هذه الآية وهو قوله: ﴿وَإِنْ تَصْهَمُ سَبَّةً بِمَا فُتِمَتْ أَيْدِيهِمْ فَإِنَّ الْإِنْسَانَ كَفُورٌ﴾ (٤٨).

ومحىء الإناث بما يُسئ العرب آنذاك، وهو ما يكرهونه لأنفسهم كما أخرج عنهم سبحانه: ﴿وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِالْأُنْثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ﴾ (٥٨) يتوارى من القوم من سوء ما بُشِّرَ بِهِ أُمُّسِكُهُ عَلَىٰ هُونٍ أَمْ يَدُسُّ فِي التُّرَابِ أَلَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾ (الحج: ٥٨، ٥٩)، فجعلها في سياق ما يصيبهم مما يكرهون.

وقيل: قد يكون التقديم توصية برعايتهن لضعفهن وإن إحسان الترية إليهن سترٌ من النار كما في الحديث^(٢).

أما تعريف الذكور وتكثير الإناث، فقد قيل: إنه «حاء لفظ الذكور معرّفاً ليشير بما تُعطيه الألف واللام من العهدية- إلى حالهم من الفضل، ودرجة التقديم على الإناث، فكأنه في قوه أن لو قيل: الذين من شأنهم، فتوازن تقديم الإناث وتعريف الذكور، فقدّم ذكر الإناث لإرغام العرب، وعرف الذكور لشرف المنزلة»^(٣).

(١) روح المعاني (٢٥/٥٣).

(٢) انظر روح المعاني (٢٥/٥٤).

(٣) ملاء التأويل (٢/٨٤٧).

وقيل: إن التعريف على أنه المعروف احاصر في قلوبهم أول كل حاطر،
وإنه الذي عمدوا عليه منهم^(١).

ثم إن لعرب يكون عن النساء ولا يذكرون أسماءهن صوتاً لهن بخلاف
الذكور، فالذكور معارف عند العرب مشاهير عندهم، بخلاف الإناث، فإنهن
مصونات مستورات لا يبرزن ولا يُعرصن، فعرف ونكر بحسب ما جرت العادة
عندهم من استحسان كل جنس، والله أعلم.

٢ أما اجواب عن السؤال الثاني، وهو أنه لماذا جمع الذكر مرة على
الذكور، ومرة على ذكرا؟ فهذا له سببه، فإن القرآن الكريم يستعمل
(فُعْلان) في الجمع للقلة النسبية

وعلى هذا حيث ورد هذان الجمعان في القرآن كان الذُكران أقل من
الذكور. وفي آية هذه قال تعالى: ﴿يَهَبُ لِمَن يَشَاءُ إِنَاثًا وَيَهَبُ لِمَن يَشَاءُ ذُكُورًا
(٤٩) أَوْ يَرْبِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَاثًا وَيَجْعَلُ مَن يَشَاءُ عَاقِبَةً﴾ (الشورى: ٤٩، ٥٠).
«فاستعمل الذكور للكثرة، والذكور للقلة النسبية فإن العادة أنه إذا أفرد
شخص بالذكور كانوا أكثر من أن يقرنهم بالإناث، فإن المرأة إذا ولدت ذكوراً
فقط كان عدد الذكور أكثر في العادة من أن تلد ذكراً وإناثاً.

وقال تعالى: ﴿أَتَأْتُونَ الذُّكْرَانَ مِنَ الْعَالَمِينَ﴾ (النساء ١٦٥)، وقال: ﴿وَقَالُوا
مَا فِي بَطُونِ هَذِهِ الْأُنْثَى خَالِصَةٌ لِّدُكُورِنَا﴾ (الأنعام ١٣٩)، فاستعمل الذكران للقلة
النسبية، فإن الموصوفين بهذه الصفة لا يأتون جميع الذكور، وإما يأتون صفّاً
خاصّاً منهم، ألا ترى أنهم لا يأتون الأطفال والنساء، وإنما يأتون من
تستبيحهم نفوسهم المنكوسة من الذكور، وهم أقل من مجموع الذكور بخلاف
قوله تعالى ﴿خَالِصَةٌ لِّدُكُورِنَا﴾ فإنه يشمل جميع لذكور بلا استثناء. والله
أعلم^(٢).

٨٣ - قال تعالى في سورة الزخرف: ﴿يَلْ قَالُوا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَارِهِم مُّهُتَدُونَ﴾ (٢٢).

وقد في الآية التي تليها: ﴿وَكَذَٰلِكَ مَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ فِي فِرْعَوْنٍ مِنْ نَذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَارِهِم مُّقْتَدُونَ﴾ (٢٣).

سؤال: لماذا قال في الآية الأولى: ﴿وَإِنَّا عَلَىٰ آثَارِهِم مُّهُتَدُونَ﴾، وقال في الآية التي تليها: ﴿وَإِنَّا عَلَىٰ آثَارِهِم مُّقْتَدُونَ﴾؟

الجواب: إن الآية الأولى في كسار العرب المعاصرين للرسول ﷺ، وقد ذكر عنهم أموراً تتعلق بمعتقداتهم في الملائكة والعبادات ومحتاجتهم في ذلك.

فقد قال عنهم في سياق هذه الآيات: ﴿نَهَمَ قَالُوا عَنْ رَبِّهِمْ سُبْحَانَهُ: إِنَّهُ اتَّخَذَ مَا يَخْلُقُ بَنَاتٍ يَعْبُونَ الْمَلَائِكَةَ، فَقَالَ لَهُمْ سُبْحَانَهُ: ﴿أَمْ اتَّخَذَ مَا يَخْلُقُ بَنَاتٍ وَأَصْفَاكُمْ بِالْبَنِينَ﴾ (الزخرف ١٦).

وقال داكراً معتقدهم في الملائكة: ﴿وَجَعَلُوا الْمَلَائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبَادُ الرَّحْمَنِ إِنَاثًا أَشَهِدُوا خَلْقَهُمْ سَتُكْتَبُ شَهَادَتُهُمْ وَيُسْأَلُونَ﴾ (١٩)، وحكى عنهم ما كانوا يعتقدون في المشيئة، فقال: ﴿وَقَالُوا لَوْ شَاءَ الرَّحْمَنُ مَا عَبَدْنَاهُمْ﴾ (٢).

ورده عليهم سبحانه بعدم العلم قاتلاً: ﴿مَا لَهُمْ بِدَلِيلٍ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا سَخِرُون﴾ (٢٠) نافية عنهم العلم بذلك.

وهذه مما يحتاج إلى الهدى، ولا يُقال تخرساً وظناً، ثم قال سبحانه ناذياً عنهم أسباب الهدى والعزم: ﴿أَمْ آتَاهُمْ كِتَابًا مِنْ قَبْلِهِ هُمْ بِهِ يُسْتَمْسِكُونَ﴾ ٢، ولما كنت هذه الأمور تحتاج إلى الهدى احتجوا بأنهم مهتدون بأنار تائبهم، فقلوا: إنهم وجدوا آباءهم على ملة أو دين، وهم مهتدون على آثارهم

وأما الآية الأخرى فهي هي الأمم لسابقة فقد قال: ﴿وَكَذَلِكَ مَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ فِي قَرْيَةٍ مِنْ نَذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَارِهِمْ مُّقْتَدُونَ﴾ (الزخرف: ٢٣).

وهم يذكر عنهم معتقداً ولا احتجاجاً ولا سبباً من أسباب العلم والهدى. ولم يقتض ذكر الهدى.

هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى أنه ذكر قول مترفيهم، والمترفون لا تعنيهم أمور العبادات ولا يعنيهم الهدى، ولم يذكر القرآن الذير تُترفوا والمترفين بحير بل حيث ذكّرهم ذكّرهم معاندين مُعرّضين مُكذّبين مُحاربين لله ورُسله، لا يعنيهم شيء من أمور الهدى، فلم يذكر الهدى، وإنما ذكروا أنهم مُتَعَوِّضُونَ لآبائهم مُقْتَدُونَ بهم على أمة حال، والاعتناء هو الاتباع على أمة حال سواء كان القدوة صلاً أم مهتلياً، جاء في «المفردات في غريب القرآن»: «الأسوة والإسوة كالقدوة والقدوة، وهي الحالة التي يكون للإنسان عليها في اتباع غيره إن حسناً وإن قبيحاً، وإن ساراً وإن ضاراً، ولهد قال تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾ (الاحزاب ٢١) هو صفها بالحسنة» (١).

جاء في «درة التنزيل» في سبب الاختلاف بين هاتين لفاصليين في الآيتين المذكورتين من سورة الزخرف: «الجواب أن يقال: إن الأولى حكاية قول الكفار الذين حاجوا النبي ﷺ، فقال مُجبراً عنهم: ﴿أَمْ آتَيْنَاهُمْ كِتَابًا مِنْ قَبْلِهِ﴾ أي من قبل القرآن ﴿فَهُمْ بِهِ مُسْتَمْسِكُونَ﴾ (الاحزاب ٢١) أي كتاباً فيه حجة بصحة دعواهم فهم متعلقون به. . .

وقال تعالى: لا حجة لهم لكنهم قالوا وجدنا آباءنا على ملة وطريقة في الدين معصودة، ونحن في اتباع آثرهم على هداية، فادّعوا الاهتداء بسلوكهم سبيل آبائهم.

(١) «المفردات في غريب القرآن» (أسا)

وأما الآية الثانية فإنها خبر عن الأمم لكافة بأنبيائها، قال: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ فِي قَرْيَةٍ مِّنْ نَّذِيرٍ﴾ (الحرف: ٢٣) إلا قل ذوو النعم والاموال من أُنهب قريباً من قول هؤلاء الذين في عصرِكَ يا محمد، فكأن أقصى ما احتجوا به أن قالوا: إن وجدنا آباءنا على أمة فاقتدينا بهم، ولم يؤكد الخبر عنهم بدعواهم الاهتداء كما أكده عمن كان في عصره من يدعيه لبطلان قول الجميع^(١)

وجاء في «ملاك التأويل» في هاتين الآيتين: «وجه ذلك والله أعلم أن ما تقدم الآيه الأولى حكيه قول كبار العرب المعاصرين لرسول الله ﷺ والسامعين منه القرآن المسمى هدى في عمر موضع كقوله تعالى: ﴿هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾ (المرة ٢) وقوله: ﴿هَذَا هُدًى﴾ (حذية ١١)، وقوله: ﴿هُدًى وَرَحْمَةً لِّلْمُحْسِنِينَ﴾ (لمد ٣) فلما دعاهم ﷺ ليهتدوا بهديه قبلوا دعاءه بقولهم بهم مهتدون، وإيهم وحدوا آباءهم على أمة، وأن ما وحنوهم عليه هدى، فقلوا ﴿إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ﴾ (الحرف ٢٢) أي على دين وملة ﴿وَوَنَّا عَلَىٰ آثَارِهِم مُّهْتَدُونَ﴾ كهديسهم فلما دعاهم إلى الهدى زعموا أنهم على هدى، وهذا آيين تناسب.

وأما الآية الثانية فحكاية أقوال قرون مختلفة، وقد ذكر تعالى من قول بعضهم ﴿فَالَوْ أَنَاءَآ لَهَا عَادِينَ﴾ (الأناء: ٥٣) وفي موضع: ﴿كَذَلِكَ يَفْعَلُونَ﴾ (شعر: ٧٤) فهذا اتباع مجرد من ادعى كونه هدى أو غير هدى، فهو اعتراف بقيد واتباع بعظيم لقص آباءهم من غير ادعاء شبهة، فلم يكن ليطابق هذا إلا الوارد من قوله تعالى عنهم: ﴿وَإِنَّا عَلَىٰ آثَارِهِم مُّفْتَدُونَ﴾ (الحرف: ٢٣)، فجاء كل على ما ينسب والله أعلم^(٢).

(١) درة تسريل (٤٣٤)

(٢) ملاك التأويل (٨٥١ ٨٥٢)

٨٤ - سؤال: لماذا رُسِمت (قال) في الآية الرابعة والعشرين من سورة الزخرف ﴿قُلْ﴾ من دون رسم الألف، وذلك في قوله تعالى: ﴿قُلْ أُولُو حِجَّتِكُمْ بَاهُتَيْنِ مِمَّا وَجَدْتُمْ عَنْهُ آبَاءَكُمْ﴾. ورُسِمت في الآية السادسة والعشرين من السورة نفسها بـ ﴿قَالَ﴾ برسم الألف وذلك في قوله: ﴿وَوَدَّ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ...﴾^(١)

الجواب: إن ذلك يتعلق برسم المصحف أولاً، ورسم المصحف لا يُقاس عليه، ثم إن ذلك لأمر آخر وهو أن في ﴿قَالَ﴾ في الآية الرابعة والعشرين قراءتين متواترتين قراءة بالفعل الماضي (قال)، وهي قراءة ابن عامر وحفص عن عاصم، وقراءة بفعل الأمر (قل) وهي قراءة الباقيين من العشرة^(١) فكلتا القراءتين متواترة فُرسِمت مما تصح فيه القراءتان إشارة إلى أن هاتين القراءتين وردتا عن رسول الله ﷺ. ومعلوم أن من أركان القراءة لصحيحة موافقة الرسم العثماني.



٨٥ - قال تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ إِلَهٌ وَفِي الْأَرْضِ إِلَهٌ﴾ (لحرف ٨٤).

سؤال: لماذا كرر كلمة ﴿إِلَهٌ﴾ ولم يقل مثلاً: (وهو الذي في السماء والأرض إله) أو: (وهو الذي في السماء وفي الأرض إله)؟

الجواب: لو قال (وهو الذي في السماء والأرض إله) لاحتل المعنى أنه هو الإله المشترك فيهما، وقد يكون فيهما آلهة غير مشتركة، فقد يكون للمعنى أن في اسماء إلهًا أو آلهة خاصة بها ليست لأهل الأرض، وقد يكون في الأرض إله أو آلهة خاصة ليست لأهل اسماء، ولكن الإله المشترك فيهما هو الله، وهذا المعنى لا يصح أن يُراد.

(١) انظر نشر في لغزات العشر (٢/ ٣٦٩)

أما لو قلنا : (وهو الذي في السماء وفي الأرض إله) فإن ذلك لا ينص على أنه إله في السماء ، بل على أنه إله في الأرض ، إذ إن المعنى سيحتمل أن يكون . (وهو الذي في لسماء) (وفي الأرض إله) فإن ذلك يدل على أنه في السماء ، وهو في الأرض إله ، كما تقول . (هو في إدارة المعمل ، وهي كلية الآداب عميد) فإن ذلك لا يعني أنه عميد في إدارة المعمل .

أما قوله . ﴿وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ إِلَهٌُ وَفِي الْأَرْضِ إِلَهٌُ﴾ فهو نص في أنه إله في السماء لا إله غيره ، وفي الأرض هو إله لا إله غيره ، وهو المحي المراد وقيل أيضًا إنه كرر ذلك لأن عبودية أهل اسماء تختلف عن عبودية أهل الأرض (١) .



(١) انظر روح المعاني (١٠٧/٢٥) .

٨٦- قل تعالى في سورة الذاريات ﴿وَفِي مُوسَى إِذْ أَرْسَلْنَاهُ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ (٣٨) قَتَلُوا بِرُكْبِهِ وَقَالَ سَاحِرٌ أَوْ مُجْنُونٌ﴾ (٣٨، ٣٩).

وقال في هذه السورة أيضاً: ﴿كَذَلِكَ مَا أَتَى الدِّينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا قَالُوا سَاحِرٌ أَوْ مُجْنُونٌ﴾ (٥٢).

سؤال: لماذا رُسمت كلمة (ساحر) في الآية التاسعة والثلاثين ﴿ساحر﴾ بلا ألف. ورُسمت في الآية الثانية والخمسين ﴿ساحر﴾ بالألف؟

الجواب: إن كلمة (ساحر) رُسمت في المصحف بأكثر من صيغة. فالمعروفة (رأى) رُسمت بالألف حيث وقعت، وذلك نحو قوله تعالى ﴿وَلَا يَبْلُغِ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَى﴾ (طه ٦٩).

وهذه الصورة لا تعنيا وهي صورة لم يختلف بعضها عن بعض، فلا تكون مثار سؤال، وأما المكرة فرُسمت من دون ألف حيث وقعت أي (ساحر) إلا في قوله تعالى في الذاريات: ﴿كَذَلِكَ مَا أَتَى الدِّينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا قَالُوا سَاحِرٌ أَوْ مُجْنُونٌ﴾، والسؤال بما هو عن سبب الاختلاف في رسم هذه الكلمة هنا عن سائر الآيات، ومنها آية الذاريات في قوله ﴿وَفِي مُوسَى إِذْ أَرْسَلْنَاهُ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ (٣٨) قَتَلُوا بِرُكْبِهِ وَقَالَ سَاحِرٌ أَوْ مُجْنُونٌ﴾.

والجواب: إن كلمة (ساحر) الأولى إما قلت في موسى عليه السلام وهو شخص واحد.

أما الآية الثانية فهي في الأمم السابقة وقد قالوا في كل واحد من رسلهم ﴿ساحر﴾، فالآية الأولى في رسول واحد، أما الآية الأخرى فإنها في رسل كثيرين، فمما كثر الرسل وراودوا زيد في الرسم مناسبة للريادة

قد تقول ولكنها رُسِمَت في قوله تعالى: ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ ائْتُونِي كُلَّ سِحْرِ عِلِيمٍ﴾ (يونس: ٧٩)، وقوله: ﴿يَا تُؤْتِكُ كُلَّ سِحْرٍ عِلِيمٍ﴾ (الاعراف: ١١٢) من دون ألف مع أنهم أكثر من واحد فما الفرق؟

و الجواب: إن هؤلاء في قوم مخصوصين وهم قوم فرعون، وأما قوله تعالى ﴿مَا آتَى الدِّينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ فهو في جميع الأمم السابقة، ولا شك أن أولئك أكثر من سحرة فرعون، فمما كثرت لأمم وامتدت وتطاولت زيد في الرسم

وعلى أية حال فهذا من خط المصحف الذي لا يُقاس عليه كم ذكرنا أكثر من مرة، وهذا التعجيل لا نقطع بصحته، فقد يكون من باب لموافقات وهذا ينطق على أكثر ما نذكره فيما يتعلق برسم المصحف. والله أعلم.



٨٧- قال تعالى في سورة الطور: ﴿إِنْ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَاقِعٌ﴾ (٧) مَا لَهُ مِنْ

دَافِعٍ؟ (٨، ٧).

وقال في سورة المعارج: ﴿سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ﴾ (١) لِّلْكَافِرِينَ لَيْسَ لَهُ

دَافِعٌ؟ (٢، ١).

سؤال: لماذا قال في سورة الطور: ﴿مَا لَهُ مِنْ دَافِعٍ﴾ فنفى بـ(ما)، وقال في

سورة المعارج: ﴿لَيْسَ لَهُ دَافِعٌ﴾ فنفى بـ(ليس)؟

الجواب: إن الآية في سررة الطور مسبوقه بمسم، وهو قوله:

﴿وَالطُّورُ﴾ (١) وَكِتَابٍ مُّسْطُورٍ (٢) فِي رَقٍّ مَنْشُورٍ (٣) وَأَنْتَ الْمَعْمُورُ (٤)

وَأَسْقُفٍ الْمُرْقُوعِ (٥) وَالْبَحْرِ الْمَسْجُورِ (٦) إِذَا عَذَابَ رَبِّكَ لَوَاقِعٌ (٧) مَا لَهُ مِنْ

دَافِعٍ؟ (٨ - ١).

وقد تلمى القسم بالجملة الاسمية المؤكدة بـ(إن) واللام فقال: ﴿إِنْ عَذَابَ

رَبِّكَ لَوَاقِعٌ﴾، وبمى دفعه بالجملة الاسمية المؤكدة أيضاً مناسبة لجواب القسم

المؤكد فقال: ﴿مَا لَهُ مِنْ دَافِعٍ﴾، فمعناها بـ(ما) وجاء بـ(من) الاستعرافية

للمؤكد

أما في سورة المعارج فليس ثمة قسم، وإنما قال ﴿سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ

وَاقِعٍ﴾ أي دع لنفسه بالعذاب وطلبه لها، ونفى دفعه بالجملة الفعلية فقال:

﴿لَيْسَ لَهُ دَافِعٌ﴾، فقلوه ﴿مَا لَهُ مِنْ دَافِعٍ﴾ أنسب بالقسم، وأنسب بالجملة

التي قبله

وقد أكد وقوع العذاب في آية الطور دون آية المعارج؛ لأن السياق في

الطور يدل على وقوعه فعلاً، وليس الأمر كذلك في المعارج، فقد قل في

المعارج: ﴿فَاصْبِرْ صَبْرًا جَمِيلًا﴾ (٥) إِنَّهُمْ يَرُوءُوهَ بَعِيدًا (٦) وَنَرَاهُ قَرِيبًا﴾ (٧ - ٥).

فأمره بالصبر الجميل، ثم قال: ﴿إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُ بَعِيدًا﴾، وذلك يدل على أن في الزمن متسعاً بينهم وبينه، ولم يقل مثل ذلك في الطور.

ثم إنه في المعارح ذكر موقف المجرم من العذاب الذي سيلحقه يومئذ، وهو من الوعيد الذي توعد به ربه، وليس واقعاً بعد، فقال: ﴿يَوْمَ الْمَحْزَمِ يَرِي قُتَيْدِي مِنْ عَذَابٍ يَوْمئِذٍ سِيَّهٍ﴾ (١٣) وصاحبه وأخيه (١٣) وفصيته التي تؤويه (١٤) ومن في الأرض جميعاً ثم ينحبذ (١٥) كلاً إنَّها لطي (١٦) نزاعة للشوى (١٦) تدعو من أدبر ونولى (١٦) وجمع فأوعى (١١ - ١٨).

وأما في الطور فالسياى بين أن الأمر حاصل وأنهم يشاهدون النار موقوفين عليها مخاطبين بقوله ﴿هَذِهِ الدَّرُأُ الَّتِي كُنتُمْ بِهَا تُكْذِبُونَ﴾ (١٤) أفسحروا هذا لم أنتم لا تصبرون (٥) اصلوها فاصبروا أو لا تصبروا سراء عليكم إنما تحرون ما كنتم تعملون (١٤ - ١٦)، فوقع العذاب وعدم دفعه في الطور أكد وهو أقرب مما في المعارح، فأكدته دون آية المعارح، فناسب كل تعبير موضعه.



٨٨ - سؤال: قوله تعالى في سورة القمر: ﴿فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذْرِي﴾ (٣٠، ٢١، ١٨، ١٦) يأتي به مرة بعد ذكر العذاب كما في قصة نوح، ومرة يأتي به قبل ذكر العذاب كما في ثمود، ومرة يأتي به مرتين: قبل ذكر العذاب وبعد ذكر العذاب كما في عاد، فما السبب؟

الجواب: يأتي قوله تعالى: ﴿فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذْرِي﴾ في حالتين: الحالة الأولى: أن يذكر القوم ومخالفتهم رسولهم، فيقول: ﴿فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذْرِي﴾ أي: فكيف عاقبناهم؟

فيكون السؤال بقصد بيان العذاب، ثم يذكر عذابهم. والحالة الأخرى: أن يذكر القوم ويذكر مخالفتهم رسولهم، ثم يذكر عذابهم فيقول: ﴿فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذْرِي﴾ أليس هذا ما يستحقونه؟ فيكون لقصد من ذلك هو التعجيب والتهويل من عقوبة ربنا لهم، وسوء عاقبتهم، جاء في «روح المعاني»: «﴿فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذْرِي﴾: لتوجيه قلوب السامعين نحو الإصغاء إلى ما لا يلقى إليهم قبل ذكره، لا لتهويله، وتعظمه، وتحجيبهم من حاله بعد بيانه كما قبله، كأنه قال: كذبت عاد فهل سمعتم أو فسمعوا كيف كان عَذَابِي وإنذاري لهم»^(١).

أما الجواب عن سبب مجيئه مرة واحدة في قوم نوح، ومرة واحدة في ثمود، ومرتين في عاد فذلك والله أعلم:

أن تكذيب عاد أعم من تكذيب قوم نوح وثمود، فقد قال في قوم نوح: ﴿كَذَّبَتْ قُلُوبُهُمْ قَوْمَ نوحٍ فَكَبَرُوا عَنَّا وَقَالُوا مَجْزُونٌ وَأَزْدَجَرُوا﴾ (٩).

فذكر أنهم كذبوا عبد الله أي رسوله، وهو نوح عليه السلام.

وقار في ثمود: ﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِالنُّذُرِ (٢٣) فَقَالُوا أَبَشَرًا مِمَّا رَحَدًا نُنْعَهُ إِيَّا
إِذَا نَقَى صَلَاحٍ وَسَعَرٍ﴾ (٢٤، ٢٣) وما بعدهما، فذكر أنهم كذبوا بالنذر.

وأما عاد فلم يذكر بماذا كذبوا، ولا مَنْ كذبوا، وإعما قال: ﴿كَذَّبَتْ عَادٌ
فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرٍ﴾

فكان تكديهم أعم، فذكر قوله ﴿فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرٍ﴾ مرتين، مرة
قبل لعذاب، ومرة بعد العذاب ليجمع حالتي البيان والتهويل فعم ذلك
الحالتين، وهذا أعم من أن يذكر حالة واحدة فناسب العموم العموم، والله
أعلم.



٨٩ قال تعالى في الممتحنة (٤) ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا اقْبُلُوا بِقَوْمِهِمْ إِنَّا بَرَاءُكُمْ وَمَا نَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾.

وقال في المسححة (٦) ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِيهِمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَاسْتَمَاعَ الْكَلِمَاتِ مِنَ اللَّهِ الْعَظِيمِ﴾.

وقال في سورة الأحزاب (٢١): ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾.

سؤال:

١ - لماذا أنث الفعل في الآية الرابعة فقال: ﴿كَانَتْ﴾، وذكره في الموطنين الآخرين مع أن اسم (كان) في الموطن كلها واحد، وهو (الأسوة)؟

٢ ولماذا قَدِمَ في الآية الرابعة الأسوة على المؤنسى به، وأخبرها عنه في الآيتين الآخرين؟

الجواب:

١ إن الأسوة تنطبق على الخصلة التي من حقها أن يؤتسى بها ويقتنى بها^(١) وتُطلق أيضاً على الشخص المؤتسى به.

والراجع في الآية الرابعة أنه أريد بها الخصلة بدليل أنه ذكرها وبينها فقال ﴿إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بِرَأْيِكُمْ﴾. و«لأن الاستثناء الآتي عليها أظهر»^(٢) فقال: ﴿يَا قَوْمِ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسْتَفِيرَنَّ لَكَ﴾ وهذا ما يرجح إرادة الخصلة.

فلما كانت الأسوة ههنا بمعنى المؤنث أنثها.

أما في الآيتين الآخرين فيُراد بها الشخص المتأسى به وهي بمعنى المثل

(١) روح المعاني (٦٩/٢٨). (٢) روح المعاني (٧٠/٢٨).

بدليل أنه ذكر الأشخاص ولم يذكر الحصنة، فلما كانت الأولى بمعنى المؤث أث الفعل.

ولما كانت هي الآيتين الأخريين بمعنى المدكر ذكر الفعل هدا من ناحية ومن ناحية أخرى أنه مما حسن التذكير أيضاً في الآية السادسة، وآية الأحزاب كثرة القواصل بين كن واسمها فقد فصل في الآية الرابعة بالحار والمجرور (لكم).

وأما الموطنان الآخران فقد فصل فيهما - بصافة إلى الجار والمجرور (لكم) - بمجرورين آخرين وهما في الآية السادسة (فيهم)، وفي آية الأحزاب (هي رسول الله)، فحسن التذكير من جهتين

٢ - وأما الجواب عن السؤال الثاني فإنه في لآة لرابعة قدّم الأسوة؛ لأن الكلام يدور عيها، وقد بيّنها بقوله: ﴿إِذْ قَالُوا لَقَوْمُهُمْ إِنَّا بَرَاءُ...﴾ فكانت الحصنة هي محط الاهتمام.

وأما في الآيتين الأخيرين فلم يذكر الحصنة وما ذكر المؤتسى به فقط، فقدّمه على الأسوة لأن المؤتسى به هو محط الاهتمام.

لقد أطلو التأسّي في هاتين الآيتين ليشمل كل الأمور الحسنة، ولذا أكد في هاتين الآيتين أكثر مما أكد في الآية الأولى، فقد قال في الأولى ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ﴾، وأما في الآيتين الأخريين فقد قال: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ﴾ فجاء باللام الواقعة في جواب القسم إضافة إلى (قد).

ثم أبدل في الآية لسادسة فقال: ﴿لَنْ كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ﴾، وكذلك قل في آية الأحزاب للدلالة على أهمية التأسّي بهؤلاء المصطفين، والله أعلم

٩٠ قال تعالى في سورة الممتحنة: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا جَاءَكُمْ الْمُؤْمَنَاتُ مُهَاجِرَاتٍ فَامْتَحِنُوهُنَّ اللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِهِنَّ فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَاتٍ فَلَا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى الْكُفَّارِ لَا هُنَّ حِلٌّ لَهُمْ وَلَا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ﴾ (١٠).

سؤال: لماذا قال ﴿لَا هُنَّ حِلٌّ لَهُمْ﴾ بالاسمية. وقال ﴿وَلَا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ﴾ بالفعل ولم يجعلهما على عطف واحد فيقول مثلاً: (لا هُنَّ حِلٌّ لَهُمْ وَلَا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ)؟

الجواب: من المعلوم أن الاسم يدل على الثبوت، والفعل يدل على الحسوث والتغير، فعبّر عن المؤمنات بالاسم؛ لأن الحكم لا يتغير بالنسبة إليهن، ولا يحوز منهن التغير.

وعبر عن لكفار بالفعل لأنه يتغير الحكم بتغيرهم بأن يسلّموا. فالحكم في حقهن ثابت أبداً، ومن الممكن أن يتغير الحكم بالنسبة إليهم إذا عبروا دينهم إلى الإسلام.

جاء في «روح المعاني»: ﴿لَا هُنَّ حِلٌّ لَهُمْ وَلَا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ﴾ الجملة الأولى لبيان الفرقة الثالثة وتحقق روال النكاح في الأول والثنية: لبيان امتناع ما يستأنف ويستقبل من النكاح ويشعر بذلك التعبير بالاسم في الأولى والمفعول في الثانية.

وقد الصبي في وجه اختلاف التعبيرين: أنه أسندت الصفة المشبهة إلى ضمير المؤمنات في الجملة الأولى إعلالاً بأن هذا الحكم ثابت فيهن لا يجوز فيه الإخلال والتغير من حائهن.

وأُسند المفعول إلى ضمير الكفار إيداعاً بأن ذلك الحكم مستمر الامتناع في الأرمنة المستقبلية لكنه قابل للتغير باستبدال الهدى بالضلال^(١)



٩١- في سورة المرسلات ذكر الله عقوبة الكافرين في الآخرة فقال ﴿انطلقوا إلى ما كنتم به تكذبون﴾ (٢٩) انطلقوا إلى ظلٍ ثلاث شعَبٍ... ﴿ (٢٩) وما بعدها.

ثم ذكر جزاء المتقين فقال: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي ظِلَالٍ وَعُيُودٍ ﴿٣٠﴾ وفواكه مما يشتهون...﴾ (٤١) وما بعدها.

ثم عاد إلى جزاء الكافرين فقال: ﴿كُلُوا وَامْشَوْا قَلِيلًا إِنَّكُمْ مُجْرِمُونَ ﴿٤٢﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ...﴾ (٤٦) وما بعدها.

فلِمَ ذاك؟ ولِمَ لم يذكر جزاء الكافرين في مكان واحد؟

الجواب: ليس الأمر كما توهم السائل، وإنما جرى ذكر أحداث السورة ومشاهدها في محط معين ومنهج واضح، وذلك على النحو الآتي

١- إن المشهد الأول في السورة بعد القسم بالمرسلات، وما بعدها إما هو في أحداث يوم القيامة، وهو قوله ﴿فَإِذَا الْحُومُ طُمِسَتْ ﴿٨﴾ وَإِذَا السَّمَاءُ فُرِجَتْ ﴿٩﴾ وَإِذَا الْحِجَالُ نُسِفَتْ...﴾

ثم عد إلى تذكير الناس بإهلاك من تقدمهم، وتذكيرهم نعم الله عليهم ليتعظوا، فقال: ﴿أَلَمْ يَهْلِكِ الْأَوَّلِينَ ﴿٢٦﴾ ثُمَّ نَسَّيْنَاهُمُ الْآخَرِينَ ﴿٢٧﴾ كَذَلِكَ نَفْعَلُ بِالْمُجْرِمِينَ ﴿٢٨﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ ﴿٢٩﴾ أَلَمْ يَخْلُقْكُمْ مِنْ مَّاءٍ مَّهِينٍ ﴿٣٠﴾ فَجَعَلْنَاهُ فِي قَرَارٍ مَكِينٍ ﴿٣١﴾

٢- ثم عد إلى ذكر الجزاء في الآخرة، فذكر جزاء المكذبين، ثم ذكر بعده سراء المتقين، وهو ما يقع بعد أحداث القيامة، والفصل بين الخلق، فدل في جزاء المكذبين. ﴿انطلقوا إلى ما كنتم به تكذبون﴾ (٢٩) انطلقوا إلى ظلٍ ثلاث شعَبٍ... ﴿

وقال في جزاء المتقين. ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي ظِلَالٍ وَعُيُودٍ ﴿٣٠﴾ وفواكه مما يشتهون...﴾



ثم عاد إلى تذكير الناس في الدنيا ليتعظوا فقال: ﴿كُلُوا وَتَمَتَّعُوا قَلِيلًا
إِنكُم مُّجْرِمُونَ﴾ (٤٦) و﴿يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ﴾ (٤٧) وإذا قيل لهم اركعوا لا يركعون ﴿٤٨﴾
و﴿يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ﴾ (٤٩) فبأي حديث بعده يؤمنون.

فقله . ﴿كُلُوا وَتَمَتَّعُوا﴾ إنما هو تهديد ووعيد للكافرين في الدنيا ،
فالتمتع القليل بما هو في الدنيا ، وأما في الآخرة فليس لهم تمتع لا قليل ولا
كثير .

ثم قل : ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ارْكَعُوا لَا يَرْكَعُونَ﴾ وهذا إما هو في الدنيا وليس
في الآخرة ، وكذلك قوله : ﴿فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ﴾ .

فمنهج السورة واضح بين وهو جار على حسب جريان الأحداث مع
التذكير للاتعاظ



٩٢ لماذا يخبر ربنا عن الملائكة بالتذكير أحياناً وبالتأنيث أحياناً أخرى
 قمرة يقول: ﴿فَسُحِبَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ﴾ (الحجر ٣٠) بالتذكير.
 ومرة أخرى يقول: ﴿فَادْتَنَّهُ لَمَلَائِكُهُ وَهُوَ قَائِمٌ يَصَلِّي فِي الْمَحْرَابِ﴾
 (ال عمران: ٣٩) بالتأنيث؟

والجواب: إن في القرآن خطوطاً تعبيرية في تذكير وتأنيث الملائكة، من
 ذلك:

١ - أن كل أمر يصدر إلى الملائكة يكون بصيغة المذكر . وذلك نحو
 قوله: ﴿اسْجُدُوا لِآدَمَ﴾ (البقرة ٣٤) ، وقوله: ﴿أَسْمَوْنِي بِأَسْمَاءَ هَؤُلَاءِ﴾
 سورة (٣١) ، فلم يأمرهم بصيغة المؤنث . فلم يقل مثلاً: (اسجدني) ونحوه .
 وذلك لتتصيص على أذ الملائكة ليوا إنائاً كما كان يعتقد أهل الجاهلية
 الدن حكى الله عنهم ذلك بقوله: ﴿وَجَعَلُوا الْمَلَائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبَادُ الرَّحْمَنِ
 إِنَائًا أَتْسَهُدُوا خَلْقَهُمْ﴾ (الحرف ١٩) . وغير ذلك من الآيات ، فإن انصير
 (الواو) خاص بالمعلاء الذكور ، بخلاف ما لو أمر بالتأنيث نحو (اسجدني)
 فإنه يكون للأشي المعاقة وغيره . ولجماعة غير العاقل ذكوراً وإناثاً . وذلك
 نحو: ﴿يَا حَالُ أَوْبِي مَعَهُ وَالطَّيْرُ﴾ (سبا ١) ، وقوله: ﴿وَأَرْحَى رَنَّتْ إِلَى الْحَلِّ
 أَنِ اتَّحَدِي مِنْ أَحْدَلِ بَيْرِنَا﴾ (الحجر ٦٨) وهو من باب تصحيح المعقد الباطل

٢ - كز فعل يقع بعد ذكر الملائكة يكون بصيغة لمذكر . وذلك نحو
 قوله: ﴿وَالْمَلَائِكَةُ يَسْجُدُونَ﴾ (الباء ١٦٦) ، ﴿وَالْمَلَائِكَةُ يَدْحُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ
 بَابٍ﴾ (الرعد: ٢٣) ، ﴿وَالْمَلَائِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ﴾ (الشورى: ٥) ، ﴿قُلْ لَوْ
 كَانَ فِي الْأَرْضِ مَلَائِكَةٌ يَمْشُونَ مُطْمَئِنِّينَ﴾ (الإسراء ٩٥) .

فم يقل: (والملائكة تشهد) . ولا (والملائكة تسبح بحمد ربها) ولا
 نحو ذلك .

٣ - كل وصف لهم بالاسم يكون بصورة المذكر، وذلك نحو قوله ﴿وَالْمَلَائِكَةُ أَمْقَرُونَ﴾ (الباء: ١٧٢)، ﴿فَقَعُوا لَهُ سَاحِدِينَ﴾ (الحجر: ٢٩)، ﴿وَالْمَلَائِكَةُ سَاطُوا أُنْدِهِمْ﴾ (الأنعام: ٩٣) ﴿بِحُمْسَةِ الْآلِفِ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُسَوِّمِينَ﴾ (آل عمران: ١٢٥)، فلم يقل مرة نحو: (الملائكة المقرية)، أو (من الملائكة مسومة).

٤ - كل فعل عبادة يكون بنفس التنكير؛ لأن ذلك أكمل وذلك نحو ﴿فَسَحَدَ الْمَلَائِكَةُ كُتُبَهُمْ أَعْمَعُونَ﴾ (الحجر: ٣٠)، ﴿لَا تَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ﴾ (المحرم: ٦).

٥ - إذا كان ثمة أمر أشد من آخر كأن يكون موصفا أحدهما أشد من الآخر جيء بما هو أشد بالتذكير للدلالة على قوة الأمر وشدة، وذلك نحو قوله: ﴿وَلَوْ تَرَى إِذْ يَتَوَفَّى الَّذِينَ كَفَرُوا الْمَلَائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَذْذَرَهُمْ وُدُّوهُ عَذَابَ الْحَرِيقِ﴾ (الأنفال: ٥٠). وقوله: ﴿فَكَيْفَ إِذَا بُوغْتُهِمُ الْمَلَائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَذْذَرَهُمْ﴾ (محمد: ٢٧).

فجاء بآية الأنفال بالتذكير ﴿يَتَوَفَّى﴾، وبآية محمد بالأنثى ﴿تَوَفَّتْهُمْ﴾ وذلك أن آية الأنفال في سياق وقعة بدر، ثم إنه قال ﴿وَدُّوهُ عَذَابَ الْحَرِيقِ﴾ ولم يقل مثل ذلك في آية محمد، كما أنها ليست في سياق حرب، فجاء بما هو أشد بصيغة المذكر.

٦ - في موقف البشري يأتي بصيغة المؤنث، فلم تأت البشري بصيغة التذكير، وذلك نحو: ﴿فَدَدَتُهُ الْمَلَائِكَةُ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْمَحْرَابِ أَنَّ اللَّهَ يُشْرِكُ بِحَنِ﴾ (٣٩)، ﴿وَإِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَى نِسَاءِ الْعَالَمِينَ﴾ (آل عمران: ٤٢).



وانظر كيف جاء في موقف الشدة بالتذكير في قوله: ﴿وَيَوْمَ تَشْقَى السَّمَاءُ
بِالْعِصَامِ وَتُرْجَلُ الْمَلَائِكَةُ تَرْجِيلًا﴾ (٢٥) الْمَلَكُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ لِلرَّحْمَنِ وَكَانَ يَوْمًا عَلَى
الْكَافِرِينَ عَسِيرًا ﴿ (السجدة: ٢٥، ٢٦)

وفي موقف لبشرى بالتأنيث، هي فوهه ﴿إِنَّ الدِّينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ
اسْتَقَامُوا تَنْزِيلٌ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا يَحْفَوا وَلَا يُحْزِنُوا وَأُبَشِّرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ
تُوْعَدُونَ﴾ (نصب ٣)

فقال في الأولى ﴿وَنُزِّلَ الْمَلَائِكَةُ﴾. وقل في آية البشري ﴿تَنْزِيلُ
عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ﴾

قد تقول: لكر الملائكة بشرت سيدنا إبراهيم، وكان الفعل الذي أسند
إليه مصغه لتذكير، قال تعالى: ﴿وَبَشِّرُوهُ بَعْلَامٍ عَلِيمٍ﴾ (الدخان ٢٨).

فنقول: إنه لم يرد ذكر للملائكة في هذه القصص، بل ورد ذكر الضيف،
قال تعالى: ﴿هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ صَيْفِ إِبْرَاهِيمَ الْمُكْرَمِينَ﴾ (٢٤) فأسند القوم إلى
الضيف، ولم يسنده إلى لفظ الملائكة.



٩٣ - قال تعالى: ﴿كُنْتُ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدُكُمْ الْمَوْتُ إِنْ تَرَكَ خَيْرًا الْوَصِيَّةَ﴾ (البقرة: ١٨٠). بالفعل ﴿حَضَرَ﴾.

وقال في موطن آخر: ﴿حَتَّى إِذَا جَاءَ أَحَدُكُمْ الْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا﴾ (الأنعام: ٦١). بالفعل ﴿جَاءَ﴾، فما الفرق بينهما؟

الجواب: إن احضور تقيصر الميعب والعيبة، وهو بمعنى الشهود، وهو يحتلف عن المحييء، وإيضاح ذلك أنت تقول، (كنت حاضراً إذ كلمه أبوك) فهذا ليس معناه أي كنت قادمًا حين كلمه، بل معناه: كنت موجوداً حين كلمه أبوك

ورقول (كنت حاضراً مجلسهم) أي شاهداً مجلسهم، لست غائباً، وليس معناه كنت قادمًا إلى مجلسهم.

ويقول، (الله الحاضر في كل مكان) أي الموجود في كل مكان [يعلمه]، وليس معناه (الله القادم في كل مكان) أو إلى كل مكان.

ولذا لا يصح أحياناً وضع إحدى الكلمتين مكان الأخرى.

ففي قوله تعالى في السد الذي صنعه ذو القرنين مثلاً: ﴿فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ رَبِّي جَعَلَهُ دَكَّاءَ﴾ (الكهف ٩٨) لا يصح أن نقول للمعنى نفسه: (فإذا حضر وعد ربي جعله دكاً) فإن الوعد وهو القيامة أو غيرها ليس موجوداً في ذلك الوقت بل سيأتي.

وفي قوله: ﴿حَتَّى إِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التُّورُ﴾ (مريم ٤) لا يصح أن يقال للمعنى نفسه، (حتى إذا حضر أمرنا) فكأنه كان موجوداً في مكان آخر ثم حضر، بل هو سيأتي في حينه، فإن الحضور يُقُل لما هو موجود.

وأما المحييء فيحتمل الأمرين: المحييء بعد أن لم يكن موجوداً أصلاً أو كان موجوداً في مكان ثم هم إلى مكان آخر.

قال تعالى: ﴿إِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ جِئْنَا بِكُمْ لَفِيفًا﴾ (الإسراء: ٤٠).

ولا يصح أن يقال للمعنى نفسه: (إذا حضر وعد الآخرة).

ونحوه كثير، وذلك نحر قوله: ﴿كُلُّ مَا جَاءَ أُمَّةٌ رَسُولُهَا كَذِبٌ إِلَّا مِثْلُ مَا جَاءَ مُحَمَّدٌ بِرَسُولِهِ﴾ (مؤسّر: ٤٤)، وقوله: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ يَبَيِّنُ لَكُمْ عَلَى فَتْرَةٍ مِنْ إِبْرَاهِيمَ أَنْ تَقُولُوا مَا جَاءَ مِنْ بَشِيرٍ وَلَا نَذِيرٍ فَقَدْ جَاءَكُمْ بَشِيرٌ وَنَذِيرٌ﴾ (الملك: ٢١٩)، فذلك ونحوه لا يصح إبدال: (حضر) فيه بـ(جاء).

وعود إلى الاستعمال القرآني لهذين الفعلين في نحو ﴿حَصَرَ أَحَدَكُمْ الْمَوْتَ﴾ وـ ﴿جَاءَ أَحَدَكُمْ﴾.

فالقرآن يستعمل حضور الموت مع الوصايا والأحكام، أما مجيء الموت فيستعمله لذكر ما يتعدى بالموت، أو ما يتعلق بالناس وأحوالهم فيه، أو فيه وفيما بعده.

وبيضاح ذلك أنه قال في حضور الموت: ﴿أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَصَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتَ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ بَعْدِي قَالُوا نَعْبُدُ إِلَهَكَ وَإِلَهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِلَهاً وَاحِداً وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾ (سورة: ١٣٣).

فلم يذكر شيئاً يتعلق بالموت، وإنما هو ذكر لوصية يعقوب لبنيه عند حضور الوفاة.

وقال ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ إِذَا حَضَرَ أَحَدُكُمْ الْمَوْتُ إِنْ تَرَكَ خَيْرًا الْوَصِيَّةُ لِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ مِمَّا مَلَكَ مِنْ حَقِّكَ عَلَى الْمُتَّقِينَ (١٨٠)﴾ فمن بدله بعد ما سمعه فإنما إثمه على الذين يبدلوه﴾ (البقرة: ٨، ١٨١).

وقال ﴿شَهَادَةُ بَيْنَكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدُكُمْ الْمَوْتُ حِينَ الْوَصِيَّةِ اثْنَانِ ذُوَا عَدْلٍ مِنْكُمْ أَوْ أُخْرَانِ مِنْ غَيْرِكُمْ إِنْ أَتَتْكُمْ ضَرْبَتُمْ فِي الْأَرْضِ فَأَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةُ الْمَوْتِ

تَحْسَبُونَهُمَا مِنْ تَعَدِّ الصَّلَاةِ فِيقُمْ مَنَ بِاللَّهِ إِنْ أَرْتُمْ لَا نَشْتَرِي بِهِ ثَمًّا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَى ﴿الأنعام: ١٦٠﴾ .

وهذه كما ترى في الرصايا وليست في ذكر ما يتعلق بالموت، فكان الموت يكون شاهداً مع مَنْ يشهد .

وقال ﴿إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِنْ قَرِيبٍ فَأُولَئِكَ يَتُوبُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيماً حَكِيماً (١٧) وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّى إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إِنِّي تُتْتُ الْآنَ وَلَا الَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ﴾ (البقرة: ١٧، ١٨) .

وهذا في حكم التوبة، وأولها: لو أنها ليست عند حضور الموت، فليس في هذه الآيات شيء يتعلق بالموت، أو بحالة الموفى فيه .

وقال في مجيء الموت: ﴿وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عُدَدِهِ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً حَتَّى إِذَا جَاءَ أَحَدَكُمْ الْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفِرُّونَ (٦١) ثُمَّ رَدُّوا إِلَى اللَّهِ مَوْلَاهُمْ الْحَقُّ أَلا لَهُ الْحُكْمُ وَهُوَ أَسْرَعُ الْحَاسِبِينَ﴾ (الأنعام: ٦١، ١٢) .

فذكر أمراً يتعلق بالموت وحالتهم فيه، وأنهم يردون إلى ربهم بعد ذلك . وقال: ﴿حَتَّى إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ (٩٩) لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ كَلَّا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هَرَفًا وَلَهُمْ رَاجِعُهُمْ إِلَى يَوْمِ يَئْتُونُ (١٠٠) فَإِذَا نَفَخَ فِي الصُّورِ فَلَا أَنْسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَاءَلُونَ . .﴾ (المؤمنون: ٩٩) وما بعدها .

فلذكر أنه إذا جاء أحدهم الموت سأل ربه أن يعيده لعله يعمل صالحاً فقد ذكر شأن المتوفى من هؤلاء، ثم ذكر بعده أموراً تتعلق بالقيمة .

٩٤- قال تعالى في سليمان عليه السلام: ﴿فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ الْمَوْتَ مَا دَلَّهُمْ عَلَى مَوْتِهِ إِلَّا دَابَّةُ الْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنسَأَتَهُ فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّتِ الْجِنُّ أَنْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ الْغَيْبَ مَا يَبُثُّوا فِي الْعَذَابِ الْمُهِينِ﴾ (ر. ٢، ١٤)

سؤال يُقال إن النسأة هي العصا، فلماذا استعمل هنا النسأة دون العصا، في حين استعمل العصا مع موسى، قال تعالى على لسان موسى: ﴿قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّأُ عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَى غَنَمِي﴾ (طه: ١٨)؟

الجواب النسأة هي العصا العظيمة لتي تكون مع اراعي يزحر بها البعير ليزداد سيرا، واشتدتها من النسء، وفعله: نسأ.

ومن معاني السراء التأخير في الوقت، ومنه النسئية وهو البيع بالتأخير.
و: (نسأ الله في أجله) أي أخره و زاد فيه.

والنسء أيضا زجر الناقة ليزداد سيرها، ونسأها: دفعها في السير وساقها (١).

واستعمالها مع سليمان هو المناسب، لأنها كأنها نسأت في حكمه وأجبه، وكنت كأنها تزحر الحن وتسوقهم إلى العمل فهي أنسب من العصا، فقد أفادت معني النسء: الزيادة في الأجل، والزحر للبيوق، يدل على ذلك قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّتِ الْجِنُّ أَنْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ الْغَيْبَ مَا يَبُثُّوا فِي الْعَذَابِ الْمُهِينِ﴾.

فالعصا هي التي كانت تسوقهم إلى العمل لأنهم يظنون أن سليمان عليه السلام لا يزال حيا.

وأما استعمال العصا مع موسى فهو الأنسب فإن الغنم لا تحتاح إلى عصا عظيمة لسوقها.

(١) انظر لسان العرب (نساء)

كما أنه استعملها في مقام الرأفة بالحيوان والرحمة به فقد قال: ﴿أَتَرَكَأُ عَلَيْهَا وَأَهْشُ بِهَا عَلَيَّ غَمِّي﴾ أي. يخطب بها أوراق الشجر لتأكله الماشية فلا يناسب استعمال النسأة. فناسب كل تعبير مكانه



٩٥ - ما الفرق بين قوله تعالى: ﴿لَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ﴾ (البقرة ٢٣٦) وقوله:

﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ﴾ (البقرة ٢٢٩)؟

الجواب إن قوله ﴿لَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ﴾ جملة اسمية، وقوله: ﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ﴾ جملة فعلية.

والجملة الاسمية أقوى وأثبت من الفعلية.

ثم إن (لا) تصيد تأكيد النفي، وذلك أنها متضمنة معنى: (من) الاستعراقية، يقول الحق: وهي نظير: (إن) في بوكيد الإيجاب^(١)، وهي أكد من (ليس).

ومعنى هذا أن قوله: ﴿لَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ﴾ أكد وأقوى وأثبت من قوله: ﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ﴾.

ويوضح ذلك الاستعمال القرآني للعبارتين فإنه يستعمل: ﴿لَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ﴾ فما هو أهم من المواطن التي تستعمل فيها ﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ﴾ فهو يستعملها في أمور العبادات، وفي تنظيم شؤون الأسرة، وفي الأمور المهمة على العموم.

وأما قوله ﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ﴾ فإنه يستعمله فيما هو دون ذلك من أمور الحياة، وما هو أقل أهمية على العموم.

قال تعالى: ﴿فَمَنْ حُجَّ الْبَيْتَ أَوْ اعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطَّوَّفَ بِهِمَا﴾ (البقرة: ١٥٨)، وهذا أمر يتعلق بالعبادة.

وقال: ﴿وَبِأَرْدِثُمْ أَنْ تَسْرَحُوا أَوْلَادَكُمْ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِذَا سَلَّمْتُمْ مَا أَنْتُمْ بِالْمَعْرُوفِ﴾ (البقرة: ٢٣٣)، وهذا يتعلق بتنظيم الأسرة وحقوق كل من الزوجين.

(١) انظر ابن الناطم (٧٤)، الهمع (١٤٤/١)، التصريح (٢٢٥/١)، جواهر الأدب (١٢٥).

وقال: ﴿وَالَّذِينَ يَقُولُونَ مِنْكُمْ وَيَدْرُونَ أَرْوَاجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِمْ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا فَإِذَا بَلَغَ أَجْلُهُمْ فَلَا ضَاحَ عَنْكُمْ فِيمَا فَعَلُوا فِي أَنْفُسِهِمْ بِالْمَعْرُوفِ﴾ (سورة: ٢٣٥).

وقال: ﴿لَا ضَاحَ عَلَيْكُمْ إِنْ طَلَقْتُمُ النِّسَاءَ مَا لَمْ تَمْسُوهُنَّ أَوْ تَفْرِصُوا لَهُنَّ فَرِيضَةً وَمَنْعُوهنَّ عَلَى الْمَوْسَعِ قَدْرَهُ وَعَلَى الْمُقْتَرِ قَدْرَهُ مَتَاعًا بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُحْسِنِينَ﴾ (سورة: ٢٣٦). وهي كما يرى في شؤون تنظيم الأسرة، وفي الحقوق والواجبات

وأما قوله: ﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ﴾ فيستعمله فيما هو أقل شأنًا من أمور الحياة كما ذكرت

قال تعالى: ﴿لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوا﴾ (سورة: ٩٣).

وقال: ﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ مَسْكُونَةٍ فِيهَا مَتَاعٌ لَكُمْ﴾ (نور: ٢٩).

وقال: ﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَأْكُلُوا حَمِيعًا أَوْ أَشْتَاتًا﴾ (سور: ٦١).

وقال: ﴿إِلَّا أَنْ تَكُونَ تَحَارَةً حَاصِرَةً تُدِيرُونَهَا بَيْنَكُمْ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَلَّا تَكْتُبُوهَا﴾ (سورة: ٢٨٢).

فأنت ترى أنه استعملها فيما هو أقل أهمية مما قبلها، قد تقول ولكنه قال: ﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَبْتَغُوا فَضْلًا مِنْ رَبِّكُمْ فَإِذَا أَفْضَيْتُمْ مِنْ عَرَافَاتٍ فَاذْكُرُوا اللَّهَ عِدَ الْمُنْعَرِ الْحَرَامِ﴾ (سورة: ١٩٨). وهذا يتعلق بأمور العادات.

فقول: كلا، وإنما هو يتعلق بالتجارة في موسم الحج، فإنه قال إنه لا منع من التجارة وابتغاء الرزق في الحج

ويوضح ذلك استعمال كل من التعبيرين في آيتين متتابعتين، وهما قوله: ﴿وَإِذَا ضَرَبْتُمْ فِي الْأَرْضِ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَقْصُرُوا مِنَ الصَّلَاةِ إِنْ كُنْتُمْ أَنْفُسَكُمْ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ (النساء: ١٠١).

وقوله في الآية بعدها: ﴿وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِنْ كَانَ بِكُمْ أَذًى مِنْ مَطَرٍ أَوْ كُنْتُمْ مَرْضَى أَوْ أَنْتُمْ فِي سَفَرٍ أَنْ تُقْصِرُوا مِنَ الصَّلَاةِ﴾ (النساء: ١٠٢).

فقال في الآية الأولى: ﴿فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ﴾، وقال بعدها: ﴿لَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ﴾.

ذلك أن الآية الأولى في السير في الأرض بلتحارة أو غيرها، فقال: ﴿فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ﴾.

أما الآية الثانية ففي الجهاد، يدل على ذلك قوله: ﴿أَنْ تَقْصُرُوا مِنَ الصَّلَاةِ﴾، وقوله: ﴿وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ﴾، فقال: ﴿لَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ﴾، فدل ذلك على ما ذكرناه والله أعلم.



٩٦- ما الفرق بين الكره والكره؟

الجواب قيل . هما واحد . وقيل : الكَرَّ بالضم اسم معمول أي مكروه كاخْتِزَ بمعنى المخبور ، والكَرَّ بالفتح المصدر^(١) .

وقيل: «لكره» ففتح لكاف- المشقة التي نال الإنسان من حارج فيما يحُمَلُ عليه بإكراره

والكُره بضم الكاف ما يمانه من ذاته وهو يعاقبه^(٢).

وحاء في «ابحار المحيط» «وقيل. الكره بالضم ما كرهه الإنسان، وكرهه بالفتح ما أكره عليه»^(٣).

وعلى هذا المعنى جرى استعمال القرآن.

فإنه يستعمل الكره - بفتح الكاف - لما ينال الإنسان من أضرار من مشقة ، ولذا يقابله بطوع .

قُلْ تَعَالَى ۖ ذُوهُ أَسْلَمَ مِنْ فِي السَّمُوتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا ۖ

(۸۳۰۰ ع .)

وقال : ﴿قُلْ أَشْكُرُوا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا لَنْ يَتَقَلَ مِنْكُمْ﴾ (البقرة . ٥٣) .

يُوفَى ﴿وَلِلّٰهِ يَسْجُدُ مِنْ فِي السَّمٰوٰتِ وَالْاَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا﴾ (الرعد: ١٥).

وقال. ﴿ثُمَّ قَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ انْتِ يَا طُورُ عَا أَوْ كَرِهَا﴾ (قصص ١١)

ولم يقبل الطوع بالكُره بصم الكاف .

وقال: ﴿يَأْتِيهَا أُنْدِيَانِ أَحْمَرٌ لَا يُحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَرِثُوا النِّسَاءَ كَرِهًا﴾ (النساء: ١٠٩).

أى بالأكراه .

(١) انظر المعر المحط (٣٧٩، ٣٦٢/٢)

(۲) انصودات فی عربی القرآن (کرہ)

(٣) البحر المحيط (٢، ٣٦٢)

وكرر ذلك يدل على ما يناله من المشاق من الخارج، وما يكره عليه .
 في حين قال : «كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ» (البقرة : ٢١٩)، أي : إن
 كره القتال أمر يعود إلى الطبع، فإن القتال مكروه للإنسان .
 وقال «وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَانًا حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا»
 (الأحزاب : ١٥) .

والحمل والوضع مشقتان تتالان المرأة وهما مكروهان لها، لما فيهما من
 آلام الحمل والوضع والمشقة فيهما .



٩٧ - سؤال. ما الفرق بين النأ والخبر؟

الجواب: النأ أهم من الخبر وأعظم، جاء في «المفردات» للراغب: «النأ خبر ذو فائدة عظيمة، يحصل به علم، أو غلبة ظن» (١). وكذلك استعملها القرآن. قل تعالى ﴿عَمَّ يَسْأَلُونَ﴾ (٢) عن النأ العظيم ﴿سأ ٢، ١﴾.

وقل. ﴿فَلْهُوَ بَأْ عَظِيمٌ﴾ (٦٧) أُنْتُمْ عَنْهُ مُعْرِضُونَ ﴿ص ٦٨، ٦٧﴾ ولم يستعمل (خبر) بصورة الأفراد إلا في قصة موسى في قوله: ﴿إِذْ قَالَ مُوسَى لَأَهْلِهِ إِنِّي آنَسْتُ رَأَى سَائِبِكُمْ مِنْهَا خَبِرٌ﴾ (المل: ٧)، وقوله: ﴿قَالَ لَأَنَّهُ مَكْشُورٌ إِنِّي آنَسْتُ رَأَى لَعْنِي آتِيَكُمْ مِنْهَا بِخَبِرٍ﴾ (لنصر: ٢٩).

ولا شك أن الخبر الذي يعاه موسى لا يرقى إلى أهمية النأ العظيم ومن الملاحظ أن القرآن لم يستعمل لأخبار الماضين من الرس أو غيرهم إلا الأتباء.

قل تعالى: ﴿وَلَقَدْ جَاءَكَ مِنْ بَأِ الْمُرْسَلِينَ﴾ (الأنعام: ٣٤). وقال: ﴿أَلَمْ يَأْتِكُمْ بَأِ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٍ وَتَمُودُ﴾ (براهيم: ٢٩). وقال: ﴿وَلَنَتَعَلَّمَنَّ نَأَهُ نَعْدَ حِينٍ﴾ (ص: ٨٨). وقال: ﴿وَكَلَّا نَقْصُرُ عَنْكَ مِنْ أَبَاءِ الرُّسُلِ مَا يُنَبِّئُ بِهِ قَوَادِكُ﴾ (هود: ١٢). وقال: ﴿وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنَ الْأَنْبَاءِ مَا فِيهِ مُزْدَحْرٌ﴾ (نهم: ٤).

قد تقول: ولكنه استعمل الأخبار في أمر يدل على عظيم أهميتها، فقد دل ربنا ﴿وَلَيَسُوْا لَكُمْ حَتَّى نَعْلَمَ الْمُحَاحِدِينَ مَكْمُومُ وَالصَّابِرِينَ وَلَيُوْا أَحْبَارَكُمْ﴾ محمد (٣١).

فتقول: إن هذا يدل على عظيم اللاء، فإنه إذا بلا الأخبار مع أنها أيسر من الأنباء فهو سيلو الأنباء من باب أولى، فإنه إذا بلا اليسير فإنه سيلو العظيم من باب أولى، ولو قال (ونبلو أنباءكم) لم يدل على أنه يبلو الأخبار، بل هو ستركها لأنها أهون، فلما ذكر أنه يبلو الهين دل على أنه يسو العظيم ولا شك.

وقد تقول ولكنه ذكر الأخبار في الأمور العظيمة، وهي الآخرة، فقد قال

﴿إِذَا رُلِّمَتْ الْأَرْضُ رُلِّمَتْهَا ① وَأُخْرِجَتِ الْأَرْضُ أَثْقَلَهَا ②﴾ وَقَالَ الْإِنْسَانُ مَا لَهَا ③ يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا ④ بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَىٰ لَهَا ⑤ (الزلزلة: ١-٥).

فتقول: هذا يدل على عظم ما سيكون في اليوم الآخر، فهذه هي الأحراء، فما بالك بالأنباء؟

فإنه ستحدث أمور أكبر وأعظم من الزلزلة، من مثل قوله: ﴿إِذَا السَّمَاءُ انْفَطَرَتْ ① وَإِذَا الْكَوَاكِبُ انشَرتْ ② وَإِذَا الْبِحَارُ فُجِّرَتْ ③﴾ (الانفطار: ١-٣). ومن مثل قوله: ﴿وَبُسَّتِ الْجِبَالُ بَسًا ⑤ فَكَانَتْ هَبَاءً مُّبَسَّنًا ⑥﴾ (البرق: ٥-٦).

وقوله: ﴿فَإِذَا انشَقَّتْ سَّمَاءٌ فَكَانَتْ وَرْدَةً كَالدِّهَانِ ①﴾ (الرحمن: ٣٧)، وغير ذلك من الأمور العظيمة.

وهذا تحذير عظيم، وإذا كانت هذه هي الأخبار فما بالك بالأنباء؟



٩٨ - سؤال العدد في القرآن الكريم. هل يُراد به حقيقة المذكور أو يُراد به التكثير؟

الجواب إن لعدد مذكور في القرآن في أكثر من سياق ومقام.

١ - فقد ذُكر في الأحكام، وذلك نحو قوله ﴿فَمَنْ لَمْ يَحِدْ فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ فِي الْحَجِّ وَتَسَعَةً إِذَا رَجَعْتُمْ تِلْكَ عَشْرَةٌ كَامِلَةٌ﴾ (البقرة: ١٩٦) وقوله: ﴿فَكْفَارَتُهُ بِضَعَامٍ عَشْرَةَ مَسَاكِينَ﴾ (المائدة: ٨٩)، وهذا يُراد به العدد المذكور حتمًا.

٢ - وقد تكرر في الإخبار عن أمور أو حوادث مختلفة، وذلك نحو قوله تعالى: ﴿وَسَحَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَانِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا﴾ (الحاقة: ٧). وقوله: ﴿فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ﴾ (البقرة: ٢٥٩). وقوله ﴿وَاجْتَارَ مُوسَى قَوْمَهُ سَبْعِينَ رَجُلًا أَلِيْقَاتًا﴾ (الأعراف: ١٥٥)، وهذه الأعداد يُراد بها حقيقة ما ذُكر أيضًا.

٣ - هناك أعداد تختلف فيها، أتراد حقيقة أم يُراد بها التكثير، وذلك نحو قوله: ﴿اسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِنْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ﴾ (التوبة: ٨).

والذي نرجحه أنه يُراد به حقيقة، والدليل على ذلك ما جاء في الخبر، أن الرسول قال: «سمعت ربي رخص لي فلا أستغفرن لهم سبعين وسبعين وسبعين، فلعن الله يعمر لهم». حتى نزل قوله: ﴿سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ يَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ﴾ (اسافهون: ١١).



٩٩ - سؤال: لماذا لم تتكرر قصة يوسف في القرآن كما تكررت قصص الأنبياء الآخرين؟

الجواب: نقول أولاً: ليست قصة يوسف هي الوحيدة التي لم تتكرر في القرآن، وإنما هناك قصص أخرى لم تتكرر منها قصة سليمان والهددهد، وقصة ذي القرنين، وقصة موسى واخضر، وقصة أصحاب الكهف وغيرها. أما إجابات عن قصة يوسف، فإن هذه القصة ليس فيها تعليمات ولا أحكام ولا دعوة قوم من الأقوام إلى ما دعا إليه الأنبياء الآخرون، وليس ليوسف ولا لإبيه مع قومه شأن من شؤون الدعوة.

وبذا هي تختلف عن رسالات الأنبياء الآخرين من دعوة أقوامهم إلى التوحيد وترك عبادة الأصنام والنهي عن الشرك والعقائد الباطنة، ونهيهم عن أعمال كانوا يرتكبونها من مثل التطفيف بالتوازين والكيل، وإتيان الذكران، وغيرها من العواشش، ودعوتهم إلى صالح العمل، وهي أسس عامة لجميع الأقوام والمجتمعات على مر الزمان.

أما قصة يوسف على ما فيها من عبر فهي تحكي قصة شأن عائلي، وليست رسالة إلى مجتمع أو قوم من الأقوام. وأما ما قاله يوسف إلى السجينين معه: ﴿أَرَأَيْتَ مُتَّفَرِّقُونَ حَيْرًا إِمَّا اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ﴾ (يوسف: ٣٩)، فهذا جاء عرصاً استعله يوسف للدعوة إلى الله، وهو بصدد تعبیر الرؤيا. ولم يذكر القرآن لنا أن يوسف كان مكلفاً بتبليغ رسالة إلى قومه أو إلى غيرهم.

وجتى لو كان يوسف رسولاً من رسل الله كما يهيم من قوله تعالى ﴿وَلَمَّا جَاءَكُمْ يُوسُفُ مِنْ قَبْلِ بَلِيَّاتٍ فَمَا زِلْتُمْ فِي شَكٍّ مِمَّا جَاءَكُمْ بِهِ حَتَّى إِذَا هَلَكَ قَلَمُ لَنْ يَبْعَثَ اللَّهُ مِنْ بَعْدِهِ رَسُولًا﴾ (عامر: ٣٤)، لكنه لم تذكر هذه الرسالة ولا بما أرسل.

فاحتلف الأمر عن بقية قصص الأنبياء الذين تكرر الحديث عنهم

١٠٠ سؤال نسمع أحياناً داعياً يدعو لصاحبه بقوله: (فتح الله عليك)، ويقال إن هذا الدعاء غير مناسب لأن (فتح الله عليك) لا يقال في الخير، وإنما يقال في الشر فقط، والصواب أن يقال: (فتح الله لك) فما حقيقة الأمر؟

الجواب: إن الاعتراض غير وارد، وإنما يصح أن يقال: (فتح الله عليك) في الخير والشر بحسب ما يُبين الداعي أو المخبر أو يوبه
 قال تعالى ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾ (الاعراف: ٩٦).

وقال على لسان بعض أهل الكتاب: ﴿وَإِذَا لَفُوا الدِّينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَا بِغَضِّهِمْ إِلَىٰ غُضِّ قَالُوا أَتُحَدِّثُونَهُم بِمَا فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ لِيُحَاوِكُمْ بِهِ عِنْدَ رَبِّكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ (سوره: ٧٦)

وهذا في الخبر كما هو واضح.

وقد يستعمل في العقوبات والشر. قال تعالى: ﴿حَتَّىٰ إِذَا فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَابًا ذَا عَذَابٍ شَدِيدٍ إِذْ هُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ﴾ (المؤمنون: ٧٧).



مراجع الكتاب

- الأمالي الشجرية لأبي السعادات هبة الله بن لشجري، ص ١، مطبعة دار المعارف العثمانية بحيدر آباد- الدكن (١٣٤٩هـ).

أنوار التتزيل للفاصي أبيضاوي المطبعة العثمانية (١٣٠٥هـ).

- البحر المحيط لأبي حيان، ط ١، سنة (١٣٢٨هـ)، مطبعة السعادة بمصر.

- ناج العروس شرح العاموس لمحمد مرتضى الحسيني الراسطي الزبيدي- منشورات مكتبة الحياة- بيروت، تصوير الطبعة الأولى بالمطبعة الخيرية بمصر سنة (١٣٠٦هـ).

- تفسير ابن كثير طبع بدار إحياء الكتب العربية- عيسى البابي الحلبي وشركاه.

تفسير أبي السعود.

- التفسير الكبير لفخر الدين الرزي - دار إحياء التراث العربي- بيروت- ط ٤، (١٤٢٢هـ / ٢٠٠١م).

جواهر الأدب في معرفة كلام العرب للإمام علاء الدين بن علي بن محمد الأربلي- المطبعة الحيدرية- النجف (١٣٨٩هـ / ١٩٧٠م)

- درة التريل وغرة التأويل للخطيب الإمكافي- مشورات دار الآفاق الجديدة- بيروت، ط ١، (١٣٩٣هـ / ١٩٧٣م).

- روح المعاني في تفسير القرآن الكريم لشهاب الدين السيد محمد الألوسي - إدارة الطبعة المنيرية دار إحياء التراث العربي.

- شرح الأشموني على ألفية ابن مالك دار إحياء الكتب لعربية.

شرح ألفية ابن مالك لابن الناطم - المطبعة العلوية في النجف (١٣٤٢هـ).

شرح النصريح على لتوصيح لحالد بن عبد الله لأزهري - دار حباء الكتب العربية.

- شرح رضى الدين الإستراباذي على الكافية لابن الخاحب

- فتح. التقدير لمحمد بن عبي بن محمد بن عبد الله الشوكاني، ط ١
مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر سنة (١٣٤٩هـ).

كتاب الأصول لابن السراج - تحقيق الدكتور عبد الحسين العتلي -
مطبعة النعمان - النجف الأشرف.

- كتاب سيبويه مصور على طبعة بولاق - نشر مكتبة المثنى ببغداد.

- الكشف لجار الله الزمخشري - مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده
مصر سنة ١٣٦٧هـ / ١٩٤٨م.

لسان العرب لابن منظور - مصور على طبعة بولاق.

- المصباح المنير لأحمد بن محمد الفيومي - المكتبة العلمية بيروت.

معاني الألفية في العربية للدكتور فاضل صالح السامرائي - ط ١،
(١٤٠١هـ / ١٩٨١م) - لشركة المتحدة للتوزيع - بيروت.

- معاني النحو للدكتور فاضل صالح السامرائي - مطابع دار الحكمة
للطباعة والنشر - الموصل ط ١، (١٩٩١م).

- مغني اللبيب عن كتب الأعاريب لابن هشام الأنصاري تحقيق محمد
محيي لدين عبد الحميد

- المفردات في غريب القرآن للراغب الأصفهاني طهران.

ملاك السأويل لأبي جعفر أحمد بن الزبير الغرناطي تحقيق الدكتور
محمود كامل أحمد - دار النهضة العربية للطباعة والنشر - بيروت
(١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م).

- النشر في القراءات العشر لابن الجزري - مطبعة مصطفى محمد

بمصر

مع الهوامع للسيوطي ط ١ سنة (١٣٢٧هـ) - مطبعة السعادة بمصر



الفهرس

الصفحة	رقم الآية	الموضوع	المقدمة
٥			
٧	٣ ، ٢	١ - من سورة البقرة	
٨	٢٤ ، ٢٣	٢ - من سورة البقرة.	-
١١	٤٩	٣ - من سورة البقرة	
١٣	٥١	٤ - من سورة البقرة.	
١٤	٨٦	٥ - من سورة البقرة.	
١٥	١١٤	٦ - من سورة البقرة.	
١٦	١٢	٧ - من سورة البقرة.	
١٧	١٢	٨ - من سورة البقرة	
٢١	١٤٣	٩ - من سورة البقرة.	
٢٦	١٥٩ ، ١٦٠	١٠ - من سورة البقرة.	
٢٦	١٧٢	١١ - من سورة البقرة.	
٢٨	٢٣٣	١٢ - من سورة البقرة.	
٢٩	٢٣٨ ، ٢٣٩	١٣ - من سورة البقرة.	
٣	٢٤٩	١٤ - من سورة البقرة.	
٣	٤٠ ، ٤٧	١٥ - من سورة آل عمران.	
٣٢	٥٦ ، ٥٧	١٦ - من سورة آل عمران	-
٣٣	٦٤	١٧ - من سورة آل عمران.	

٣٥	٩٧	١٨ - من سورة آل عمران.
٣٧	١٠٧ ، ١٠٦	١٩ - من سورة آل عمران.
٤	١٦٧	٢٠ - من سورة آل عمران.
٤٢	٢٦ - ٢٨	٢١ - من سورة النساء.
٤٦	٩٢	٢٢ - من سورة النساء.
٤٧	١٦٢	٢٣ - من سورة النساء.
٤٨	١٦٣ ، ١٦٤	٢٤ - من سورة النساء.
٥١	٢	٢٥ - من سورة المائدة.
٥١	٦	٢٦ - من سورة المائدة.
٥٣	٢٦ ، ٦٨	٢٧ - من سورة المائدة.
٥٤	٢٧	٢٨ - من سورة المائدة.
٥٦	١٧	٢٩ - من سورة الأنعام.
٥٦	٥١	٣٠ - من سورة الأنعام.
٦٠	٨٣ - ٨٦	٣١ - من سورة الأنعام.
٦٣	٨٣ - ٨٦	٣٢ - من سورة الأنعام.
٦٥	٩٠	٣٣ - من سورة الأنعام.
٦٥	١٣٠	٣٤ - من سورة الأنعام.
٦٩	١٨	٣٥ - من سورة الأعراف.
٧٠	٥٥ ، ٥٦	٣٦ - من سورة الأعراف.
٧٢	٦٤	٣٧ - من سورة الأعراف.
٧٤	١٢٣	٣٨ - من سورة الأعراف.
٧٥	١٤٤ ، ١٤٥	٣٩ - من سورة الأعراف.

٧٨	٥٢ - ٥٤	٤٠ - من سورة الأنفال
٨٢	١٩	٤١ - من سورة يونس
٨٣	٤٦	٤٢ - من سورة يونس
٨٥	١٠٤	٤٣ - من سورة يونس
٨٧	٢٠	٤٤ - من سورة هود
٨٧	٤٠	٤٥ - من سورة هود
٩٠	٦٠	٤٦ - من سورة هود
٩٢	٦٧	٤٧ - من سورة هود
٩٧	٢	٤٨ - من سورة يوسف
١٠٠	١٥	٤٩ - من سورة الرعد
١٠٤	٢	٥٠ - من سورة الحجر
١٠٥	٤٦	٥١ - من سورة الحجر
١٠٦	٦١	٥٢ - من سورة النحل
١٠٧	٦٤	٥٣ - من سورة النحل
١٠٨	٦٦ ، ٦٧	٥٤ - من سورة النحل
١٠٩	٧٠	٥٥ - من سورة النحل
١١٢	٧٩	٥٦ - من سورة النحل
١١٥	٨١	٥٧ - من سورة النحل
١١٧	٤٩ ، ٩٨	٥٨ - من سورة الإسراء
١١٩	٤٥	٥٩ - من سورة مريم
١٢٠	٦١ - ٦٣	٦٠ - من سورة مريم
١٢٢	٣٨ - ٤٠	٦١ - من سورة طه

١٢٤	٧٧	٦٢ - من سورة طه.
١٢٦	١٣١، ١٣٠	٦٣ - من سورة طه.
١٣٠	٢٧	٦٤ - من سورة الحج.
١٣١	٣٥	٦٥ - من سورة النور.
١٣٣	٤٩، ٤٨	٦٦ - من سورة الأنبياء.
١٣٥	١٥	٦٧ - من سورة العنكبوت.
١٤٠	٢٠	٦٨ - من سورة العنكبوت.
١٤١	٢٢	٦٩ - من سورة العنكبوت.
١٤٥	٤٠ - ٣٨	٧٠ - من سورة العنكبوت.
١٤٧	٢٧، ٢٦	٧١ - من سورة الأحزاب.
١٤٨	٧٢	٧٢ - من سورة الأحزاب.
١٥٠	٣٦	٧٣ - من سورة سبأ.
١٥٣	٢٩	٧٤ - من سورة فاطر.
١٥٤	٥١	٧٥ - من سورة يس.
١٥٦	١٠١	٧٦ - من سورة الصافات.
١٥٨	١٤	٧٧ - من سورة ص.
١٦٣	١٧	٧٨ - من سورة ص.
١٦٤	١٨، ١٧	٧٩ - من سورة الزمر.
١٦٦	١٧ - ١٥	٨٠ - من سورة غافر.
١٦٨	٣٠	٨١ - من سورة الشورى.
١٧٠	٥٠، ٤٩	٨٢ - من سورة الشورى.
١٧٣	٢٢	٨٣ - من سورة الزخرف.

١٧٦	٢٤	٨٤ - من سورة الزخرف .
١٧٦	٨٤	٨٥ - من سورة الزخرف .
١٧٨	٣٩ ، ٣٨	٨٦ - من سورة الذاريات .
١٨٠	٨ ، ٧	٨٧ - من سورة الطور .
١٨٢	٣٠ ، ٢١ ، ١٨ ، ١٦	٨٨ - من سورة القمر .
١٨٤	٤	٨٩ - من سورة الممتحنة .
١٨٦	١٠	٩٠ - من سورة الممتحنة .
١٨٧	٢٩ وما بعدها	٩١ - من سورة المرسلات .
		٩٢ - الإخبار عن الملائكة بالتذكير
١٨٩		والثانيث .
		٩٣ - الفرق بين ﴿حُضِرَ أَحَدُكُمْ﴾
١٩٢		و﴿جَاءَ أَحَدُكُمْ الْمَوْتُ﴾ .
١٩٦		٩٤ - الفرق بين المنساء والعصا .
		٩٥ - الفرق بين ﴿لَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ﴾
١٩٨		و: ﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ﴾ .
		٩٦ - الفرق بين الكره (بفتح) والكفر (بضم الكاف) .
٢٠١		٩٧ - الفرق بين النبأ والخبر .
٢٠٣		٩٨ - سؤال عن حقيقة العدد في
٢٠٥		القرآن الكريم .
		٩٩ - لماذا لم تتكرر قصة يوسف في
٢٠٦		القرآن الكريم ؟

١٠٠ - سؤال فيه (فتح الله لك)

و: (فتح الله عليكم).

٢٠٧

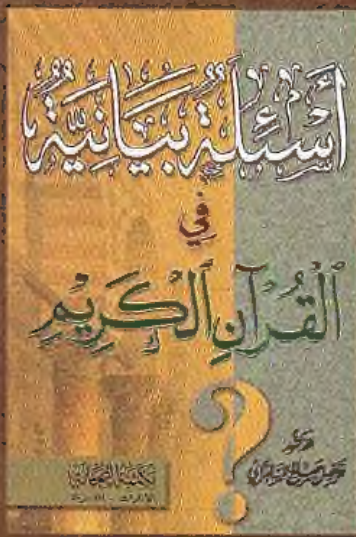
مراجع الكتاب

٢٠٨

فهرس الكتاب

٢١١

السُّبُلُ الْبَيِّنَاتُ



مكتبة الصحابة
الإمارات - الشارقة

25